صن - مي هوانغ
Sun-mi Hwang

Twitter: @alqareah
15.3.2015

الدَّجاجَةُ التي حَلُمَت بالطَّيران

THE HEN WHO DREAMED SHE COULD FLY

رواية

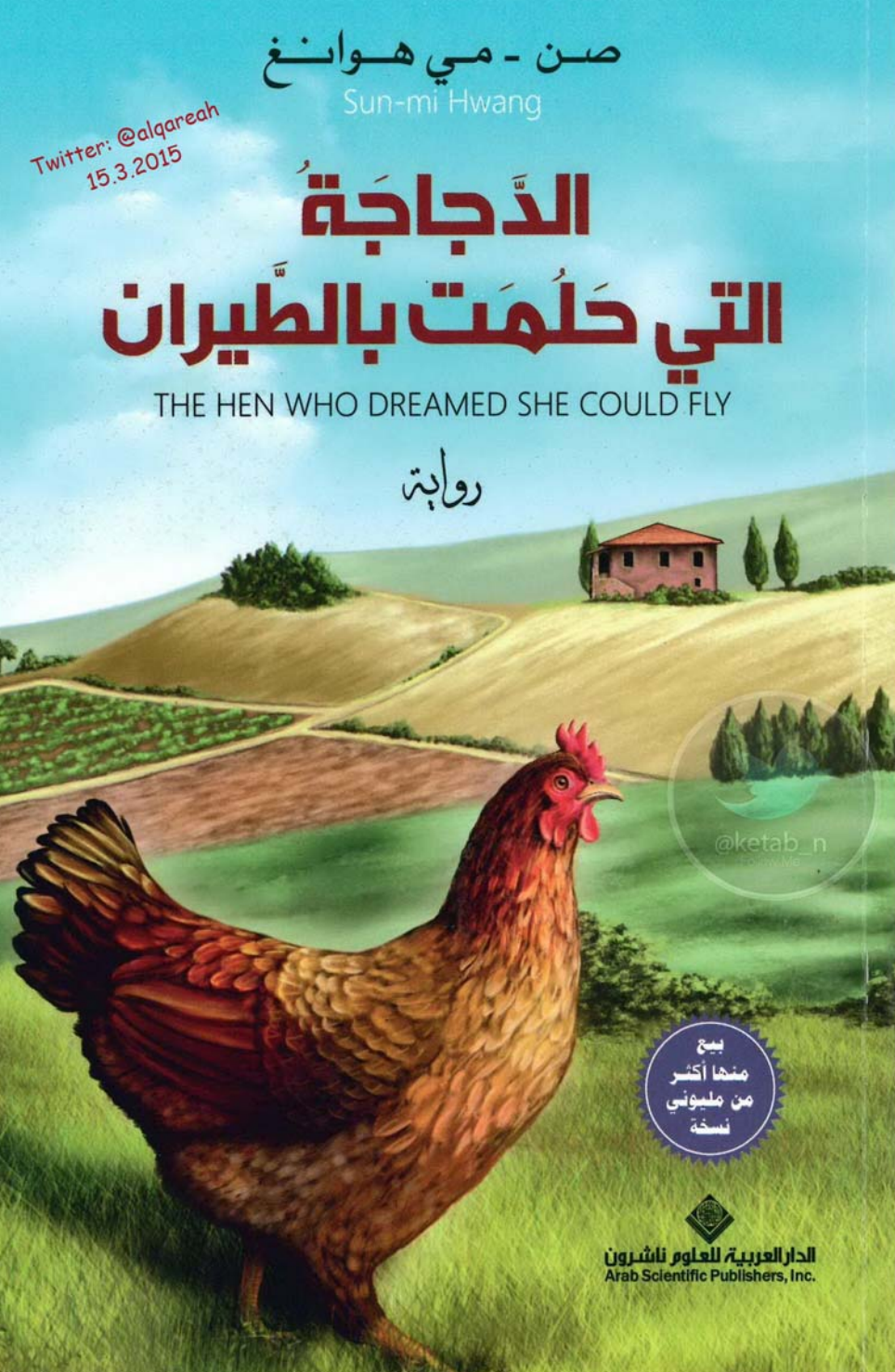

@ketab_n

بيع منها أكثر من مليوني نسخة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

الدَّجاجَةُ التي حَلُمَت بالطَّيران

رواية

تأليف

صن - مي هوانغ

Sun-mi Hwang

ترجمة

سعيد الحسنية

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

Twitter: @alqareah

الدَجاجةُ الّتي حلُمَتْ بالطُيران

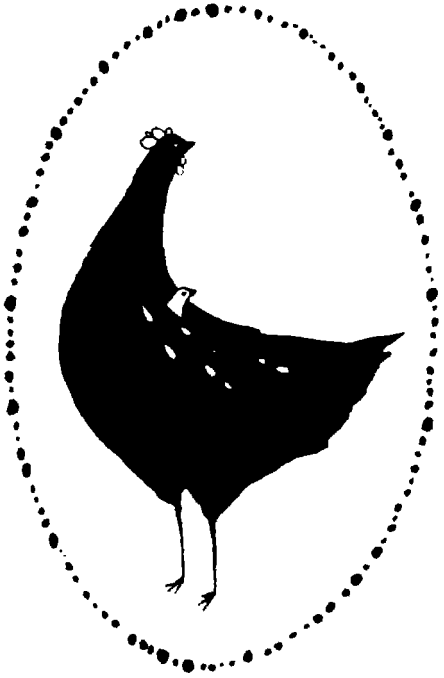

Twitter: @alqareah

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
THE HEN WHO DREAMED
SHE COULD FLY
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
A Penguin Random House Company
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 2000 by Sun-mi Hwang
All rights reserved
Arabic Copyright © 2014 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

Twitter: @alqareah

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1435 هـ - 2014 م

ردمك 978-614-01-0621-5

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

صورة الغلاف: **Andrea Danti - Fotolia.com**

تصميم الغلاف: **سامح خلف**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

Twitter: @alqareah

المحتويات

الفصل الأول: لَنْ أضعَ بيضاً بعدَ الآنَ..... 9

الفصل الثاني: إبساك تتركُ القنَّ..... 21

الفصل الثالث: طيورُ الحظيرةِ..... 37

الفصل الرابع: الصّديق..... 53

الفصل الخامس: الفراقُ واللّقاءُ..... 69

الفصل السّادس: إبساك تغادرُ المزرعةَ..... 91

الفصل السّابع: الجوّالُ والصّيادُ..... 107

الفصل الثّامن: ماما، لقدْ خُلِقْتُ كيْ أبطبطَ..... 127

الفصل التّاسع: ابنُ عُرسٍ يجولُ قربَ البركةِ..... 143

الفصل العاشر: الإيقاعُ بالصّيّادِ..... 161

الفصل الحادي عشر: عندمَا يتساقطُ الثّلجُ مثلَ أزهارِ الخرنوبِ..... 183

Twitter: @alqareah

الدُجاجةُ الّتي حلُمَتْ بالطُيرانِ

Twitter: @alqareah

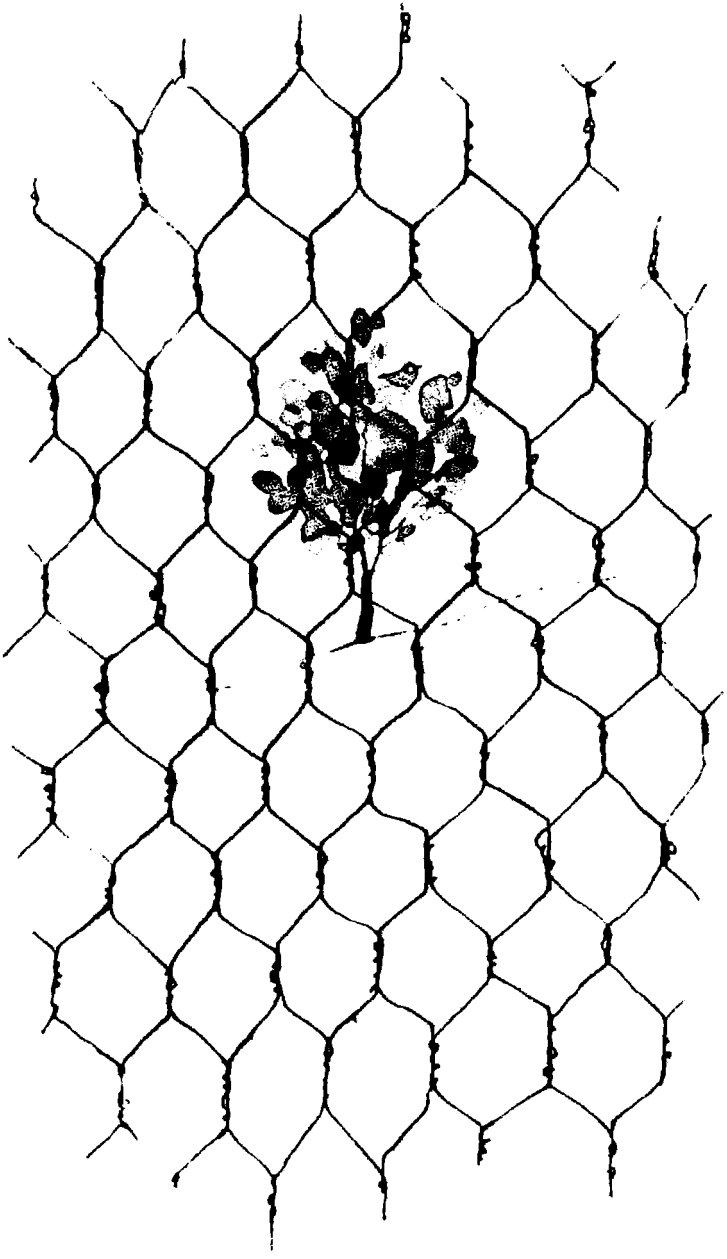

Twitter: @alqareah

الفصل الأول

لَنْ أضعَ بيضاً بعدَ الآنَ

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

تدحرجَتِ البيضةُ الجديدةُ إلى الأمامِ، وتوقفَتْ عندَ واجهةِ القنِّ. وعندَها، نظرَتِ الدّجاجةُ إبساك إلى بيضتِها البشعةِ والمخطّطةِ بالدّماءِ بحزنٍ.

لم تضعْ إبساك بيضةً واحدةً منذُ يومين، وشعرَتْ بأنّها لا تريدُ أَنْ تفعلَ ذلكَ مجدّداً، لكنَّها باضَتِ اليومَ بيضةً أخرى، وكانَتِ البيضةُ صغيرةً وغيرَ جذّابةٍ.

لَنْ يتكرّرَ هذا مجدّداً.

هَلْ ستأتي زوجةُ المزارعِ لتأخذَ هذهِ البيضةَ أيضاً؟ فقدْ أخذَتْ هذهِ الزّوجةُ كلَّ البيوضِ الّتي وضعَتْها إبساك سابقاً؛ ممّا يعني أنَّهُ مِنَ المحتملِ أن تأخذَ هذهِ البيضةَ كذلكَ، رغمَ أنّها بدأَتْ تتذمّرُ مؤخّراً لأنّ البيضَ الّذي تضعُهُ إبساك يصغرُ شيئاً فشيئاً.

كانَ منَ الصعبِ عليها الوقوفُ علَى رجلَيْها. ولَمْ يكنْ هذا مستغرباً لأنّها باضَتْ منْ دونِ أنْ تأكلَ شيئاً.

كَمْ مِنَ البيضِ بقيَ عندِي؟ ليتَ هذهِ البيضةَ تكونُ الأخيرةَ.

نظرَتْ إبساك إلى الخارجِ وتنهّدَتْ. كانَ بإمكانها أنْ تنظرَ إلى الحظيرةِ متى تشاءُ؛ رغمَ أنّها تعيشُ في قنٍّ أشبهِ بالقفصِ، وذلكَ لأنّها تعيشُ بالقربِ منْ بابِ القنِّ المخصّصِ للدّجاجِ فقطْ. لا يُقفلُ هذا البابُ بإحكامٍ، ولذلكَ تمكّنَتْ دائماً من رؤيةِ

Twitter: @alqareah

شجرةِ خرنوبٍ أسودَ كبيرةٍ. أحبَّتْ إبساك هذا المنظرَ وتعلقَتْ بهِ أكثرَ منْ أيِّ شيءٍ آخرَ. وبفضلِهِ كانتْ تتحمّلُ منْ دونِ تـــذمّرٍ الرّياحَ الباردةَ، والمطرَ المنهمرَ في الشّتاءِ، والّذي يصلُ إليْهَا بسببِ عدمِ إقفالِ بابِ القنِّ جيّداً.

كانَتْ إبساك إحدى الدّجاجاتِ الّتي تبيضُ، ممّا يعـــني أنَّ هدفَهَا الوحيدَ في الحياةِ كانَ وضعَ البيضِ. ولقدْ أمضَتْ في ذلكَ القنِّ ما يزيدُ عنِ السّنةِ، ولمْ تفعلْ أيَّ شيءٍ آخرَ غـــيرَ وضـــعِ البيضِ. لم تغادرْ قنَّها قطُّ، وليسَ بإمكانها أنْ تتجوّلَ في الحظيرةِ، أوْ تصفّقَ بجناحَيْها، أوْ تجثمَ علَى البيوضِ الّتي تضـــعُهَا. ورغـــمَ ذلكَ، تولّدَتْ عندَ إبساك رغبةٌ سريةٌ عندمَا نظرَتْ صدفةً ذاتَ مرّةٍ إلى دجاجةِ الحظيرةِ وفراخِهَا الجميلةِ.

ليَتَنِي أتمكّنُ منْ أنْ أجثمَ علَى بيوضِي، وأنْ أراقبَهَا عنـــدمَا تفقسُ...

لم تمرَّ لحظةٌ واحدةٌ علَى إبساك مِنْ دونِ أنْ ترغبَ بشدّةٍ في تحقيقِ حلُمِهَا؛ أيْ أنْ تجثمَ علَى بيضِهَا، وتراقبَ فراخَهَا وهـــي تخرجُ مِنَ البيضِ. لكنَّ ذلكَ كانَ مستحيلاً لأنَّ قنَّها كانَ مائلاً إلى الأمامِ، حيثُ إنّ كلَّ بيضةٍ وضعَتْهَا كانت تتدحرجُ بعيـــداً عنْهَا قبلَ أنْ تستقرَّ في صندوقٍ خاصٍّ.

انفتحَ بابُ القنِّ، وسرعانَ ما دخلَ المزارعُ وهوَ يدفعُ أمامَهُ عربةَ يدٍ.

"كوكْ - كوكْ - كوكْ. طعامُ الفطورِ!".

Twitter: @alqareah

"أنا جائعةٌ. أسرعْ، أسرعْ، أطعِمْني. كــوكْ - كــوكْ - كوكْ".

امتلأَ القنُّ بأصواتِ الدّجاجاتِ العاليةِ.

قالَ لَهَا المزارعُ بينَمَا كانَ يوزّعُ العلفَ بمغرفةٍ: "أريدُكِ أنْ تضعِي عدداً كبيراً مِنَ البيضِ كبيرِ الحجمِ. فقدْ ارتفعَ سعرُ العلفِ مجدّداً!". اكتفَتْ إبساك بأنْ رمشَتْ بعينَيْها، وتابعَتِ التّحديقَ إلى العالمِ الّذي يقعُ خارجَ بابِ القنِّ المفتوحِ بالكاملِ.

مضَتْ فترةٌ طويلةٌ منذُ أنْ رغبَتْ إبساك في تناولِ الطّعــامِ. وتلاشَتْ عندَهَا الرّغبةُ في وضعِ البيضِ. فقدْ كانَتْ تشعرُ بفراغٍ في قلبِهَا في كلِّ مرّةٍ تأتي فيها زوجةُ المزارعِ وتأخذُ بيوضَهَا. كانَ الإحساسُ بالرِّضا النّاتجُ عن وضعِ البيضِ يتحــولُ بســرعةٍ إلى أسًى. شعرَتْ إبساك بأنّها متعبةٌ منْ وضعِ البيضِ الّذي لا يمكنُهَا حتّى أنْ تلمسَهُ بأطرافِ مخالبِهَا، وذلكَ لأنّهُ كانَ يؤخذُ في سلّةٍ بعيداً عنْهَا إلى مصيرٍ مجهولٍ.

أمّا خارجُ القنِّ، وعلَى أطرافِ الحظيرةِ المشرقةِ بالأضــواءِ المتألقةِ، كانَتْ أزهارُ شجرةِ الخرنوبِ البيضاءُ كــالثّلجِ في أوجِ إزهارِهَا. وارتحلَتْ رائحةُ الأزهارِ بعيداً مَــعْ نســماتِ الهــواءِ وتسلّلَتْ إلَى القنِّ، ثمّ إلى قلبِ إبساك، فنهضَتْ بعفويّــةٍ علَــى رجلَيْهَا، وحشرَتْ رأسَهَا بينَ أسلاكِ القنِّ، وهكذَا انكشــفَتْ رقبتُهَا ذاتُ اللّونِ الزّهريِّ والخاليةُ مِنَ الرّيشِ.

عادتِ الشّجرةُ لتحملَ الأزهارَ مجدّداً.

Twitter: @alqareah

حسدَتْ إبساك الشّجرةَ الّتي كانَتْ أوراقُهَا ذاتُ اللّونِ الأخضرِ الفاتحِ تحتضنُ الأزهارَ المتفتّحةَ ذاتَ الشذا العطريِّ.

لاحظَتْ إبساك شجرةَ الخرنوبِ الأسودِ منذُ يومِهَا الأوّلِ في القنِّ. ظنَّتْ في البدايةِ أنّ الأزهارَ تتواجدُ وحدَها علَى الشّجرةِ، لكنّ تلكَ الأزهارَ ذبلَتْ بعدَ أيّامٍ قليلةٍ وتناثرَتْ مثلَ نُدَفِ الثّلجِ، وهكذَا بقيَتْ الأوراقُ الخضراءُ بمفردِهَا. بقيَتْ الأوراقُ حتّى أواخرِ فصلِ الخريفِ، وعندَهَا تحوّلَ لونُهَا إلى الأصفرِ، وما لبثَتْ أنْ سقطَتْ بهدوءٍ. تعجّبَتْ إبساك منْ كيفيّةِ تحمّلِ الأوراقِ الرّياحَ القاسيةَ وقطراتِ المطرِ الشّرسةَ قبلَ أن يتحوّلَ لونُها إلى الأصفرِ. وتعجّبَتْ مجدّداً عندَ قدومِ الرّبيعِ حينَ ظهرَتِ الأوراقُ ذاتُ اللونِ الأخضرِ الفاتحِ مجدّداً.

يعني اسمُ إبساك "الورقةَ"، وهي تعتقدُ أنّه أفضلُ اسمٍ في العالمِ. إذْ تحتضنُ الأوراقُ نسماتِ الهواءِ وضوءَ الشّمسِ، ثمّ تسقطُ علَى الأرضِ، وتفسحُ المجالَ لأوراقٍ أخرى بالنّموِّ مكانَهَا. هذه هِيَ الطّريقةُ الّتي تمنحُ فيها الأوراقُ في النّهايةِ الحياةَ للأزهارِ العطرةِ. أرادَتْ إبساك أنْ تعيشَ مثلَ أوراقِ شجرةِ الخرنوبِ الأسودِ.

أُعجبَتْ إبساك بأوراقِ الشّجرةِ كثيراً، إلى حدٍّ أنّها سمَّتْ نفسَهَا إبساك. لم ينادِها أحدٌ باسمِها، كما أنّها لم تتمكّنْ مِنَ العيشِ مثلَ الأوراقِ، لكنّها مَعْ ذلكَ كانَتْ تشعرُ بأنّها فريدةٌ منْ نوعِها. وأحسَّتْ كَمَا لوْ أنّها تخبئُ سرًّا كبيراً.

Twitter: @alqareah

تعوّدَتْ إبساك بعدَ أنْ سمَّتْ نفسَهَا التّفكيرَ في أشياءَ كثيرةٍ. كانَتْ تتذكّرُ كلَّ شيءٍ يجري في العالمِ خارجَ بابِ سجنِهَا؛ بدءاً منْ تزايدِ حجمِ القمرِ وتناقصِهِ بعدَ ذلكَ، ووصولاً إلى شروقِ الشّمسِ، والشجارِ بينَ الطّيورِ في باحةِ الحظيرةِ.

قالَ المزارعُ بصوتٍ عالٍ: "كُلِي جيّداً لتضعِي بيضاً كبيرَ الحجمِ!".

كانَ يردّدُ الكلماتِ ذاتَها في أثناءِ تقديمِهِ كلَّ الوجباتِ؛ وكأنّهَا صادرةٌ عنْ أسطوانةٍ خَربةٍ. تعبَتْ إبساك منْ سماعِ كلماتِهِ، فتجاهلَتْهُ وبقيَتْ تحدّقُ إلى الحظيرةِ.

كانَتْ طيورُ الحظيرةِ تتناولُ فطورَهَا أيضاً. وكانَتْ مجموعةٌ كبيرةٌ مِنَ البطِّ متجمّعةً حولَ إناءٍ خشبيٍّ ورؤوسُهَا تكادُ تختفي عَنِ الأنظارِ بينَ علفِها، فيمَا ذيولُهَا تشيرُ نحوَ السّماءِ. أمَّا الكلبُ العجوزُ فكانَ يأكلُ في هذهِ الأثناءِ طعامَهُ بكلِّ شراهةٍ وهوَ يشعرُ بالخوفِ مِنَ الدّيكِ في الوقتِ نفسِهِ. خافَ الكلبُ من الدّيكِ منذُ ذلكَ اليومِ الّذي حاولَ فيهِ إبعادَ إناءِ الدّيكِ الخشبيِّ عنْهُ. حينَها، نقرَ الدّيكُ خطمَ الكلبِ فسالَتِ الدّماءُ منهُ بغزارةٍ، وتورّمَ بعدَ ذلكَ.

كانَ الدّيكُ ودجاجةُ الحظيرةِ يمتلكانِ إناءً واسعاً لطعامِهما، وكانَا الوحيدَيْنِ في باحةِ الحظيرةِ اللّذيْنِ يتمكنانِ منْ تناولِ طعامِهما بكلِّ راحةٍ، ولمْ يسمَحَا لأيِّ حيوانٍ آخرَ بمشاركتِهما فيهِ. كانَ الدّيكُ في بعضِ الأحيانِ يشتهِي ما يتبقّى في إناءِ

Twitter: @alqareah

الكلبِ العجوزِ، و لَمْ يكنْ يتراجعُ حتّى عندَمَا ينبحُ هذا الأخيرُ في وجهِهِ. كانَتْ هذهِ هي طريقةَ الدّيكِ في تذكيرِ الجميعِ بأنّهُ ملكُ باحةِ الحظيرةِ.

كان الدّيكُ يمتلكُ ريشاً جميلاً وعُرفاً أحمرَ اللّونِ. وبدا أنيقاً بعينَيْهِ اللّتينِ لا تعرفانِ الخوفَ ومنقارِهِ الحادِّ. كانَ ينادي في كلِّ صباحٍ بصياحِهِ المميّزِ "كوكو - كوكو"، لكنَّهُ لم يكنْ يفعلُ شيئاً عدا عنْ ذلكَ غيرَ الاسترخاءِ مَعْ دجاجةِ الحظيرةِ في حديقةِ الخضارِ والحقولِ المجاورةِ لَهَا.

زادَ منظرُ باحةِ الحظيرةِ الرّائعِ مِنَ التّعاسةِ الّتي لا تُحتملُ الّتي تشعرُ بها إبساك في قنِّهَا. فقدْ أرادَتْ أنْ تتجوّلَ برفقةِ الدّيكِ كي تعبثَ بكومةِ السّمادِ بمخالبِهَا.

كانَتْ باحةُ الحظيرةِ - أيْ حيثُ يعيشُ الكلبُ العجوزُ، والدّيكُ ودجاجتُهُ، والبطُّ - عالماً مختلفاً تماماً، وهوَ عالَمٌ عجزَتْ إبساك عَنِ العيشِ فيهِ. لم تتمكنْ من الإفلاتِ منْ سجنِهَا مهْمَا حاولَتْ إخراجَ رأسِها منْ بينِ الأسلاكِ. ونتيجةً لذلكَ، كانَ ريشُهَا يتساقطُ مَعْ كلِّ محاولةٍ.

لماذا أنا سجينةٌ في هذا القفصِ، فيما تسرحُ تلكَ الدّجاجةُ حرّةً في الخارجِ؟

لا أعرفُ. ما السّببُ؟

طرحَتْ إبساك علَى نفسِهَا أسئلةً أخرى، وكانَتْ تجيبُ عنها بنفسِهَا. لم تكنْ تعلمُ بطبيعةِ الحالِ أنَّ الدّيكَ ودجاجةَ

Twitter: @alqareah

الحظيرةِ كانَا من الجنسِ البلديِّ؛ وهوَ الأمرُ الّذي لا ينطبقُ عليهَا. و لمْ تكنْ تعلمُ كذلكَ أنّ البيضَ غيرَ الملقّحِ لا يفقسُ، وذلكَ مهمَا طالَتْ مدّةُ مكوثِها فوقَهُ. يُحتملُ أنّها لوْ علمَتْ بذلكَ لكانَتْ قد تخلّتْ نهائيًّا عنْ فكرةِ احتضانِ البيضِ.

أنهَتِ البطّاتُ تناولَ فطورِهَا، ثمّ خرجَتْ إلى الحقلِ خلفَ شجرةِ الخرنوبِ الأسودِ. كانَ فرخٌ مِنَ البطِّ البرّيِّ يمتلكُ ريشاً مميّزاً يسيرُ خلفَ ذلكَ السّربِ. كانَ رأسُ فرخِ البطِّ البرّيِّ أخضرَ اللونِ مثلَ أوراقِ شجرةِ الخرنوبِ، ولهذا لم يكنْ يشبهُ بقيةَ البطّاتِ. غيرَ أنّهُ بَطْبَطَ، وتهادى في مشيتِهِ مثلَهَا تماماً. لم تعرفْ إبساك كيفَ تمكّنَ فرخُ البطِّ البرّيِّ مِنَ العيشِ في باحةِ الحظيرةِ، لكنَّهَا لاحقَتْهُ بناظرَيْها بعنايةٍ لأنّهُ كانَ مختلفاً عَنِ البطّاتِ الأخرى.

اقتربَ المزارعُ منْ قفصِ إبساك بينَمَا كانَتْ منشغلةً في تأمّلِ المنظرِ، وقالَ متذمّراً بينَمَا كانَ علَى وشكِ إطعامِها: "ما هذا؟".

وقفَ أمامَهَا متعجّباً لأنَّ الطّعامَ الّذي وضعَهُ لها يومَ أمسِ بقيَ كما هوَ. كانَتْ زوجةُ المزارعِ هيَ الّتي تجمعُ البيضَ عادةً، فيمَا كانَ المزارعُ يغادرُ المكانَ بعدَ الانتباهِ إلى الدّجاجاتِ. لكنَّ هذا اليومَ كانَ مختلفاً.

"لم تأكلْ هذهِ الدّجاجةُ طعامَها منذُ بضعةِ أيّامٍ. لا بدَّ أنّها مريضةٌ".

Twitter: @alqareah

انــزعجَ المزارعُ، وما لبثَ أنْ نظرَ إلى البيضــةِ الملطّخــةِ بالدّماءِ وإلى إبساك، ثمّ تناولَ البيضةَ بيدِهِ، ولمسَــهَا بأصــابعِهِ، فشعرَتْ إبساك بالصّدمةِ. كانَتْ تعــرفُ أن بيضــتَهَا صــغيرةٌ وبشعةٌ، لكنّهَا لم تتصورْ أنّها ناعمةُ الملمسِ كذلكَ.

اكتفى المزارعُ بالعبوسِ، لكنّ ذلكَ العبوسَ كانَ بمثابةِ ضربةٍ شديدةٍ بالنّسبةِ إلى إبساك، وهيَ ضربةٌ تركَتْ جرحاً مؤلمــاً في قلبِهَا. كانَتْ تتألّمُ عندَمَا يؤخَذُ بيضُها منها، لكنَّ الألَمَ عندَهَا لم يكنْ بمثلِ شدّةِ الألمِ الّذي شعرَتْ بِهِ الآنَ. تجمّدَتْ في مكانهَــا وهيَ تشعرُ بالألمِ يعتصرُهَا. يا للمسكينةِ الصّغيرةِ! يــا لحظّهَــا العاثرِ!

نظرَتْ إبساك بعيداً عندَمَا رمى المزارعُ تلكَ البيضةَ أرضــاً فتناثرَتْ محتوياتُها منْ دونِ أن تُحدثَ أيَّ صوتٍ، وسرعانَ مــا تقدّمَ الكلبُ العجوزُ وراحَ يلعقُهَا حتّى آخرِهَا.

بكَتْ إبساك للمرّةِ الأولى في حياتِهَا، وارتجفَــتْ بشــدّةٍ، وأغلقَتْ منقارَهَا.

لا أريدُ وضعَ البيضِ مجدّدًا! أبدًا!

Twitter: @alqareah

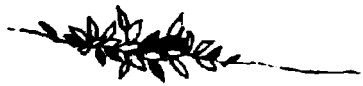

Twitter: @alqareah

الفصل الثاني

إبساك تتركُ القنُ

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

كانَتْ إبساك تشعرُ بالسّعادةِ فقطْ حينَ تتأمّلُ باحةَ الحظيرةِ. أما مراقبةُ البطّاتِ وهيَ تتمايلُ متجوّلةً في الباحةِ ومتجمّعةً قربَ بعضِهَا، فكانَتْ أفضلَ عندَهَا مِنَ التهامِ طعامِهَا.

وغالباً ما كانَتْ إبساك تُغمضُ عينَيْها وتتخيّلُ أنّها تتجوّلُ بحريّةٍ في باحةِ الحظيرةِ، أوْ تجثمُ علَى البيضِ في عشِّـــهَا لتمنحَـــهُ الدّفءَ. تخيّلَتْ كذلكَ أنّها تتجوّلُ مَعَ الدّيكِ في حديقةِ الخضارِ، وأنّها تتبعُ البطّاتِ. لكنّها حينَ تفتحُ عينَيْها في النّهايـــةِ تكتفـــي بالتّنهّدِ.

لا فائدَةَ مِنَ الانتظارِ، فذلكَ اليومُ لنْ يأتيَ أبداً.

لم تتمكّنْ إبساك منْ وضعِ أيِّ بيضةٍ أخرى. تكرّرَ الأمرُ في اليومينِ الثّالثِ والرّابعِ. كانَ هذا أمراً متوقّعاً لأنّها أصبحَتْ متعبةً وضعيفةً جداً، وعاجزةً عَنِ الوقوفِ علَى رجلَيْها أيضاً.

اقتربَتْ زوجةُ المزارعِ مِنَ القنِّ في اليومِ الخامسِ الّذي مضى منْ دونِ أنْ تضعَ إبساك بيضةً واحدةً، وقالَتْ منْ دونِ اكتراثٍ: "هذهِ الدّجاجةُ عليلةٌ، ويجبُ إخراجُها منَ القنِّ". سمعَتْ إبساك هذهِ الكلماتِ بالرّغمِ منْ أنّها كانَتْ نائمةً وكأنها ميتةٌ.

إنّها تريدُ أنْ تخرجَني؟ إلى خارجِ القفصِ؟ كانَ الأمرُ بعيداً عن التّصوّرِ. لم تعرفْ معنى كلمةِ *عليلة*، لكنّها شعرتْ بموجـــةٍ

Twitter: @alqareah

مفاجئةٍ منَ النّشاطِ تسري في جسمِهَا عندَمَا سمعَتْ أنّها سوفَ تخرجُ منَ القفصِ. وحينَهَا فقطْ، رفعَتْ إبساك رأسَهَا وشربَتْ بعضَ الماءِ.

لم تتمكّنْ منْ وضعِ بيضةٍ في اليومِ التّالي أيضاً، وأحسَّتْ بأنّهُ لم تبقَ لديها أيُّ بيضةٍ، ولكنّها شربَتْ القليلَ من الماءِ، وتناولتْ بعضَ الطّعامِ.

حسناً إذاً. سأبدأُ بالمحاولةِ مجدّداً؛ بدءاً منَ اليومِ. وسأتمكنُ منْ أنْ أجثمَ علَى البيضِ، ومنْ تربيةِ فراخِي. يمكنُني أنْ أقومَ بذلكَ ما إنْ أخرجُ إلى باحةِ الحظيرةِ.

انتظرَتْ إبساك خروجَهَا منَ القنِّ بشوقٍ وهيَ تشعرُ بالحماسةِ. وبقيَتْ مستيقظةً طوالَ الليلِ وهيَ تفكّرُ في تجوُّلِها معَ الدّيكِ في أنحاءِ حديقةِ الخضارِ وفي نبشِ كومةِ السّمادِ.

سمعَتْ إبساك في اليومِ السّابعِ الّذي مضى منْ دونِ أنْ تضعَ ولوْ بيضةً واحدةً صوتَ بابِ القنِّ وهوَ ينفتحُ. وسرعانَ ما دخلَ المزارعُ وزوجتُهُ وهما يجرّانِ عربةً. لم تمتلكْ إبساك القدرةَ علَى الوقوفِ، لكنّ ذهنَهَا كانَ أصفى منْ أيِّ وقتٍ مضى.

"سأخرجُ الآنَ منْ هذا القفصِ. كوكْ - كوكْ - كوكْ".

كانَتْ هذهِ هي المرةَ الأولى الّتي تقوقئُ فيها منذُ وقتٍ طويلٍ جدًّا. كانَ هذا اليومُ هوَ الأهمَ في حياتِها منذُ أنْ وُضِعَتْ في هذا القنِّ. حملَتْ نسائمُ الهواءِ معَهَا العطرَ اللطيفَ لأزهارِ شجرةِ الخرنوبِ.

Twitter: @alqareah

قالَتِ الزّوجةُ: "أتعتقدُ أنّنا سنتمكّنُ مِنَ الحصولِ علَى بعضِ المالِ مقابلَ لحمِهَا؟".

"لا أعرفُ، فهيَ تبدو مريضةً".

تحدّثَ المزارعُ وزوجتُهُ عنْ إبساك، لكنّها لم تصغِ إليهِمـــا. كان قلبُها يخفقُ بشدّةٍ لأنّها ستتمكّنُ في النّهايةِ منَ العـــيشِ في باحةِ الحظيرةِ.

أمسكَ المزارعُ بكلٍّ بساطةٍ بجناحَيْها، وأخرجَهَا من القفصِ الّذي بقيَتْ فيهِ منذُ ما يزيدُ عن سنةٍ منَ الزّمنِ.

بلوب

رمى المزارعُ إبساك داخلَ العربةِ. لم تكنْ مريضةً، لكنّها لم تمتلكْ ما يكفي منَ القوةِ للمقاومةِ أوْ لتخفقَ بجناحَيْهـــا. ازدادَ وعيُ إبساك، فمدَّتْ رقبتَها متأمّلةً المكانَ حولَها، واكتشفَتْ أنّها مرميّةٌ وسطَ كومةٍ من الدّجاجاتِ المريضةِ.

أمّا الدّجاجاتُ الأخرى الكبيرةُ في السّنِّ فقدْ أخرجَهَا المزارعُ من أقفاصِها ووضعَها في أقفاصٍ جديدةٍ. كانَتْ تلكَ الـــدّجاجاتُ تتمتّعُ بصحّةٍ جيّدةٍ بالرّغمِ من عجزِها عنْ وضعِ البـــيضِ، ولهـــذا أخذَها المزارعُ من القنِّ ووضعَها في شاحنةٍ صغيرةٍ. لكنّ إبســـاك بقيَتْ في العربةِ، وسط الدّجاجاتِ العليلةِ الّتي شارفَتْ علَى الموتِ.

رمى المزارعُ آخرَ دجاجةٍ داخلَ العربةِ، فوقعَتْ فوقَ رأسِ إبساك.

بذلَتْ إبساك جهداً كبيراً كي تتمالكَ نفسَها تحـــتَ ثقـــلِ الدّجاجاتِ المحتضرةِ.

Twitter: @alqareah

ماذا يحدثُ؟ إنّني مرتعبةٌ.

بدأَ صوتُ الدّجاجاتِ في القنِّ بالتّلاشي تـــدريجيًّا، إلى أنْ عجزَتْ إبساك عنْ سماعِها تماماً، وعجزَتْ عنِ التّنفّسِ.

هل هذا معنى أن أكونَ عليلةً؟

شعرَتْ بأنّها تختنقُ، وأحسَّتْ بأنّ جفنَيْها ثقيلانِ.

لن أموتَ هكذَا، أليسَ كذلكَ؟

حاولَتْ أنْ تهدّئَ من روعِها، لكنّها لم تُفلحْ في ذلكَ. وملأَ الأسى قلبَهَا.

لا يُمكنُني أنْ أموتَ بهذهِ الطّريقةِ. ليسَ الآنَ عَلى الأقـــلِّ؛ أريدُ الذّهابَ إلى باحةِ الحظيرةِ.

صمّمَتْ علَى الخروجِ منَ العربةِ مهمَا كلّفَها الأمرُ. لكنْ، كانَ هناكَ عددٌ كبيرٌ مِنَ الدّجاجاتِ فوقَهـــا، وشـــعرتْ بـــأنّ عظامَها تكادُ تنسحقُ.

فكّرَتْ إبساك في شجرةِ الخرنوبِ المليئةِ بالأزهارِ، وتذكّرَتْ أوراقَهَا الخضراءَ، ورائحةَ الأزهارِ، والحيواناتِ الّتي تسرحُ سعيدةً في باحةِ الحظيرةِ.

أينَ حُلمي؟ أردْتُ رؤيةَ فراخي وهي تفقسُ البيضَ الّـــذي أبقيهِ دافئًا وتخرجُ منهُ. إنّ هذا هوَ ما تريدُ أيُّ دجاجةٍ أنْ تفعلَهُ. لكنّني سأموتُ الآنَ منْ دونِ أنْ أتمكّنَ منْ تحقيقِ أمنيَتي الوحيدةِ هذهِ.

بدأَتْ تحلُمُ بينَما كانَتْ تفقدُ وعيَها شيئاً فشيئاً.

Twitter: @alqareah

رأَتْ إبساك نفسَها جاثمةً فوقَ بيضٍ في عشٍّ. وكانَ ديـــكٌ شهمٌ يسهرُ علَى راحتِها، بينَما تدلَّتْ أزهارُ الخرنوبِ حولَها مثلَ ندفِ الثّلجِ.

لطالَما أردْتُ أنْ أحضنَ بيضي، ولوْ لمرّةٍ واحدةٍ. أريـــدُ أنْ أحضنَ بيضي أنا، وأنْ أحصلَ علَى فراخٍ أستطيعُ أنْ أهمسَ لها: "لن أتخلّى عنكِ أبدًا يا حبيبَتي. هيّا، افقسِي البيضَ واخرجِـــي منهُ. أريدُ أنْ أراكِ. لا تخافِي شيئًا".

جعلَتْ إبساك نفسَهَا تصدّقُ أنّها تجثمُ فعلاً علَى البـــيضِ، وابتسمَتْ فيمَا كانَتْ تفقدُ وعيَها.

كمْ مِنَ الوقتِ مرَّ يا تُرى؟ كانَ المطرُ يتساقطُ.

فتحَتْ إبساك عينَيها لتكتشفَ أنّها مبلّلةٌ تماماً.

أينَ أنا؟ يجبُ أنْ أبقى علَى قيدِ الحياةِ.

كانَتْ ترتجِفُ منْ شدّةِ البردِ، وعجزَتْ عـــنِ اســـتجماعِ حواسِّها بالرّغمِ منْ استعادَتِها معنويّاتِها. كانَتْ ستشعرُ بارتياحٍ أكبرَ لوْ تمكنَتْ منْ نفضِ المياهِ عن ريشِها، لكنْ، لم تتبقَّ لـــديها القوةُ الّتي تمكّنُها منَ القيامِ بذلكَ.

فجأةً، سمعَتْ ضجيجاً آتياً منَ الأعلَى. لم تفهمْ ما يجري إلا بعدَ أنْ سمعَتْ الصّوتَ عدّةَ مرّاتٍ.

"أنتِ هناكَ، أيمكنُكِ أنْ تسمعيني؟".

رفعَتْ إبساك رأسَها قليلاً، فشمّتْ رائحةً كريهةً منتشرةً في الهواءِ، لكنّها لم تتمكّنْ منْ رؤيةِ أيِّ شيءٍ بوضوحٍ.

Twitter: @alqareah

"أنتِ بخير. أعرفُ ذلكَ". علا ذلكَ الصّوتُ المليءُ بالحماسةِ أكثرَ فأكثرَ: "قفِي! ابدئِي بالمشي!".

"المشي؟! هذا مستحيلٌ. فليسَ بإمكاني الوقوفُ في مكانِي، فما بالُكَ بالسّيرِ منْ مكانٍ إلى آخرَ!".

تطلّعَتْ إبساك حولَها. رأتْ أشجاراً مغمورةً بالظّلالِ علَى سفحِ تلّةٍ، كما لاحظَتْ وجودَ أعشابٍ طويلةٍ فوقَها تتمايلُ مَعَ الهواءِ. كانَ الصّوتُ صادراً من ذلكَ الاتّجاهِ.

"أنتِ لستِ ميتةً. قفي بسرعةٍ!".

"أنا لستُ ميتةً بالطّبع".

نشرَتْ إبساك جناحَيْها، ومدَّتْ رجلَيْها، ثمَّ أدارَتْ رقبتَها يميناً ويساراً. كانَ كلُّ شيءٍ طبيعيًّا تماماً، ما عدا شعورُها بالضّعفِ الشّديدِ.

"أنتَ هناكَ، مَنْ أنتَ؟".

"لا تتكلّمِي. اركضِي فقط، وبسرعةٍ!".

وقفَتْ إبساك، ومشَتْ متعثّرةً بضعَ خطواتٍ باتجاهِ مصدرِ الصّوتِ. كمْ مضى عليهَا مِنَ الوقتِ منذُ أنْ مشَتْ بالفعلِ آخرَ مرّةٍ؟ خطَتْ خطوةً، ثمّ أتبعَتْها بخطوةٍ أخرى، لكنَّها توقّفَتْ فجأةً.

"يا اللّهُ! ما هذا؟".

جفلَتْ إبساك، وتعثّرَتْ ثمّ سقطَتْ. كانَتْ التّلةُ الّتي تقفُ عليْها - تلكَ الرّابيةُ الكبيرةُ تحتَها - عبارةً عن كومةٍ من

Twitter: @alqareah

الدّجاجاتِ الميتةِ. كانَتْ واقفةً في الحفـــرةِ الّـــتي تُرمَـــى فيهـــا الدّجاجاتُ الميتةُ.

"إنّني ما زلتُ حيّةً. أيُعقلُ هذا؟!".

قفزَتْ إبساك، وراحَتْ تدورُ في المكانِ وهي تقوقئُ، لكنّها لم تتمكّنْ مِنَ الخروجِ منْ حفرةِ الموتِ هذهِ مهمَـــا زادَتْ مـــنْ سرعتِها في الرّكضِ. كانَتْ تدوسُ علَى الدّجاجاتِ الميتةِ أينَمـــا اتجهَتْ. كانَ الأمرُ مروِّعاً؛ حيثُ إنّها عجزَتْ عنِ السّيطرةِ علَى نفسِها.

"ماذا تفعلينَ بحقِّ اللهِ؟!".

تناهَى إليهَا الصّوتُ عبرَ الحفرةِ مجدّداً، لكنّ إبساك عجزَتْ عن سماعِهِ، وبقيَتْ تدورُ راكضةً وهيَ تقوقئُ بشكلٍ هستيريٍّ.

"ماذا أفعلُ؟ ماذا أفعلُ؟".

"لنْ تصمدِي وقتاً أطولَ إذا استمررْتِ علَى هذا النّحوِ".

"أنا لستُ ميتةً. أنا حيّةٌ".

"احترسِي. إنّهُ يحاولُ الإمساكَ بكِ!".

"لا أعرفُ ماذا أفعلُ".

"اركضِي! ألاْ ترينَ أنّهُ يحاولُ الإمساكَ بكِ؟ يا لـــكِ مـــن دجاجةٍ غبيةٍ! إنّهُ يُريدُ الحصولَ عليكِ!".

سمعَتْ ذلكَ الصّوتَ القاسيَ مجدّداً. توقّفَتْ إبساك عنـــدَهَا عنِ الشّعورِ بالهلعِ، ولاحظَتْ في تلكَ اللّحظةِ بالذّاتِ شيئاً سريعاً يقتربُ منها، ومن الاتجاهِ المعاكسِ لمصدرِ الصّوتِ. أدركَـــتْ في

Twitter: @alqareah

هذهِ اللّحظةِ أنَّ تينكَ العينينِ المتلألئتينِ كانتا مسمّرتينِ عليها. لم تعرفْ صاحبَهُما لكنّها ارتجفَتْ منْ شدّةِ البردِ.

"سيُمسكُ بكِ إذا لم تخرجي منْ هناكَ!".

كانَتْ ميّالةً إلى الثّقةِ بذلكَ الصّوتِ الّذي ناداهَا كيْ تخرجَ من حفرةِ الموتِ. لم تعرفْ صاحبَ الصّوتِ، لكنّها شعرَتْ أنّهُ بإمكانهَا الوثوقُ بهِ أكثرَ منْ صاحبِ العينينِ الملتمعتينِ.

قالَتْ متلعثمةً: "يُحتملُ أنّهُ الدّيكُ".

كانَ الدّيكُ وحدَهُ هو الّذي يمتلكُ ما يكفِي مِنَ الجرأةِ كيْ يصيحَ في هذهِ الظّلمةِ الّتي تشبهُ لونَ الزّفتِ في حلكتِها.

تبعَتْ إبساك الصّوتَ حتّى وصلَتْ إلى طرفِ الحفرةِ الّتي كانَتْ أقلَّ ارتفاعاً هناكَ، فتمكّنَتْ منْ تسلّقِها بسهولةٍ.

"كدتِ تهلكينَ".

كانَ الصّوتُ هادئاً وودوداً. هزَّتْ إبساك جسمَهَا المبلولَ، ونظرَتْ إلى صديقِها الجديدِ. رأَتْ فرخُ البطِّ البرّيِّ الّذي كان معَها في المزرعةِ، وهوَ الفرخُ ذو الرّيشِ البنيِّ والأخضرِ الّذي كان مميّزاً عنْ بقيّةِ البطّاتِ. إنّهُ الفرخُ المنعزلُ الّذي يمشي بعيداً عن بقيةِ البطّاتِ.

لم تتصوّرْ إبساك قطُّ أنّهُ سوفَ يساعدُها، لكنّ لقاءَها حيوانَ المزرعةِ هذا جعلَها تدركُ أنّها تحرّرَتْ بالفعلِ منْ سجنِها.

"شكراً لكَ، لقد أنقذْتَني!".

Twitter: @alqareah

كانَتْ إبساك مسرورةً لخروجِها منَ القنِّ، ولأنّها لا تــزالُ علَى قيدِ الحياةِ.

"" لم أفعلْ شيئاً كيْ تشكريني، وكلُّ ما في الأمــرِ أنّــني لم أستطعْ أنْ أدعَهُ يأخذُ ما يريدُهُ. أكرهُ أنْ يأكلَ ذلكَ الشّريرُ كائناً حيًّا".

"عمَّ تتحدّثُ؟".

"عنِ ابنِ عُرسٍ!".

حرّكَ فرخُ البطِّ البرّيُّ ريشَ عنقِهِ وهــوَ يقــولُ ذلــكَ، وارتجفَتْ إبساك ما إنْ سمعَتْ ما قالَهُ. كانَ ابنُ عُرسٍ يقفُ علَى قائمتَيهِ الخلفيتَينِ، ويحدّقُ إلى إبساك منْ بعيدٍ، ولا بدَّ أنّهُ يشــعرُ بالغضبِ الشّديدِ منْ فرخِ البطِّ البرّيِّ لأنّهُ حرمَهُ منْ فريستِهِ.

"عودِي الآنَ إلى المكانِ الّذي جئتِ منهُ بعــدَ أنْ نجــوْتِ بحياتِكِ".

بدأَ فرخُ البطِّ البرّيُّ بالتّمايلِ في مشيتِهِ في أثنــاءِ ابتعــادِهِ عنهَا.

تمتمَتْ إبساك: "لكنْ، إلى أينَ أذهبُ؟".

لم يُظهرْ فرخُ البطِّ البرّيُّ أيَّ استعدادٍ لاصطحابِ إبســاك معَهُ. أرادَتْ أنْ تذهبَ معَهُ إلى باحةِ الحظيرةِ، لكنّهُ أمَرَها قائلاً: "عودِي إلى بيتِكِ".

"لنْ أعودَ مجدّداً إلى ذاكَ القنِّ الّذي غادرْتُهُ منذُ وقتٍ قريبٍ. إنّني معتلّةٌ".

Twitter: @alqareah

"معتلّةٌ! وما الّذي يعنيهِ ذلكَ؟".

"لا أعرفُ علَى وجهِ التّحديدِ، لكنّني أظنُّ أنّها تعني أنّهُ يُسمحُ لي بالخروجِ منَ القنِّ".

"حتّى لوْ كانَ الأمرُ كذلكَ، إنّ بقاءَكِ هنا فيهِ خطرٌ كبيرٌ عليكِ. يجبُ عليكِ أنْ تذهبِي إلى مكانٍ آخرَ. لقدْ تأخّرَ الوقتُ، وينبغِي للجميعِ النّومُ".

بدأَ فرخُ البطِّ البرّيُّ بالابتعادِ عنْهَا مجدّداً، لكنّهُ بدَا متعباً. نظرَتْ منْ وراءِ جناحِهَا نحوَ ابنِ عُرسٍ، وسرعانَ ما سارَتْ وراءَ فرخِ البطِّ البرّيِّ.

"لكنْ، كيفَ عرفْتَ أنّني في تلكَ الحفرةِ؟".

"رأيْتُ ابنَ عُرسٍ في أثناءِ عودتِي منَ البركةِ، وكانَ يتربّصُ في المكانِ، ممّا يعني وجودَ دجاجةٍ حيّةٍ في الحفرةِ. إنّني أعرفُ كيفَ يفكّرُ ذلكَ الشّريرُ!".

حرّكَ فرخُ البطِّ البرّيُّ ريشَ عنقِهِ مجدّداً.

"يبحثُ ابنُ عُرسٍ عنْ فريسةٍ حيّةٍ علَى الدّوامِ. إنّ مواجهتَهُ صعبةٌ بالنّسبةِ إلى الجميعِ. يُضافُ إلى ذلكَ أنّهُ كبيرٌ، وهوَ أكبرُ حجماً منْ معظمِ الحيواناتِ. هذا هوَ السّببُ الّذيْ يدفعُهُ إلى التّصرّفِ بطريقةٍ شرّيرةٍ، فهوَ يتصرّفُ كذلكَ ليُظهرَ مدى عظمتِهِ. تشكّلُ أيُّ دجاجةٍ حيّةٍ فريسةً جيّدةً بالنّسبةِ إليهِ. يندرُ أنْ يتكرّرَ ما حدثَ اليومَ. أنتِ محظوظةٌ جدًّا".

"أجلْ. كنتُ محظوظةً جدًّا. الشّكرُ كلُّهُ لَكَ".

Twitter: @alqareah

سارَتْ إبساك وراءَ فرخِ البطِّ البرّيِّ مباشرةً، وتذكّرَتْ كيفَ اقشعرَّ ريشُها عندَمَا سمعَتْهُ وهوَ يقولُ: "تشكّلُ فريسةً جيدةً".

ضحكَ فرخُ البطِّ بطريقةٍ محبّبةٍ وقالَ: "لم يسبقْ لي أنْ رأيْتُ دجاجةً مثلَكِ. سررْتُ جدًّا لتصرّفِكِ بتلكَ الطّريقةِ، فلا بدَّ أنّهُ تعبَ جدًّا وهوَ يحاولُ الإمساكَ بدجاجةٍ مثلِكِ تتمتّعُ بكلِّ هذهِ الحيويةِ".

ضحكَ فرخُ البطِّ البرّيُّ بسرورٍ، ونظرَ وراءَهُ إلى الحفرةِ حيثُ كانَ ابنُ عُرسٍ لا يزالُ يحدّقُ إليهِمَا. أدارَتْ إبساك رأسَهَا بسرعةٍ، لكنَّ فرخَ البطِّ البرّيَّ كانَ واثقاً منْ نفسِهِ.

"سنلتقِي يوماً ما. إنّهُ لا ييأسُ أبداً".

"هلْ... هلْ... هلِ الأمرُ كذلكَ؟".

"يبدُو أنّكِ أوّلَ دجاجةٍ تخرجُ منْ تلكَ الحفرةِ وهيَ علَى قيدِ الحياةِ".

تمتمَتْ إبساك: "لم أكنْ ميتةً".

تابعَ فرخُ البطِّ البرّيُّ سيرَهُ، ولمْ يقُلْ أيَّ شيءٍ بعدَ ذلكَ. وبعدَ قليلٍ، مرَّا أمامَ شجرةِ الخرنوبِ الأسودِ، ثمّ دخلاَ باحةَ الحظيرةِ.

سألَ فرخُ البطِّ: "إلى أينَ ستذهبينَ؟".

تردّدَتْ إبساك قليلاً، ثمّ أجابَتْ: "حسناً، لا أنوِي العودةَ إلى القنِّ بالتّأكيدِ".

Twitter: @alqareah

"قلتِ لي هذا منْ قبلُ".

كانَتْ إبساك تأملُ أنْ يساعِدَها فرخُ البطِّ، فقالَتْ: "ماذا؟ أجلْ، لقدْ فعلْتُ ذلكَ منْ قبلُ... أليسَتْ هناكَ فرصةٌ لتأخـــذَني معكَ؟".

"إلى أينَ؟ إلى الحظيرةِ؟".

هزَّ فرخُ البطِّ رأسَهُ مفكّراً وكأنّها قدْ وضعَتْهُ في موقـــفٍ محرجٍ. لكنّهُ لم يتمكّنْ منْ رفضِ طلبِ إبساك علَى الفورِ، وذلكَ لأنّهُ كانَ متعاطفاً معَها.

"إنّني غريبٌ هنا؛ مثلُكِ في الواقعِ. لكنّكِ دجاجةٌ، ألسْـــتِ كذلكَ؟".

اصطحبَ فرخُ البطِّ البرّيُّ إبساك معَهُ إلى الحظيرةِ، وهـــيَ المكانُ المناسبُ لكلِّ الحيواناتِ الّتي تعيشُ فيهَا.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الثالث

طيورُ الحظيرةِ

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

تمدّدَ الكلبُ العجوزُ علَى بطنِهِ، متجاوزاً بـــذلكَ الوجـــارَ المخصّصَ لهُ. كانَتْ عيناهُ المتعبتانِ واللّتانِ غلبَهُما النّعاسُ نصفَ مفتوحَتين، لكنّهُما اتسعَتَا لدَى رؤيتِهِ فرخَ البطِّ وهوَ يتقدّمُ مَـــعْ دجاجةٍ غريبةِ المنظرِ تسيرُ وراءَهُ. نظرَ بريبةٍ نحوَ الدّجاجةِ المبلّلـــةِ الّتي فقدَتْ كلَّ الرّيشِ حولَ عنقِها.

"يا لِرائحتِها الكريهةِ!".

تقدّمَ الكلبُ نحوَهُما، فالتصقَتْ إبساك بفرخِ البطِّ خائفةً.

قالَ فرخُ البطِّ البرّيُّ بلطفٍ كيْ لا يثيرَ غضبَ الكلبِ: "لا تزعجْها. إنّها مجردُ دجاجةٍ".

لكنَّ الكلبَ استمرَّ بالزّمجرةِ ودارَ حولَ إبساك، وبدَا وكأنّهُ يتحيَّنُ الفرصةَ للإمساكِ بها.

"لا يمكنُني السّماحُ لأيٍّ كانَ بالدّخولِ إلى هُنَا. إنَّ سُمعتِي كحارسٍ لا غبارَ عليها!".

أخافَهُما الكلبُ عندَمَا كشّرَ عنْ أنيابِهِ واستمرَّ بـــالزّمجرةِ. عندَهَا، خرجَتْ البطّاتُ المذعورةُ مِنَ الحظـــيرةِ واحـــدةً تلـــوَ الأخرى.

"هل عدْتَ؟ ظننَّا أنّكَ ذهبْتَ إلى الأبدِ".

"انظرِي إلى تلكَ الدّجاجةِ الّتي تسيرُ خلفَهُ".

Twitter: @alqareah

"لقدْ نُتِفَ ريشُها البشعُ؛ لا بدّ أنّها فرَّتْ من مائدةِ عشاءِ ابنِ عُرسٍ". بطبطَتْ البطّاتُ وضحكَتْ.

بقيَ فرخُ البطِّ البرّيُّ صامتاً، لكنّ إبساك لاحظَتْ أنّ ريشَ رقبتِهِ انتصبَ وأنّهُ يُرتجفُ. شعرَتْ بالأسفِ لأجلِهِ، وبالحرجِ لأنّ البطّاتِ تسخرُ منهُما.

"أنتَ أيُّها المتشرّدُ، إنّنا بالكادِ نمتلكُ مكاناً لكَ. وبالمناسبةِ، أينَ عثرْتَ علَى هذهِ الدّجاجةِ المريضةِ؟".

"تخلّصْ منْهَا! قدْ يكونُ مرضُها معدياً".

صاحَتْ كلُّ البطّاتِ مطالبةً إبساك بالمغادرةِ، كما زمجرَ الكلبُ بصوتٍ أعلى وبثقةٍ أكبرَ.

"هلْ فهمتِ الآنَ؟ لا تفكّري أبداً في البقاءِ هُنَا".

أحنَتْ إبساك رقبَتَها منْ شدّةِ الخوفِ. لكنّها لم تكنْ تعرفُ أيَّ مكانٍ يمكنُها التّوجّهُ إليهِ، ولهذا بقيَتْ قريبةً من فرخِ البطِّ البرّيِّ.

"أنا لستُ معديةً، ولا أرغبُ في إزعاجِ أحدٍ هُنَا. و...".

أوشكَتِ الدّموعُ علَى الانهمارِ من عينَيهَا حينَ أدركَتْ حقيقةَ وضعِها، فقدْ كانَتْ تظنُّ أنَّ كلَّ شيءٍ سيكونُ علَى ما يرامُ ما إنْ تخرجُ من القنِّ. يُضافُ إلى ذلكَ أنّها ألِفَتْ رؤيةَ جميعِ الطّيورِ الّتي تعيشُ في باحةِ الحظيرةِ.

"أردْتُ طوالَ عمري أنْ أعيشَ في باحةِ الحظيرةِ".

Twitter: @alqareah

"عمَّ تتحدثينَ؟ أنتِ مِنَ القنِّ. عودِي إلى قفصِكِ وضعِي البيضَ!".

"لكنّني...".

حاولَتْ إبساك جاهدةً إقناعَ طيورِ الحظيرةِ بعدمِ طردِها، لكنَّ شراسةَ الكلبِ كانَتْ تزدادُ عندَ كلِّ محاولةٍ. وقدْ دفعَها على الأرضِ بخطمِهِ عدّةَ مرّاتٍ، فيما ضحكتِ البطّاتُ كثيراً. وفي النّهايةِ، استسلمَتْ إبساك لمصيرِها، وانهمرَتِ الدّموعُ على وجهِها.

فجأةً، صاحَ فرخُ البطِّ البرّيُّ: "يا لِقسوتِكِ أيّتُها البطّاتُ! اتركِيهَا وشأنَهَا!". لم تتمكّنِ البطّاتُ الأخرى من البطبطةِ بصوتٍ أعلى من صوتِهِ.

"أردْتُ أن أسألَكِ عمّا بإمكانكِ فعلُهُ لمساعدتِها، لكنَّ تصرّفاتِكِ كانَتْ في غايةِ القسوةِ".

تمتمَتْ إحدى البطّاتِ: "إنّهُ يصفُنا بالقسوةِ، يبدو أنّهُ نسيَ تماماً أنّنا سمحْنَا لهُ بدخولِ الحظيرةِ".

وما إنْ سمعَ فرخُ البطِّ البرّيُّ كلامَها حتّى استشاطَ غضباً.

"لقدْ هربَتْ هذهِ الدّجاجةُ منْ حفرةِ الموتِ. هل تمكّنَتْ أيُّ دجاجةٍ أخرى مِنَ الخروجِ حيةً منْ تلكَ الحفرةِ سابقاً؟ لقدِ استطاعَتْ هذهِ الدّجاجةُ تسلُّقَ الحفرةِ بكلِّ جرأةٍ؛ بالرّغمِ منْ أنَّ عينَي ابنِ عُرسٍ كانَتَا مركّزتَين عليهَا!".

ظهرَتْ ملامحُ الصّدمةِ على البطّاتِ.

Twitter: @alqareah

"كانَ ذلكَ ابنَ عُرسٍ حقاً؛ هلْ كنتِ ستتمكّنينَ مِنَ النّجاةِ منهُ لوْ كنْتِ مكانها؟ أم كنتِ ستسيرينَ مضطرّةً نحوَ مصيركِ المحتومِ".

لم تُجبِ البطّاتُ، وربّما كانَ السّببُ في ذلكَ أنّ فرخَ البطِّ كانَ يصيحُ بصوتٍ عالٍ جدًّا، إلى درجةِ أنّ الكلبَ توقّفَ عنِ الزّمجرةِ تماماً.

"هلْ تستدعِي إقامتُهَا في زاويةٍ صغيرةٍ مِنَ الحظيرةِ كلَّ هذهِ الضّجةِ؟".

لم يسبقْ لإبساك أنْ رأَتْ فرخَ البطِّ البرّيَّ واثقاً منْ نفسهِ كحالِهِ الآنَ؛ وهوَ الّذي لطالَما كانَ يحتلُّ مركزاً وضيعاً بالنّسبةِ إلى بقيةِ البطّاتِ.

"اسكتْ. كيفَ يمكنُكَ أنْ تهينَنَا أيُّها المتشرّدُ؟!".

خرجَ فرخُ بطٍّ آخرُ، ووبّخَ فرخَ البطِّ البرّيَّ. كانَ ذلكَ رئيسَ البطّاتِ. عندَهَا، لم يكنْ أمامَ فرخِ البطِّ البرّيِّ سوى البقاءِ هادئاً.

"لم يكنْ منَ السّهلِ علينا أنْ نسمحَ لكَ بدخولِ الحظيرةِ، وها أنتَ الآنَ تبدو ناكراً للجميلِ".

ظهرَ الدّيكُ عندَمَا بدأَ صوتُ رئيسِ البطّاتِ يعلُو أكثرَ فأكثرَ.

"أنا ملكُ باحةِ الحظيرةِ، ولا يُسمحُ لأحدٍ بأنْ يتكلّمَ مَعْ هذا المتشرّدِ. لكنْ، أنا ملكُ باحةِ الحظيرةِ، وأنا الّذي أتّخذُ كلَّ القراراتِ".

Twitter: @alqareah

صمتَتْ جميعُ الطّيورِ وأصغَتْ عندَمَا تكلّمَ الدّيكُ. كـــانَ صوتُهُ حادًّا، ويشبهُ إلى حدٍّ بعيدٍ صوتَهُ عندَمَا يصيحُ "كوكـــو كوكو" في الصّباحِ.

"لنْ أسمحَ بمزيدٍ منْ هذا الضّجيجِ. لقد تأخّرَ الوقـــتُ الآنَ، ويُحتملُ أنّ ابنَ عُرسٍ يربضُ في مكانٍ قريبٍ، لذلكَ سوفَ أسمحُ للدّجاجةِ بدخولِ الحظيرةِ، وإنّما لهذهِ اللّيلةِ فقطْ. إنّ بابَ القنِّ مقفلٌ علَى أيّ حالٍ، لذلكَ يمكنُكِ أن تنامِي في آخرِ الحظـــيرةِ، لكنْ، عليكِ أن تغادِري ما إنْ أصيحُ معلناً طلوعَ الفجرِ".

حسمَتْ كلماتُ الدّيكِ هذهِ المسألةَ أخيراً.

توجّهَ الدّيكُ مَعْ دجاجتِهِ إلى الحظيرةِ أوّلاً، وتبعَهُما رئـــيسُ البطّاتِ والبطّاتُ الأخرى، وأخيراً دخلَ فرخُ البطِّ البرّيُّ. عندَهَا، دخلَتْ إبساك بكلِّ حذرٍ. الكلبُ العجوزُ وحدُهُ الّذي كـــانَ لا يزالُ غاضباً بقيَ في باحةِ الحظيرةِ وهوَ يجتازُهَا ذهاباً وإياباً.

كانَ الجوُّ مريحاً في الحظيرةِ الّتي توزّعَتْ فيها أوانِي الميـــاهِ والطّعامِ، وكذلكَ حِزَمُ القشِّ، وكلُّها في جهةٍ واحدةٍ. لم تعثـــرْ إبساك علَى أثرٍ للأسلاكِ الّتي كانَتْ تصدمُها في كلِّ مرّةٍ كانَتْ تحاولُ فيها أن تصفّقَ بجناحَيْها.

استقرَّ الدّيكُ ودجاجةُ الحظيرةِ في مكانهما العالي، ونظرَا إلى الأسفلِ نحوَ الطّيورِ الأخرى. فيما تجمعَتِ البَطّاتُ معاً، لكنَّ فرخَ البطِّ البرّيَّ جثمَ بعيداً عنها قربَ البابِ. يُحتملُ أن يكونَ ذلكَ مكانَهُ المعتادَ.

Twitter: @alqareah

أدركَتْ إبساك أنّهُ يتعيّنُ عليها أن تتواجدَ علَى مسافةٍ أقربَ إلى البابِ من فرخِ البطِّ. لذا، جثمَتْ في مكانِها، ولَمْ تجرؤْ حتّى علَى أن تحلمَ بالقشِّ المريحِ والدّافئِ.

تمتمَتْ دجاجةُ الحظيرةِ بغضبٍ من مكانِهَا العالي: "لا أفهمُ هذهِ الفوضى. لا يمكِنُني أنْ أرتاحَ إذا لم تغادرْ تلكَ الدّجاجةُ عندَ الصّباحِ. إنَّ أعصابِي لا تحتملُ وجودَهَا، وخاصةً لأنّني علَى وشكِ أنْ أضعَ البيضَ، ولا أريدُ أن يمنعَهَا أحدٌ منَ التّفقيسِ بسلامةٍ. يتذكّرُ الجميعُ، وبكلِّ تأكيدٍ، أنّني خسرْتُ كلَّ فراخِي في المرةِ الماضيةِ".

نظرَتْ إبساك إلى الدّجاجةِ عندَمَا سمعَتْ أنَّها علَى وشكِ أن تضعَ البيضَ. كانَ الضّوءُ خافتاً، لكنّها تمكّنَتْ رغمَ ذلكَ منْ ملاحظةِ أنَّ الدّجاجةَ رشيقةٌ وجميلةٌ؛ فريشُهَا مرتّبٌ ولامعٌ، وكلُّ واحدةٍ منهُ تنتهِي بما يشبهُ العرفَ الأحمرَ التّقليديَّ. كانَتْ تلكَ الدّجاجةُ منْ دونِ شكٍّ الرّفيقةَ المناسبةَ لذلكَ الدّيكِ الملوكيِّ.

هل كُنْتُ جميلةً مثلَهَا في يومٍ من الأيّامِ؟ إنّها علَى وشكِ أنْ تحضنَ بيضَها، يَا لَها منْ محظوظةٍ!

حسدَتْ إبساك الدّجاجةَ. إذْ لم يقتصرِ الأمرُ علَى كونِها رشيقةً، ولكنّها علَى وشكِ أنْ تحتضنَ فراخَها. لم تكترثْ إبساك بمظهرِها منْ قبلُ، لكنّها أدركَتِ الآنَ مدى بشاعةِ منظرِ رقبتِهَا الخاليةِ من الرّيشِ، وشعرَتْ بخجلٍ مفاجئٍ منْ مظهرِهَا، وجهدَتْ

Twitter: @alqareah

في محاولةِ كتمانِ الأسى الّذي تشعرُ بِهِ في قلبِها، وتمنَّتْ ألاَّ ينظرَ أحدٌ إلى رقبتِهَا العاريةِ.

يبقى مَعْ ذلكَ واقعُ خروجي منَ القنِّ. إنّني مَعْ طيورِ باحةِ الحظيرةِ في هذهِ اللّحظة بالذّاتِ. يُضافُ إلى ذلكَ أنّني سوفَ أتمكّنُ من وضعِ البيضِ في وقتٍ قريب، ولنْ يطولَ الأمرُ قبلَ أنْ...

قرّرَتْ إبساك التّفكيرَ بطريقةٍ إيجابيةٍ. لكنّها تذكرَتْ مَعْ ذلكَ أنَّ الدّيكَ أمرَهَا بالمغادرةِ عندَ الصّباحِ، وهكذَا شعرَتْ بالضّياعِ، وبأنّها جائعةٌ كثيراً.

تمتّعَتْ إبساك بليلةٍ هانئةٍ نامَتْ فيها ملءَ جفنَيْهَا، وذلكَ للمرّةِ الأولى منذُ فترةٍ طويلةٍ. استيقظَتْ قبلَ جميعِ الطّيورِ في الحظيرةِ، حتّى قبلَ أنْ يستيقظَ الدّيكُ النّائمُ في مكانهِ العالي، لكنّهَا لم تتحركْ منْ مكانها. بقيَتْ صامتةً لأنّها أرادَتِ التّمتّعَ بدفءِ زاويتِهَا لوقتٍ أطولَ بقليلٍ، وكذلكَ لأنّها لم ترغبْ في إزعاجِ طيورِ الحظيرةِ الّتي ما زالَتْ نائمةً.

يُحتملُ أنّها ستسمحُ لي بالبقاءِ هُنَا. فرخُ البطِّ البرّيُّ غريبٌ عنهَا، لكنّهُ يعيشُ معهَا رغمَ ذلكَ. يُحتملُ أيضاً أنْ تفهمَ موقفِي إذا أقنعتُها أنّني أتوقُ للعيشِ في باحةِ الحظيرةِ.

استيقظَ الدّيكُ، وسرعانَ ما رتّبَ منْ مقعدِهِ العالي ريشَهُ للحظةٍ؛ مستخدماً منقارَهُ، ثُمّ نشرَ جناحَيْهِ. صاحَ بعدَ ذلكَ: "كوْكوْ - كوْكوْ".

Twitter: @alqareah

قفزَ منْ مقعدِهِ العالي، وسارَ نحوَ إبساك الّتي نهضَتْ واقفةً وأفسحَتْ لَهُ الطّريقَ.

خاطبَهَا وكأنّهُ يذيعُ مرسوماً.

"مِنَ الأفضلِ لكِ عندَمَا أصيحُ في المرةِ التّاليةِ أنْ تكوني في الخارجِ. لا يمتلكُ ذلكَ المتشرّدُ أيَّ مكانٍ آخرَ يذهبُ إليهِ، أمّا أنتِ فلديْكِ مكانٌ يمكنُكِ اللّجوءُ إليهِ؛ القنُّ. هناكَ، في الدّاخلِ، ستشعرينَ بالأمانِ. فكمَا لا بدّ أنّكِ تعرفينَ، إنّ أكثرَ الدّجاجاتِ شجاعةً لا تتمكّنُ دائماً من الهربِ مِنَ ابنِ عُرسٍ".

كانَ الدّيكُ يتكلّمُ بجديّةٍ؛ كتلكَ الّتي يتكلّمُ بها الحكّامُ.

"سمحْتُ لكِ بالبقاءِ في اللّيلةِ الماضيةِ لأنّكِ منْ فصيلةِ الطّيورِ ذاتِ الأعرافِ، ولا يمكنُني السّماحُ بالهزءِ منْ فصيلتِنا. عودِي الآنَ منْ حيثُ أتيْتِ".

تجرّأَتْ إبساك علَى التّفاخرِ: "لا أريدُ العودةَ. أريدُ أنْ أعيشَ في باحةِ الحظيرةِ. لا يتعيّنُ عليَّ هُنَا أنْ أقلقَ بشأنِ ابنِ عُرسٍ. إنّني معتلّةٌ".

"معتلّةٌ؟".

أومأَتْ إبساك، لكنَّ الدّيكَ أطلقَ ضحكةً مدوّيةً، وحملقَ إليهَا عندَمَا توقّفَ عَنِ الكلامِ بطريقةٍ تهديديّةٍ، وكأنّهُ ينوِي أنْ ينقرَهَا إذا تجرّأَتْ علَى الرّدِّ.

"لا أحدَ يريدُك هُنَا".

Twitter: @alqareah

تحطّمَتْ آمالُ إبساك، وأغلقَتْ منقارَها بشدّةٍ، وشعرَتْ بالأسى والخجلِ.

وبعدَ لحظاتٍ، خرجَ الدّيكُ مِنَ الحظيرةِ. وسرعانَ ما سمعَتْ بعدَ وقتٍ قصيرٍ صيحةَ "كوْكوْ كوْكوْ، كوْكوْ". كانَتْ تلكَ الصّيحةُ هِيَ التّحذيرَ الأخيرَ الموجّهَ إليْهَا.

نظرَتْ إبساك إلى فرخِ البطِّ البرّيِّ. كانَ مستيقظاً ويحدِّقُ إليهَا، لكنّهُ لم يكنْ في وضعٍ يمكّنُهُ مِنَ التّدخلِ بسببِ منزلتِهِ الوضيعةِ. نظرَ إليهَا وكأنّهُ يعتذِرُ منهَا لعدمِ تمكّنِهِ منْ مساعدتِهَا.

فهمَتْ إبساك ما يريدُ فرخُ البطِّ البرّيُّ قولَهُ، وهوَ الّذي تمكّنَ منْ حمايتِهَا منْ فكّي ابنِ عُرسٍ، والّذي دافعَ عنهَا أمامَ الحيواناتِ الّتي تعيشُ في باحةِ الحظيرةِ. كانَ ذلكَ كافياً بالنّسبةِ إليها.

لكنّني أحبُّ العيشَ هُنَا بالفعلِ.

لم يكنْ أمامَ إبساك خيارٌ غيرُ مغادرةِ الحظيرةِ، لكنّها جثمَتْ تحتَ شجرةِ الخرنوبِ الأسودِ لأنّها لم تمتلكْ مكاناً آخرَ تلجأُ إليهِ.

راقبَتْ منْ حيثُ تجلسُ المزارعَ عندَمَا دخلَ القنَّ وهوَ يدفعُ أمامَهُ عربةَ اليدِ. وتذكّرتْ الأيّامَ الّتي كانَتْ تنتظرُ فيهَا فتحَ بابِ القنِّ كي تتمكّنَ منْ رؤيةِ باحةِ الحظيرةِ، وهيَ المكانُ الّذي ظنَّتْ أنّها لنْ تتمكّنَ أبداً مِنَ الوصولِ إليهِ. لكنْ، ها هيَ الآنَ هُنَا. وفي هذهِ اللّحظةِ بالذّاتِ، إنّها في باحةِ الحظيرةِ.

Twitter: @alqareah

"ليسَ هناكَ سببٌ كيْ أحزنَ، لأنَّ أمنيَتِي الأولَى قدْ تحقّقَتْ".

انتفضَتْ إبساك، ونظرَتْ إلى الأعلى نحو الشّجرةِ فوقَهَا الّتي لامسَتِ السّماءَ.

"سأضعُ بيضاً، وسوفَ أتمكّنُ منْ تربيةِ فراخِي كذلكَ. أحمدُ اللّهَ لأنّني علَى قيدِ الحياةِ".

أصدرَتْ معدتُها صوتاً عالياً، وشعرَتْ بجوعٍ شديدٍ فيمَا كانَتْ زوجةُ المزارعِ تطعمُ حيواناتِ باحةِ الحديقةِ. بدأَ لعابُها يسيلُ إلى أنْ عجزَتْ عَنِ البقاءِ في مكانِها ولوْ للحظةٍ واحدةٍ.

"يجبُ أنْ آكلَ أيضاً".

نهضَتْ واقفةً، ثمّ اندفعَتْ نحوَ وعاءِ العلفِ. كانَ مِنَ المدهشِ أنْ تمتلكَ قوّةً كهذِهِ، وذلكَ لأنّها لم تأكلْ شيئاً منذُ مدّةٍ طويلةٍ. لكنْ، هلْ بإمكانِهَا الوصولُ إلى الوعاءِ؟

"يا لوقاحتِكِ".

نقرَتْ إحدى البطّاتِ إبساك بمنقارِهَا العريضِ منْ دونِ شفقةٍ. كادَتْ تفقدُ وعيَهَا منْ قوّةِ النّقرةِ علَى رقبتِهَا الخاليةِ مِنَ الرّيشِ.

"اذهبي منْ هُنَا".

حملقَتِ البطّةُ إليها بشراسةٍ. دفعتْ إبساك رأسَهَا في الوعاءِ وابتلعَتِ المزيدَ مِنَ الطّعامِ، غيرَ أنّ البطّاتِ تجمّعَتْ حولَ الوعاءِ

Twitter: @alqareah

وقدْ رفعَتْ أذيالَها في الهواءِ، منْ دونِ أن تتركَ فراغاً يسمحُ بمرورِ شيءٍ بينَهَا.

حدّقَتْ إبساك من مكانِهَا في الأسفلِ إلى وعاءِ الطّعامِ المخصّصِ للدّيكِ ودجاجتِهِ. كانَ هناكَ مجالٌ كافٍ كيْ تنضمَّ إليهمَا، لكنَّ ذلكَ كانَ أشبهَ بالأمرِ المستحيلِ لأنّ الدّيكَ شَرِهٌ جدًّا وشَرِسٌ بما يكفي لمقاتلةِ الكلبِ العجوزِ للحصولِ علَى طعامِهِ. واستبعدَتْ كذلكَ التّفكيرَ في وعاءِ الطّعامِ المخصّصِ للكلبِ العجوزِ.

انتبهَ المزارعُ إلى وجودِ إبساك بعدَ خروجهِ مِنَ القنِّ وهُوَ يجرُّ عربَتَهُ. أمّا زوجةُ المزارعِ الّتي كانَتْ تستعدُّ لجمعِ البيضِ فقدْ توقّفتْ بدورِهَا.

قالَتْ زوجةُ المزارعِ: "لم تُمتْ تلكَ الدّجاجةُ".

أومأَ المزارعُ: "إنها دجاجةٌ عنيدةٌ".

"هلْ يجبُ علينا أنْ نعيدَهَا إلى القنِّ؟ أوه! حسناً، إنّها لم تعدْ تضعُ البيضَ. هلْ يجبُ علينَا أنْ نطبخَهَا؟".

خافَتْ إبساك كثيراً، لكنّهَا شعرَتْ بالأمانِ عندَمَا هزَّ المزارعُ رأسَهُ.

"إنها مريضةٌ. ستموتُ منْ تلقاءِ نفسِهَا، أوْ سيقتلُها ابنُ عُرسٍ".

بدا أنَّ المزارعَ وزوجتَهُ قرّرَا تركَ إبساك وشأنَها. لم يكنْ هناكَ سببٌ لتخشى إعادتَها إلى القنِّ مجدّداً.

Twitter: @alqareah

"أتمنّى لوْ أحصلُ علَى بعضِ الطّعامِ".

بلعَتْ ريقَهَا مَعْ أنّها لم تكنْ تأكلُ شيئاً، وفكّرتْ في أنّ دجاجاتِ القنِّ تأكلُ في هذا الوقتِ. كانَتْ جائعةً جدًّا، وشعرَتْ بأنَّ معدتَها تكادُ تتمزّقُ. اكتشفَتْ أنّ الحياةَ في باحةِ الحظيرةِ أصعبُ بكثيرٍ ممّا كانَتْ تتوقعُ، لكنّهَا مَعْ ذلكَ رفضَتْ أنْ تفكّرَ في العودةِ إلى القنِّ.

توجهَتْ إبساك نحوَ كومةِ السّمادِ، أيْ مثلمَا يفعلُ الدّيكُ ودجاجةُ باحةِ الحظيرةِ. وبدأَتْ بالحفرِ والنّكشِ من دونِ أن تعرفَ عمّا تبحثُ.

"لماذا!؟ هاْ هِيَ...".

ظهرَتْ دودةٌ رائعةٌ وهِيَ تتلوّى فوقَ الكومةِ. أدركَتْ إبساك أنّ الدّيدانَ أكثرَ منْ مجرّدِ وجبةٍ سهلةٍ، فهيَ لذيذةٌ جدًّا.

"ابتعدِي عنْ وجبتِي الخفيفةِ".

طاردَتْ دجاجةُ باحةِ الحظيرةِ إبساك، ونقرَتْ رأسَهَا بكلِّ شراسةٍ، فاضطرّتْ إبساك إلى التّراجعِ وهيَ تصيحُ منْ شدّةِ الألمِ. عاودَتِ الدّجاجةُ نقرَ إبساك بغضبٍ في كلِّ أنحاءِ جسمِهَا، وطردَتْها أخيراً إلى خارجِ باحةِ الحظيرةِ.

شعرَتْ إبساك بالألمِ في أنحاءِ جسمِهَا كافةً، لكنّها تألّمتْ أكثرَ بسببِ الجوعِ. وتوجّهَتْ بعدَ ذلكَ إلى حديقةِ الخضارِ، وتناولَتْ قضمةً شهيّةً منْ ورقةِ ملفوفٍ، كمَا روَتْ عطشَهَا

Twitter: @alqareah

بقطراتِ النّدى الّتي تجمّعَتْ فيها. لكنّهَا كانَتْ متأكّدةً منْ أنّها إذا مكثَتْ مدّةً أطولَ فإنّ الدّيكَ والدّجاجةَ سيطاردانهَا مجدّداً.

غادرَتْ إبساك حديقةَ الخضارِ. لم تكنْ هذهِ الحديقةُ هي الحديقةَ الوحيدةَ في العالمِ. كانَتْ تعرفُ أنّ تلكَ الحدائقَ بعيدةٌ عنْ باحةِ الحظيرةِ، لكنّها وجدَتْ عدّةَ حقولٍ أمامَهَا، وعثرَتْ فيهَا علَى ما يكفِي مِنَ الطّعامِ.

"آهٍ".

تمكّنَتْ إبساك فيْ هذا الوقتِ مِنَ الوقوفِ علَى رجلَيْها، وقوقأَتْ بكلّ سرورٍ. لم يكنْ بإمكانِ أيّ كائنٍ حيٍّ - حتّى الدّيكُ ودجاجةُ باحةِ الحظيرةِ - التّمتعُ بحقولٍ واسعةٍ كهذِهِ.

Twitter: @alqareah

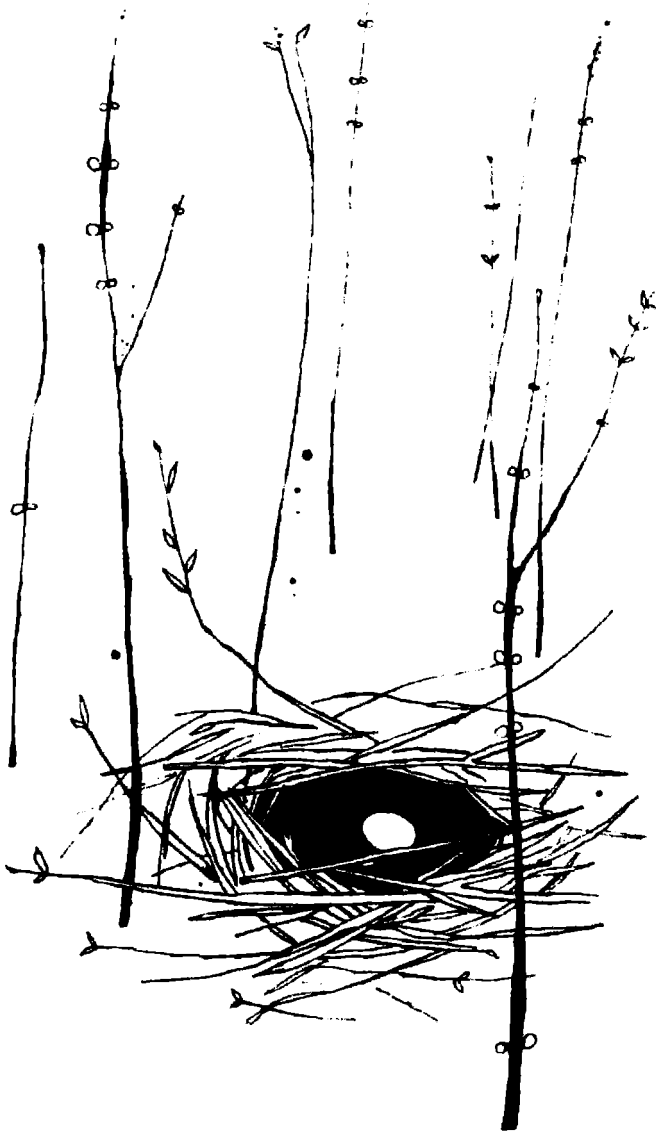

Twitter: @alqareah

الفصل الرابع

الصّديق

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

مكثَتْ إبساك في الحقلِ طوالَ النّهـــارِ، وأكلَـــتْ ديـــدانَ الملفوفِ. تمدّدَتْ علَى بطنِهَا بعدَ أنْ نكشَتِ التّرابَ بمخالِبِهـــا. كانَتْ تستمتعُ بدرجةٍ أكبرَ ممّا تخيّلَتْ عندَمَا كانَتْ لا تـــزالُ في القنِّ.

غادرَتِ البطّاتُ الحظيرةَ للتّنـــزّهِ فوقَ التّلّةِ علَى أنْ ترجـــعَ عندَ المساءِ. أمّا الدّيكُ ودجاجتُهُ فبقيَا في حديقةِ الخضارِ. ولهـــذا السّببِ، تمكّنَتْ إبساك منَ التّمتّعِ بيومِهَا منْ دونِ أن يزعجَهَـــا أحدٌ. كانَ الأمرُ مُرضِياً حقًّا، لكنّ مخاوفَها ازدادَتْ عندَ الغسقِ.

"يجبُ أن أعثرَ علَى مكانٍ آمنٍ لأمضيَ فيهِ اللّيلةَ. أعرفُ أنّ ابنَ عُرسٍ يتواجدُ هُنَا في مكانٍ مَا".

بحَثَتْ في الحقلِ الواسعِ عنْ مكانٍ آمنٍ تستطيعُ أن تصنَعَ فيهِ عشًّا لها، لكنَّها لم تعثرْ علَى أيِّ مكانٍ تختبئُ فيهِ، ولهذا قـــررَتِ العودةَ إلى باحةِ الحظيرةِ.

كانَتْ جميعُ طيورِ باحةِ الحظيرةِ قدْ عادتْ إليهَـــا، وكـــانَ الكلبُ هو الحيوانَ الوحيدَ الموجودَ في الخارجِ ليحرسَ المكـــانَ. حملقَ الكلبُ إلى إبساك مُبدياً عدمَ ترحيبِهِ بها.

ودمدمَ وهوَ يدورُ حولَها: "أنتِ لا تمتلكينَ أيَّ فرصةٍ اليومَ، لأنّ أحداً لنْ يساعدَكِ هذهِ المرّةَ. فقدْ تلقّى ذلكَ المتشرّدُ إنذاراً،

Twitter: @alqareah

وسيضطرُّ إلى مغادرةِ الحظيرةِ إذا شاغبَ مجدّداً، لذلكَ لن يدافعَ عنْكِ".

ابتعدَتْ إبساك عَنِ الكلبِ، ثمَّ وقفتْ لتدافعَ عنْ نفسِهَا.

"يُضافُ إلى ذلكَ أنَّ دجاجةَ باحةِ الحظيرةِ تستعدُّ لحضانةِ البيضِ. إنّ منْ واجبي الحرصَ علَى عدمِ حدوثِ أيِّ ضجّةٍ هُنَا، لذلكَ أنصحُكِ بألاَّ تتسكّعِي هُنَا".

كانَ الكلبُ العجوزُ خائفاً من نوبةِ غضبِ الدّجاجةِ. فستكونُ إهانةً كبيرةً لهُ لوْ نقرتْهُ هذهِ الدّجاجةُ الفتيةُ في خطمِهِ، ولا شكَّ في أنّ الإحراجَ الّذي سيشعرُ بِهِ سيكونُ كبيراً جدًّا.

توسلَتْ إبساك إلى الكلبِ بكلِّ لطفٍ كيْ لاْ تُغضبَهُ: "ما مِنْ مكانٍ لديَّ لأنامَ فيهِ غيرَ هذا المكانِ". لم ترغبْ في أنْ تنامَ في الحظيرةِ كاللّيلةِ السّابقةِ، وكلُّ ما أرادَتْهُ هوَ تمضيةُ ليلتِهَا تحتَ حمايةِ الكلبِ، وفي أيِّ مكانٍ داخلَ باحةِ الحظيرةِ.

"هذا مستحيلٌ. سأكونُ أكثرَ انشغالاً منذُ الآنَ فصاعِداً. تريدُ الدّجاجةُ أن تجثُمَ علَى بيضِهَا في مكانٍ يمنحُهُا الخصوصيّةَ؛ أيْ هناكَ".

أشارَ الكلبُ إلى أجمةِ قصب تقعُ قربَ كومةِ السّمادِ. بدا الأمرُ وكأنَّ ابنَ عُرسٍ يستطيعُ اختراقَها بسهولةٍ خلالَ اللّيلِ.

"سأضطرُّ قريباً إلى القيامِ بدوريّةٍ إلى ذلكَ المكانِ البعيدِ...

Twitter: @alqareah

وفي سنِّي هذهِ". تنهّدَ الكلبُ قبلَ أنْ يتابعَ: "إنّها تعتمدُ عليّ. ما إنْ تعرفُ أنّكِ هُنَا حتّى تصبحَ هستيريّةً. أكرهُ كثيراً الدّخولَ في مشاجراتٍ في عمري هذا".

"أعدُكَ أنّني لنْ أصدرَ أيَّ صوتٍ، حتّى إنّني لنْ أحرِّكَ ريشةً واحدةً. دعْني أبقَى لفترةٍ قصيرةٍ بمحاذاةِ الجدارِ الحجريِّ، أوْ في إحدَى زوايَا باحةِ الحظيرةِ. أعدُكَ بأنْ أنهضَ وأغادرَ المكانَ قبلَ أنْ يستيقظَ الدّيكُ".

"لا تطلُبِي منّي شيئاً ليسَ في مقدوري الموافقةُ عليهِ. كنتُ حارساً لا غبارَ عليهِ طيلةَ حياتِي، ولاْ يمكنُني الآنَ أنْ أفعلَ شيئاً يخالفُ القوانينَ".

"لماذا لا أستطيعُ العيشَ في باحةِ الحظيرةِ؟ إنّني دجاجةٌ مثلُ غيرِي".

""يا لكِ منْ دجاجةٍ حمقاءَ! كيفَ تفكرينَ في أمورٍ كهذهِ؟". زمجرَ الكلبُ قبلَ أنْ يتابعَ: "أنتِ دجاجةٌ، لكنّكِ مختلفةٌ عَنِ الدّجاجاتِ الأخرى. أَلاْ تفهمينَ؟ يعرفُ الجميعُ أنّني أحرسُ باحةَ الحظيرةِ، وأنّ الدّيكَ يعلنُ عنِ انبلاجِ الفجرِ، وأنّهُ يجدرُ بكِ وضعَ البيضِ في القنِّ. ليسَ في باحةِ الحظيرةِ، وإنّما في القنِّ؛ هذهِ هيَ القوانينُ".

"وماذا سيحدثُ إذا لم نوافقْ علَى تلكَ القوانينِ؟".

"هذا هراءٌ".

هزَّ الكلبُ رأسَهُ بعنفٍ، وعادَ إلى وجارِهِ.

Twitter: @alqareah

عرفَتْ إبساك أنَّ الكلبَ لنْ يساعدَهَا. وأدركَتْ كذلكَ أنّها لوْ أغضبتْهُ فسوفَ يهزأُ بها كمَا فعلَ في الصّباحِ. وفكّرَتْ في ما قالَهُ الكلبُ لَها: "لا أحدَ يريدُك هُنَا".

غادرَتْ إبساك باحةَ الحظيرةِ، لكنّها لم تعرفْ إلى أينَ تتوجّهُ. لم يكنْ لديهَا أيُّ خيارٍ غيرَ أنْ تحفرَ التّرابَ بمخالبِهَا تحتَ شجرةِ الخرنوبِ الأسودِ. تكوّنَ عندَهَا منخفضٌ واسعٌ بما يكفِي كيْ تضعَ بطنَهَا فيهِ.

كانَتْ خارجَ حدودِ باحةِ الحظيرةِ، لذلكَ اكتفَى الكلبُ بأنْ حدّقَ إليهَا ورمشَ بعينيهِ مِنْ دونِ أنْ يكترثَ بما تفعلُهُ. وشعرَتْ إبساك بمزيجٍ مِنَ الغضبِ والأسى.

أرغبُ في مغادرةِ المزرعةِ إذا تمكّنْتُ منْ ذلكَ.

بدأَتْ دجاجةُ باحةِ الحظيرةِ بوضعِ بيضِهَا في أجمةِ القصبِ. كانَتْ تخرجُ بينَ وقتٍ وآخرَ إلى كومةِ السّمادِ كيْ تأكلَ الدّيدان، وامتنعَتْ عنْ زيارةِ حديقةِ الخضارِ، واكتفَتْ بالتّركيزِ كليًّا علَى حضانةِ بيضِها. كانَتْ إبساك تشعرُ بالاكتئابِ بمجردِ أنْ تنظرَ إليهَا.

كمْ مِنَ الأيامِ مرّتْ عليهَا منذُ أنْ وضعَتْ آخرَ بيضةٍ لَها؟ لم تشعرْ بهذِهِ الرّغبةِ عندَمَا كانَتْ في القنِّ، لكنَّ الرّيشَ عادَ الآنَ للظهورِ حولَ رقبتِهَا، واستعادَتْ قوّتَها. لكنَّهَا رغمَ ذلكَ لم تشعرْ بعدُ بالإحساسِ الشّاملِ بالسّعادةِ التّامةِ لأنّها لم تتمكّنْ منْ وضعِ البيضِ مجدّداً، وحتّى عندَمَا أصبحَتْ بمفردِهَا.

Twitter: @alqareah

"عندِي أمنيةٌ. أريدُ أنْ يفقسَ البيضُ الّذي أضعُهُ وتخرجَ منهُ فراخٌ صغيرةٌ. لكنْ...".

كانَ شعورٌ مخيفٌ يسيطرُ عليهَا في بعضِ الأحيانِ، يترافقُ معْ فكرةِ أنّها لم تعدْ قادرةً ربَّمَا علَى وضعِ البيضِ مجدّداً. كانَتْ تلكَ الفكرةُ تثيرُ حزنَها ويأسَها. إنَّ الحياةَ الّتي تمضيهَا مِنْ دونِ أنْ تفعلَ شيئاً غيرَ التّجوّلِ في الحقولِ، والبحثِ عَنِ الطّعامِ، لا تختلفُ كثيراً عَنِ الحياةِ في القفصِ.

"لا تناسبُنِي الأفكارُ السّلبيّةُ. سأتمكّنُ منْ وضعِ البيضِ. سأفعلُ ذلكَ بالطّبعِ، وسيكونُ عندي عشٌّ في وقتٍ قريبٍ".

واسَتْ إبساك نفسَهَا بفكرةِ أنّها لا تستطيعُ أن تضعَ بيضَهَا في مكانٍ تقلقُ فيهِ منَ ابنِ عُرسٍ، وتنامُ فيهِ نوماً متقطّعاً. لكنّ ذلكَ كانَ مجرّدَ عذرٍ. فقدْ كانَتْ تُمضِي اللّيلةَ كلَّها في بعضِ الأحيانِ وهيَ مستيقظةٌ لأنّ عينَي ابنِ عُرسٍ كانتَا تلمعانِ وهوَ ينظرُ إليهَا وسطَ الظلمةِ. لكنَّ الكلبَ كانَ يزمجرُ في كلِّ مرّةٍ كانَ يشمُّ فيهَا رائحةَ ابنِ عُرسٍ، وهكذَا لم يتجرّأْ هذا الأخيرُ علَى الاقترابِ، فشعرَتْ إبساك أنها آمنةٌ منْ دونِ أنْ تلجأَ إلى الحظيرةِ.

"ماذا سأفعلُ في حياتي إذا لم أستطعْ أنْ أضعَ البيضَ مجدّداً؟".

شعرَتْ إبساك بالوحدةِ، كمَا أنَّ فرخَ البطِّ البرّيَّ زادَ منْ شعورِهَا بالوحشةِ.

Twitter: @alqareah

فقدْ عثرَ فرخُ البطِّ البرّيُّ علَى شريكةٍ لَهُ. إذْ كانَتْ ترافقُهُ علَى الدّوامِ بطّةٌ بلونِ الثّلجِ الأبيضِ، وكانَا يلعبانِ معاً علَى الدّوامِ. رأَتْ إبساك في المرّةِ الأولى الّتي لحقَتْ فيهَا بالبطّاتِ إلى البركةِ، فرخَ البطِّ البرّيَّ وهوَ يغطسُ في المياهِ مَعَ البطّةِ البيضاءِ، ثُمّ يقفزُ علَى ظهرِهَا. كانَتْ إبساك سعيدةً لأنَّ فرخَ البطِّ البرّيَّ الّذي كانَ وحيداً علَى الدّوامِ وجدَ رفيقةً لَهُ. لكنَّ الشّعورَ بالوحدةِ الّتي كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ يشعرُ بِهَا في السّابقِ عرفَ طريقَهُ إليهَا بدلاً منهُ.

تغيّرَ فرخُ البطِّ البرّيُّ منذُ أنْ وجدَ رفيقتَهُ. فلمْ يعدْ يتبعُ سربَ بطّاتِ باحةِ الحظيرةِ، وكانَ يتغيّبُ عَنِ الحظيرةِ في بعضِ اللّيالي. وفي مثلِ تلكَ اللّيالي، كانَتْ إبساك تقلقُ عليهِ وتعجزُ عَنِ النّومِ.

وفي أحدِ الأيامِ، كانَتْ إبساك تتناولُ فطورَهَا في الحقلِ، فشاهدَتِ البطّاتِ وهيَ تخرجُ إلى البركةِ كالمعتادِ، لكنّ فرخَ البطِّ البرّيَّ لم يكنْ معهَا.

"إلى أينَ ذهبَ المتشرّدُ؟".

شاهدَتْ إبساك البطّاتِ وهيَ تتمايلُ في مشيَتِهَا حتّى اختفَتْ وراءَ قمّةِ التّلّةِ، فأسرعَتْ للّحاقِ بِهَا. ظنَّتْ أنَّ شعورَهَا سوفَ يتحسّنُ إذا تمكّنَتْ منْ إيجادِ فرخِ البطِّ البرّيِّ، لكنّهَا لم تعثرْ عليهِ حتّى في البركةِ. ولمْ تكُنِ البطّةُ البيضاءُ كالثّلجِ هناكَ أيضاً.

Twitter: @alqareah

"لقدْ ذهبَ. ذهبَ بعيداً".

انـــزعجَتْ إبساك كثيراً. كانَتْ تظنُّ أنّهُمَا صديقانِ، لكنّـــهُ تركَهَا منْ دونِ أنْ يودّعَهَا. ولوْ سبَقَ لَهَا أنْ لاحظَتْ أيَّ إشارةٍ منهُ تدلُّ علَى رغبتِهِ في الذّهابِ، لكانَتْ قدْ ودّعتهُ في سرِّها علَى الأقلِّ.

"أنا الّتي يجبُ أنْ تغادرَ بالفعلِ. أريدُ أنْ أبتعدَ عَنِ المزرعةِ".

اشتاقَتْ إبساك إلى القنِّ للمرّةِ الأولى في حياتِها. كانَـــتْ تستطيعُ أنْ تضَعَ بيضَهَا فيهِ كلَّ يومٍ.

"لوْ عشْتُ مثلَ بقيةِ الدّجاجاتِ لَمَـــا شـــعرْتُ بالضّـــجرِ والوحدةِ. أمّا الآنَ، فأنا لا أعرفُ ماذا أفعلُ".

وقفَتْ إبساك محدّقةً إلى الطّريقِ الّتي تـــؤدّي إلى المزرعـــةِ. وشعرَتْ فجأةً بأنَّ طريقَ العودةِ بعيدةٌ جدًّا.

"لا أريدُ أنْ أعودَ".

كانَ ذلكَ أمراً غريباً. فهيَ لطالَما كانَتْ راغبةً في العيشِ في باحةِ الحظيرةِ، ولا يرجعُ السّببُ في ذلكَ مطلقاً إلى وجودِ فرخِ البطِّ البرّيِّ، ولكنَّ رغبتَهَا في العودةِ تلاشَـــتْ بعـــدَ اختفائِـــهِ، وأرادَتْ أنْ تنامَ لأطولِ مدّةٍ ممكنةٍ بعيداً عنْ أشـــعّةِ الشّـــمسِ الحارةِ.

"طيورُ باحةِ الحظيرةِ تكرهُني علَى أيِّ حالٍ".

صمّمَتْ إبساك علَى عدمِ العودةِ إلى المزرعةِ. إذْ لم ترغـــبْ في تمضيةِ حياتِهَا محدّقةً إلى الحظيرةِ منْ تحـــتِ ظـــلالِ شـــجرةِ الخرنوبِ الأسودِ.

Twitter: @alqareah

رأَتْ علَى سفحِ التّلّةِ أجمةَ ورودٍ برّيّةٍ متنوّعةٍ لم تلاحظْهَا سابقاً لأنّها لم تتأمّلِ المكانَ جيّداً، لكنّهَا بدَتْ كثيفةً بما يكفِي لتحجبَ حرارةَ الشّمسِ.

"ليسَ منَ الضّروريِّ أنْ يكونَ عشّي في باحةِ الحظيرةِ".

لكنْ، ما إنْ اقتربَتْ إبساك منْ أجمةِ الورودِ البرّيّةِ حتّى سمعَتْ صرخةً حادّةً تردّدَتْ أصداؤُهَا عبرَ الحقولِ.

"كواك".

انتصبَ ريشُها خوفاً. كانَتِ الصّرخةُ قصيرةً جدًّا، وسرعانَ ما خيَّمَ السّكونُ علَى الحقلِ مجدّداً بشكلٍ مفاجئٍ. رأَتْ إبساك كائناً يبتعدُ خلسةً، ولمَحَتْ ما يشبهُ الذّيلَ القصيرَ والسّميكَ وهوَ يختفي في الأجمةِ الكثيفةِ. لم تسمعْ إبساك بعدَ ذلكَ أيَّ صوتٍ عدا حفيفِ أوراقِ السّرخسِ.

جُمُدَتْ إبساك في مكانها. بدا وكأنَّ تلكَ الصّرخةَ المؤلمةَ والمرعبةَ قدْ مزّقَتْ قلبَهَا. شعرَتْ بالغثيانِ، وسرعانَ ما ملأَ ضوءٌ أحمرُ عينَيْهَا. فتحَتْ عينَيْهَا ببطءٍ، وقاومَتِ الضّوءَ الأحمرَ، ثُمّ تفحّصَتْ محيطَها بعنايةٍ.

المتشرّدُ!

كانَ شعورُهَا غريباً، ويشبهُ ما شعرَتْ بهِ عندَمَا كانَتْ في حفرةِ الموتِ المريعةِ. أرادَتْ أنْ تغادرَ المكانَ، لكنَّ الفضولَ دفعَهَا إلى الإسراعِ نحوَ أجمةِ الورودِ البرّيّةِ. لم تتمكّنْ مِنَ التّوقّفِ لأنّها، ولسببٍ ما، شعرَتْ وكأنَّ فرخَ البطِّ البرّيَّ يناديْهَا.

Twitter: @alqareah

حانَ الوقتُ كيْ أقفَ علَى رجليَّ. لا بأسَ، لا أحدَ يستطيعُ إيذائِي.

حملقَتْ حولَها، وأظهرَتْ مخالبَهَا كيْ تستجمِعَ شجاعتَهَا، بينمَا أخذَتْ تخطُو بحذرٍ نحوَ الأمامِ.

كانَ ذلكَ صوتَ المتشرِّدِ بالتّأكيدِ. لم يسبقْ لي قطُّ أنْ سمعْتُ صرخةَ خوفٍ كهذِهِ.

صمّمَتْ منْ أجلِ فرخِ البطِّ البرّيِّ ألاّ تتراجعَ تحتَ ضغطِ أيِّ هجومٍ؛ وحتّى لوْ كانَ الهجومُ مِنَ ابنِ عُرسٍ.

اقتربَتْ إبساك بحذرٍ منْ أجمةِ الورودِ البرّيّةِ، لكنّها لم ترَ أيَّ شيءٍ، ولمْ تعثرْ علَى ريشةٍ واحدةٍ منْ ريشِ فرخِ البطِّ البرّيِّ، وكذلكَ لم تعثرْ علَى أيّ شيءٍ يدلُّ علَى وجودِ ابنِ عُرسٍ. لم تشاهدْ سوى العشبِ الأخضرِ وأجماتٍ معتدلةِ الكثافةِ.

"أيُحتملُ أنّني توهّمتُ سماعَ ذلكَ الصّوتِ؟ أفٍّ! لا بدَّ أنّني مخطئةٌ".

استرخَتْ إبساك وحملقَتْ إلى أجمةِ الورودِ البرّيّةِ. كانَتْ محاطةً بأجماتِ السّرخسِ الكثيفةِ، وهذا مكانٌ مناسبٌ لبناءِ عشٍّ. لاحظَتْ بعدَ ذلكَ شيئاً غريباً.

"ما هذا؟".

ذُهلَتْ إبساك، وسحبَتْ رأسَهَا من الأجمةِ، ورمشَتْ بعينَيْهَا عاجزةً عَنِ التّصديقِ، ثُمّ أرجعَتْ رأسَهَا ونظرَتْ مجدّداً.

"يا لجمالِهَا!".

Twitter: @alqareah

كانَتْ تلكَ بيضةً بيضاءَ مائلةً إلى اللّونِ الأزرقِ، وهيَ خاليةٌ مِنَ الرّيشِ. كانَتْ بيضةً كبيرةً وجميلةً، لكنَّ إبساك لم ترَ أحداً قربَها.

نظرَتْ إبساك حولَها للتّأكّدِ إنْ كانَتْ أمُّ البيضةِ موجودةً في الجوارِ، لكنّها لم ترَ أحداً. تسارعَتْ دقاتُ قلبِهَا.

"مَنِ الّتي وضعَتْ هذهِ البيضةَ؟ ماذا أفعلُ الآنَ؟ ماذا أفعلُ الآنَ؟".

قوقأَتْ إبساك، وراحَتْ تتقدَّمُ منْ أجمةِ الورودِ حيناً، وتتراجعُ عنهَا حيناً آخرَ. لا تستطيعُ إبساك أن تتركَ البيضةَ بمفردِهَا. بدأَ قلبُهَا يخفقُ بسرعةٍ، وكانَتْ قلقةً منْ أنْ تموتَ البيضةُ إنْ لم تحضنْهَا وتُبقِهَا دافئةً.

"سأحضنُها حتّى تعودَ والدتُها. حسناً، فقطْ حتّى تعودَ".

تقدمَتْ إبساك نحوَ الأجمةِ، وجثمَتْ علَى البيضةِ بحذرٍ.

لا تزالُ دافئةً. لا بدَّ أنّها وُضعَتْ منذُ قليلٍ. أتيْتُ في الوقتِ المناسبِ. سأهتمُّ بكِ. لا تخافِي.

تلاشَى خوفُهَا وخيّمَتِ السّكينةُ علَى قلبِهَا. شعرَتْ في أعماقِهَا ببهجةٍ لم يسبقْ لها أنْ شعرَتْ بها منْ قبلُ. أغمضَتْ إبساك عينَيْهَا بهدوءٍ، واستمتعَتْ بدفءِ الحياةِ.

كانَتْ أجمةُ الورودِ البرّيّةِ أكثرَ راحةً ممّا بدَتْ عليهِ مِنَ الخارجِ. ازدادَتِ الظلالُ عندَ حلولِ المساءِ، وحدثَ ذلكَ بسرعةٍ. وهبَّ نسيمٌ ألطفُ مِنَ المعتادِ.

Twitter: @alqareah

"لا يمكنُني أَنْ أضعَ بيضاً بعدَ الآنَ. لم أعترفْ بهذا مِنْ قبلُ، لكنّ هذهِ هيَ الحقيقةُ. لا بأسَ بهذا الآنَ. أنا أحضنُ بيضةً. لقدْ حقّقْتُ أخيراً أعظمَ أمنياتي".

همسَتْ إبساك وكأنّها تتحدّثُ إلى شخصٍ ما في الظّلمةِ.

"إنّها بيضةٌ واحدةٌ، لكنْ لا بأسَ".

أرادَتْ أنْ تُقنعَ نفسَهَا بأنّها عثرَتْ علَى بيضةٍ واحدةٍ منْ أصلِ مجموعةِ البيضِ الّتي وضعَتْهَا في السّابقِ. لكنّها في الوقتِ نفسهِ قلقَتْ مِنَ احتمالِ عودةِ الوالدةِ، لذلكَ استمرّتْ في التّحديقِ إلى الظلمةِ طوالَ اللّيلِ. غيرَ أنّ أحداً لم يتقدمْ من أجمةِ الورودِ لحسنِ الحظِّ، وحتّى في آخرِ اللّيلِ.

استخدمَتْ إبساك منقارَهَا لتسحَبَ الرّيشَ من صدرِهَا، وذلكَ بعدَ أنْ صمتَتِ الجداجدُ. أرادَتْ أنْ تشعرَ بالبيضةِ مباشرةً كيْ تحضنَهَا بدفءِ جسدِهَا. تشكّلَتْ كتلةٌ في رقبتِهَا بينمَا كانَتْ تنتزِعُ ريشَهَا. كانَتْ حضانتُهَا للبيضةِ مثلَ حلمٍ تحقّقَ بالنّسبةِ إليهَا.

هذهِ بيضتِي أنا. يمكنكَ يا صغيرِي أنْ تصغِيَ إلى حكاياتِي. إنّها بيضتِي.

أحبّتْ إبساك البيضةَ الّتي تضغطُ الآنَ علَى صدرِهَا العاري. أحبّتْهَا كثيراً إلى درجةٍ لنْ تتمكّنَ معهَا من إعادتِهَا إلى أمِّهَا الحقيقيةِ إذا اضطرَّتْ إلى ذلكَ.

Twitter: @alqareah

ركّزَتْ إبساك علَى حضانةِ البيضةِ فقطْ، حتّى إنّها تمكّنَتْ منْ سماعِ دقّاتِ قلبِ الفرخِ الصّغيرِ داخلِها مِنْ خلالِ القشرةِ.

حلَّ الصّباحُ، وكانَ يوماً مختلفاً بالكاملِ عن يـــومِ أمـــسِ. شعرَتْ إبساك وكأنّها قدْ وُلدَتْ من جديدٍ.

غطَّتْ إبساك البيضةَ بالرّيشِ وخرجَتْ من أجمـــةِ الـــورودِ البرّيّةِ. نقرَتْ إحدَى ورقاتِ العشبِ الطّويلةِ المحمّلـــةِ بقطـــراتِ النّدى. لم تتمكنْ من الابتعادِ كثيراً لأنّها تهتمُّ بالبيضةِ، ولهذا لم يكنْ أمامَهَا أيُّ خيارٍ غيرَ أنْ تأكلَ ما تعثرُ عليهِ لتظلَّ حيةً.

شاهدَتْ إبساك البطّاتِ في أثناءِ سيرِهَا نحوَ البركةِ. كـــانَ رئيسُ البطِّ يسيرُ في المقدمةِ، بينمَا كانَتْ صغارُ البطِّ تســـيرُ في نهايةِ الصّفِّ. لم تشاهدْ أيَّ أثرٍ لفرخِ البطِّ البرّيِّ. يُحتمـــلُ أنّـــهُ غادرَ المزرعةَ إلى الأبدِ. شعرَتْ بالحزنِ مجدّداً، وبالرّغمِ منْ أنّهـــا تمنَّتْ لوْ ودّعَهَا، إلاّ أنّها لم تكنْ وحيدةً كمَا كانَتْ مِنْ قبلُ.

جمعَتْ إبساك بعضَ الأوراقِ كيْ تزيدَ البيضةَ دفئاً. كانَتْ علَى وشكِ أنْ تعودَ إلى أجمةِ الورودِ عندَمَا سمعَـــتْ ضـــجيجاً خلفَهَا. ذُهلَتْ إبساك إلى درجةِ أنّها كادَتْ تُسقطُ الأوراقَ الّتي جمعتْهَا.

يا الله! كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ واقفاً أمامَهَا. حدّقَ فرخُ البطِّ البرّيُّ إليهَا بعينَينِ متعبتَينِ وحزينتَينِ، فيمَا شعرَتْ هيَ بالسّـــرورِ لأنّها رأَتْهُ مجدّداً، لكنّها بقيَتْ جامدةً في مكانِها. كانَتْ قلقـــةً أكثرَ منْ أيِّ شيءٍ آخرَ مِنَ احتمالِ أنْ يلاحظَ وجودَ البيضةِ.

Twitter: @alqareah

نظرَ فرخُ البطِّ البرّيُّ إلى صدرِ الدّجاجةِ الخالي مِنَ الـــرّيشِ منْ دونِ أنْ ينطقَ بكلمةٍ، ثُمّ جلسَ بهدوءٍ، فيمَا عادَتْ إبساك إلى أجمةِ الورودِ البرّيّةِ وجثمَتْ علَى البيضةِ.

شعرَتْ براحةٍ كبيرةٍ لعودةِ فرخِ البطِّ البرّيِّ في هذا الوقتِ، لكنّها كانَتْ قلقةً بشأنِ ما حدثَ لَهُ، إلاّ أنّها لم تجـــرؤْ علَـــى سؤالِهِ. لم يقلْ فرخُ البطِّ البرّيُّ شيئاً بدورِهِ، بلْ كانَ يرفَعُ رأسَهُ منْ بينِ جناحَيْهِ بينَ الحينِ والآخرِ ويحدّقُ إليهَا بحزنٍ.

لِمَ هوَ مكتئبٌ؟ ولماذا لا ترافقُهُ تلكَ البطّةُ البيضاءُ كالثّلجِ؟

كانَتْ إبساك تطرحُ علَى نفسِهَا هذَينِ السّؤالَينِ في كلِّ مرّةٍ ينظرُ فيهَا إليهَا.

لم يغادرْ فرخُ البطِّ البرّيُّ أجمةَ الورودِ إلاّ في الصّباحِ التّالِي. شعرَتْ إبساك بالحزنِ لأنّهُ بدا يائساً، لكنّها ارتاحَتْ مَعْ ذلـــكَ لأنّهُ لم يطرحْ عليهَا أيَّ سؤالٍ عنِ البيضةِ.

توجّهَ فرخُ البطِّ البرّيُّ، مثلَ بقيّةِ البطّاتِ، وسطَ الضّـــبابِ إلى البركةِ عندَ طلوعِ الشّمسِ، ثُمّ عادَ بعدَ قليلٍ حاملاً سمكـــةً بمنقارِهِ، وتركَهَا أمامَ أجمةِ الورودِ البرّيّةِ.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الخامس

الفراقُ واللّقاءُ

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ يُحضرُ لَها سمكةً كلَّ يــوم، وهكــذَا تمكّنَتْ إبساك بفضلِهِ مِنَ العنايةِ بالبيضَةِ مِنْ دونِ أنْ تجوعَ.

كانَتْ تتساءلُ في سرِّهَا عنْ سببِ عدمِ عودتِهِ إلى الحظيرةِ، وعنْ سببِ تقديمِهِ الطّعامَ لَها، وعَنْ سببِ وقوفِهِ حارساً لَهَــا في كلِّ ليلةٍ، لكنّهَا لم تستجمعْ شجاعةً كافيةً كيْ تسألَهُ. لم يكــنْ فرخُ البطِّ البرّيُّ يقتربُ مِنْ أجمةِ الورودِ إلاّ لتركِ الطّعامِ، وكانَتْ إبساك لا تخرجُ منْ هناكَ أبداً لأنَّها تحثمُ علَى البيضةِ.

كانَتْ كثيراً ما تهمسُ للبيضةِ الّتي تحضنُهَا تحتَ صدرِهَا قائلةً:

"يا صغيري، يصعدُ المتشرّدُ إلى الحافّةِ ويحدّقُ بعيــداً. إلامَ تظنُ أنّهُ ينظرُ؟ أعتقدُ أنّهُ ربّما ينظرُ إلى ما بعدَ البركةِ".

كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ يركضُ في بعضِ الأحيانِ وهوَ يصفّق بجناحَيهِ. اعتبرَتْ إبساك الأمرَ غريباً لأنّهُ لم يكنْ يفعلُ ذلــكَ في باحةِ الحظيرةِ. وهمسَتْ إلى البيضةِ مندهشةً لأنَّ هذهِ المرّةَ هــي المرّةُ الأولى الّتي تراهُ فيهَا يتمايلُ بمشيتِهِ ويقفزُ بهذِهِ الطّريقةِ.

"يا صغيري، إنّ فرخَ البطِّ البرّيَّ لا يستطيعُ تحريكَ جناحِهِ الأيمنِ جيّداً، ولا بدّ أنّ شيئاً ما قدْ حدثَ لَهُ. لكنَّ جناحَهُ الأيسرَ أكبرُ وأقوى ممّا كنْتُ أظنُّ، وهوَ بذلكَ يختلفُ عنِ البطّاتِ الّتي تعيشُ في باحةِ الحظيرةِ".

Twitter: @alqareah

تحدثَتْ إبساك إلى البيضةِ عندَمَا كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ ينشرُ جناحَهُ ويبدأُ بالرّكضِ بحركةٍ دائريةٍ. وكانَتْ تغنّي في بعضِ اللّيالي خوفاً من ارتعابِ البيضةِ مِنَ الاهتزازاتِ العنيفةِ.

استمرَّ فرخُ البطِّ البرّيُّ بالرّكضِ ذهاباً وإياباً وقدْ شرّعَ جناحَهُ للرّيحِ، وكانَ ذلكَ يحدثُ في اللّيالي الّتي يكونُ فيهَا القمرُ في أقصى سطوعٍ لَهُ. بدا الأمرُ وكأنّهُ يؤدّي نوعاً من الرّقصِ، لكنَّ تردُّدَ صيحاتِهِ عبرَ الجبالِ كانَ يُزعِجُ إبساك.

يتصرّفُ ذلكَ المتشرّدُ بغرابةٍ أكبرَ كلَّ يومٍ. ما مشكلتُهُ؟

لكنّ إبساك لم تسألْهُ عنْ سببِ تصرفاتِهِ. إذْ لم يكنْ بإمكانِهَا إحراجُ فرخِ البطِّ البرّيِّ لأنّهُ كانَ يُحضِرُ لَهَا الطّعامَ في كلِّ يومٍ منْ دونِ انقطاعٍ.

بدأَ فرخُ البطِّ البرّيُّ بالرّقصِ مرّاتٍ أكثرَ بعدَ اكتمالِ القمرِ. وازدادَ القلقُ الّذي كانَتْ إبساك تشعرُ بِهِ. اكتملَ علَى وجهِ التّقريبِ نموُّ الفرخِ داخلَ البيضةِ، وذلكَ بعدَ عدّةِ ليالٍ منْ ظهورِ القمرِ الجديدِ. وتمكّنَتْ إبساك منْ سماعِ نبضاتِ قلبِهِ بكلِّ وضوحٍ. سيخرجُ الفرخُ مِنَ البيضةِ بعدَ ليالٍ قليلةٍ من اختفاءِ القمرِ، لكنّ إبساك كانَتْ متوتّرةً جدًّا منْ أنْ يقومَ فرخُ البطِّ البرّيُّ بإخافةِ فرخِهَا.

مرّتْ ليالٍ عديدةٌ أخرى. كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ يبقى هادئاً في بعضِ الأحيانِ، لكنَّ إبساك راقبَتْهُ بصبرٍ كلّمَا قامَ برقصتِهِ الغريبةِ.

Twitter: @alqareah

في إحدَى اللّيالي، لم ينمْ فرخُ البطِّ البرّيُّ مطلقاً، وظلَّ يركُضُ هُنَا وهُناكَ، وكأنَّ أحداً ما يلاحقُهُ، لكنَّ ضجيجَهُ كانَ أعلى مِنَ السّابقِ. عجزَتْ إبساك عَنِ النّومِ، ولَمْ تقدرْ علَى تحمُّلِ الضّجيجِ الّذي يصدرُهُ فرخُ البطِّ البرّيُّ، ولهذا قرّرَتْ أنْ تتكلمَ معهُ عنْ هذا الموضوعِ.

أعرفُ أنَّ المتشرّدَ صديقٌ عظيمٌ لي، لكنْ يجبُ عليهِ إيقافُ هذهِ الألاعيبِ الّتي يقومُ بِهَا في منتصفِ اللّيلِ.

في تلكَ اللّيلةِ، لم تتمكّنْ إبساك مِنَ النّومِ إلاّ بعدَ أنْ ذهبَ فرخُ البطِّ البرّيُّ إلى البركةِ.

وعندَمَا عادَ حاملاً سمكةً بمنقارِهِ، بذلَتْ إبساك جهداً لتفتَحَ عينَيهَا المتعبتَين والمثقلتَين بالنّعاسِ، وهزَّتْ رأسَهَا.

"لا تفعلْ ذلكَ مجدّداً، أرجوكَ. أريدُكَ أنْ تتوقّفَ عنْ إصدارِ تلكَ الضّوضاءِ في كلِّ ليلةٍ".

بقيَ فرخُ البطِّ صامتاً. بدَا منهكاً، وكانَ هذا متوقعاً لأنَّهُ بقيَ طوالَ اللّيلِ يدورُ مصفّقاً بجناحَيهِ.

"كنتَ لطيفاً معي وأنا ممتنّةٌ لكَ، ولنْ أنسَى فضلَكَ هذا ما حييْتُ. لكنّني، وكمَا تعلمُ، أعتني ببيضةٍ".

بقيَ فرخُ البطِّ صامتاً، وظنَّتْ إبساك أنّها أهانَتْهُ، ولَمْ تتمكّنْ من متابعةِ كلامِها. فقدْ خلّصَهَا فرخُ البطِّ البرّيُّ مِنْ حفرةِ الموتِ، وواجَهَ طيورَ باحةِ الحظيرةِ منْ أجلِهَا لكيْ تتمكّنَ مِنَ البقاءِ في الحظيرةِ، وكانَ يحضرُ لَهَا الطّعامَ، وهَا هِيَ الآنَ تتذمّرُ.

Twitter: @alqareah

اكتفَى فرخُ البطِّ البرّيُّ بالتّحديقِ إلى البركـــةِ، وغـــرقَ في تأمّلاتِهِ. شعرَتْ إبساك بالأسفِ لأجلِهِ فتكلّمَتْ بكلِّ لطفٍ.

"أنا بخيرٍ الآنَ، وأمتلكُ مخالبَ صلبةً ومنقاراً قويًّا، ممّا يعـــني أنّني لسْتُ خصماً سهلاً لأيٍّ كانَ، وحتّى لابنِ عُرسٍ، وهكـــذَا يمكنُكَ أنْ تمضيَ في طريقِكَ".

نظرَ فرخُ البطِّ البرّيُّ نحوَ إبساك، وانتصبَ ريشُ رقبتِهِ وشعرَ بالغضبِ لدى سماعِهِ اسمَ ابنِ عُرسٍ.

تمتمَ فرخُ البطِّ البرّيُّ وكأنّهُ يحدّثُ نفسَهُ: "سأبقَى فقطْ إلى أنْ تفقسَ البيضةُ، أوْ إلى أنْ يرجعَ القمرُ إلى شكلِهِ السّابقِ...".

تساءلَتْ إبساك عنْ سببِ انتظارِهِ البيضةَ لتفقسَ.

"ليتَنَا نستطيعُ السّباحةَ معاً...". تمتمَ فرخُ البطِّ البرّيُّ ثُمّ عادَ إلى البركةِ.

مرّتْ تلكَ اللّيلةُ بهدوءٍ.

كانَتْ إبساك تلاحظُ التّغيّراتِ في شكلِ القمرِ. فقدْ بـــدأَ حجمُهُ بالازديادِ فيمَا كانَتْ تحضِنُ البيضةَ، لكنّهُ بدأَ يصغُرُ شيئاً فشيئاً حتّى عادَ إلى حجمِهِ السّابقِ؛ الهلال. كانَتْ نبضاتُ قلبِ الفرخِ تزدادُ قوّةً إلى حدٍّ كبيرٍ؛ بالرّغمِ منْ أنّ البيضةَ اســـتغرقَتْ وقتاً أطولَ مِنَ المعتادِ لتفقسَ.

استمرَّ فرخُ البطِّ البرّيُّ في إحضـــارِ الطّعـــامِ إلى إبســـاك كالمعتادِ، ولذلكَ ندِمَتْ علَى مَا قالَتْهُ لَهُ مِنْ قبـــلُ، وأرادَتْ أنْ تعتذِرَ.

Twitter: @alqareah

"أعتقدُ أنّهُ منَ الأفضلِ لكَ أنْ تهدأَ قليلاً. تبدُو - في واقعِ الأمرِ - وكأنّكَ ترقصُ عندَمَا تبسطُ جناحَيكَ. تبدُو وكأنّكَ تطيرُ بعيداً وإلى الأعلى".

حاولَتْ أنْ تريحَهُ أكثرَ فنشرَتْ جناحَيهَا وصفّقَتْ بِهِمَا. لكنّهَا لم تفلِحْ سوى في إثارةِ الغبارِ حولَهَا. امتلكَتْ إبساك جناحَينِ، ولكنهُمَا لا يصلُحَانِ للطّيرانِ.

كرّرَ فرخُ البطِّ البرّيُّ بهدوءٍ: "أطيرُ!". وحدّقَ بيأسٍ بعيداً، إلى ما يتجاوزُ البركةَ وهمسَ: "أتمنّى لوْ أتمكنُ مِنَ الطّيرانِ مجدّداً".

"يبدُو جناحاكَ مختلفَينِ عنْ أجنحةِ بطّاتِ باحةِ الحظيرةِ. إنّني متأكّدةٌ منْ أنّ جناحَكَ الأيمنَ لا يبدُو قويًّا".

"أجلْ، لا بدَّ أنّهُ يبدُو مضحكاً. إنّ جناحِي الأيمنَ...".

توقّفَ فرخُ البطِّ البرّيُّ عَنِ الكلامِ، ووقَفَ ساكناً لفترةٍ، وراقبَ إبساك وهي تنقُرُ السّمكةَ الشّهيةَ.

أرادَتْ أنْ تتمرّنَ قليلاً فتمدّدَتْ فوقَ التّرابِ، واستمتعَتْ بحمّامٍ مِنَ الغبارِ، وشعرَتْ بالارتياحِ.

سألَ فرخُ البطِّ البرّيُّ منْ دونِ اكتراثٍ: "هَلِ البيضةُ جاهزةٌ للتفقيسِ؟".

"يتباطأُ هذا الفرخُ في الخروجِ. كانَ يُفترضُ بهِ أنْ يخرجَ مِنَ البيضةِ في هذا الوقتِ".

استمتعَتْ إبساك بالحديثِ إلى فرخِ البطِّ البرّيِّ، وشعرَتْ بأنّها حصلَتْ أخيراً علَى صديقٍ حقيقيٍّ.

Twitter: @alqareah

"حسناً... في ما بعدُ... عندَمَا تفقسُ البيضةُ... أنتِ دجاجةٌ، لكنْ...".

تردّدَ فرخُ البطِّ البرّيُّ قليلاً في كلامِهِ، ثُمّ التقطَ شيئاً عَنِ الأرضِ. شعرَتْ إبساك بشيءٍ مِنَ الإحباطِ نتيجةَ سلوكِ فرخِ البطِّ البرّيِّ الغريبِ.

"أمتلكُ في الواقعِ اسماً كمَا تعرِفُ، وهوَ اسمٌ أطلقْتُهُ علَى نفسِي".

"أوه، حقًّا؟ لم أسمعْ بِهِ مِنْ قبلُ".

"لا أحدَ يعلمُ بهذا الاسمِ. أتحبُّ أنْ تناديَني إبساك؟".

"إبساك؟ هلْ يعني العشبَ، أوِ الأوراقَ، أوْ ما يشبهُ ذلكَ؟".

"أجلْ، هذا ما يعنيهِ الاسمُ. لا أعتقدُ أنّ اسماً آخرَ يلائمُني أكثرَ منهُ، فالأوراقُ لا تؤذي أحداً".

بدا أنّ فرخَ البطِّ البرّيَّ يفكّرُ في السّببِ الّذي يجعلُ مِنْ *إبساك* اسماً مهمًّا، وذلكَ بينمَا كانَ يمشّطُ ريشَ ذيلِهِ بمنقارِهِ.

"الأوراقُ أَمِ الأزهارُ. إنّها تتنفّسُ، وتتحمّلُ العواصفَ القاسيةَ، وتحبُّ أشعّةَ الشّمسِ، كمَا تحملُ تويجاتِ الأزهارِ البيضاءِ. لهذا، تحمِلُ الأوراقُ قيمةً كبيرةً".

"إبساك... أجلْ، يناسبُكِ هذا الاسمُ".

شعرَتْ إبساك بالسّرورِ والسّعادةِ لأنّها وجدَتْ صديقاً يناديْهَا باسمِهَا. قرّرَتْ إبساك ألاّ تشتكيَ من سلوكِ فرخِ البطِّ البرّيِّ الغريبِ بعدَ الآنَ. إذْ يتعيّنُ عليهَا أنْ تتحمّلَهُ عندَمَا يُصدِرُ

Twitter: @alqareah

بعضَ الضّجيجِ في اللّيلِ؛ أيْ كمَا يجبُ علَى الصّديقِ أن يتحمّلَ صديقَهُ.

"أنتِ دجاجةٌ قيّمةٌ حتّى منْ دونِ ذلكَ الاسمِ. أردتُ أنْ تعلمي ذلكَ حقًّا".

شعرَتْ إبساك بأنّها مذنبةٌ عندَمَا سمعَتْ هذا الكلامَ. هلْ تستحقُّ لقبَ *دجاجةٍ قيّمةٍ*؟ شعرَتْ بالخجلِ منْ نفسهَا، وكأنَّ كلَّ أخطائِها قدِ انكشفَتْ. كمْ سينزعِجُ فرخُ البطِّ البرّيُّ عندَمَا يعلمُ الحقيقةَ عَنِ البيضةِ؟ يُحتملُ أنّهُ سوفَ يغضَبُ لأنّها كانَتْ في غايةِ الوقاحةِ.

لم تتمكّنْ إبساك منْ مواجهةِ نظرةِ فرخِ البطِّ البرّيِّ، لذلكَ عادَتْ إلى العشِّ، وجثمَتْ علَى البيضةِ.

لا أستطيعُ أنْ أتحمّلَ. لا أريدُ أنْ أخبرَ أحدًا بالحقيقةِ؛ حتّى صديقي! إنّهُ فرخِي أنا. أنا الّتي اعتنيْتُ بِهِ، وأنا الّتي سوفَ تربّيهِ. إنّهُ صغيري مهمَا كانَ الأمرُ.

بقيَ الألمُ الّذي تحسُّ بِهِ في قلبِهَا، لكنّهَا أجبرَتْ نفسَهَا علَى التّفكيرِ في أشياءَ أخرى. قرّرَتْ مَعْ ذلكَ ألاّ تذكرَ شيئاً عَنِ البيضةِ.

غيّرَتْ إبساك الموضوعَ فجأةً: "ماذا حدَثَ لجناحِكَ وللبطّةِ البيضاءِ كالثّلجِ؟".

رفعَ فرخُ البطِّ البرّيُّ رأسَهُ، لكنَّ مزاجَهُ الهادئَ اختفى فجأةً.

Twitter: @alqareah

"لا تذكري شيئاً عنْ ذلكَ".

ذُهلَتْ إبساك لأنّها لم تعلمْ عنْ أيِّ شيءٍ يتكلّمُ، فيما حرَّكَ فرخُ البطِّ البرّيُّ ريشَهُ، واهتزَّ وكأنَّهُ رأى ابنَ عُرسٍ لتوِّهِ. ازدادَ توترُهُ، وراحَ يتفحّصُ المكانَ حولَهُ بسرعةٍ وكأنّهُ نسيَ شيئاً في غايةِ الأهمّيةِ.

شعرَتْ إبساك بالأسَفِ لأنّها جرحَتْهُ، لكنّها حاولَتْ تهدئةَ الأمورِ.

"ظننْتُ أنّكُمَا غادرتُمَا المزرعةَ معاً. لا أعتقدُ أنّ طيورَ باحةِ الحظيرةِ قدْ أحبّتْكَ. أعرفُ أنّكَ عشْتَ مَعْ تلكَ الطّيورِ، لكنّكَ عشْتَ بينَها كغريبٍ. أعني... كانَتِ البطّةُ البيضاءَ كالثّلجِ رفيقتَكَ. إنّني صديقتُكَ أيضاً، لكنّني مجرّدُ...".

"طلبْتُ إليكِ ألاّ تتحدَّثي في هذا الموضوعِ".

صاحَ فرخُ البطِّ البرّيُّ بكلماتِهِ هذهِ، فسكتَتْ إبساك عمَّا كانَتْ تريدُ قولَهُ. وما هيَ إلاّ لحظاتٌ حتّى نهضَ فرخُ البطِّ البرّيُّ علَى رجليهِ وركضَ مبتعداً عَنِ المكانِ. ودلّتْ سرعةُ خطواتِهِ علَى أنّهُ غاضبٌ جدًّا. ولمْ تعرفْ إبساك قطُّ سببَ حزنِهِ وغضبِهِ.

بعدَ فترةٍ، عادَ فرخُ البطِّ البرّيُّ لكنَّهُ بقيَ منزعجاً. تكلّمَ بصراحةٍ وبصوتٍ منخفضٍ، ولعلّهُ شعرَ بالأسفِ لأنّهُ صرخَ في وجهِهَا.

"القمرُ رفيعٌ الآنَ، ممّا يعني أنّ البيضةَ علَى وشكِ أنْ تفقسَ".

Twitter: @alqareah

"أجلْ. حانَ الوقتُ".

"إبساك. أعرفُ أنّكِ دجاجةٌ في غايةِ الذّكاءِ، ولهذا تعرفينَ ما يتوجّبُ عليكِ فعلُهُ. لكنْ، عندَمَا تفقسُ البيضةُ يجبُ عليكِ أنْ تغادري هذا المكانَ. اذهبي إلى البركةِ، وليسَ إلى باحةِ الحظيرةِ. لا تنسَي أبداً أنّهُ عندَمَا يصغُرُ القمرُ فإنّ جوعَ ابنِ عُرسٍ يزدادُ".

شعرَتْ إبساك بالحيرةِ لأنَّ كلامَ فرخِ البطِّ البرّيِّ يدلُّ علَى أنّهُ سوفَ يغادرُ المكانَ. هلْ سيغادرُ لأنّهُ غاضبٌ؟ لقدْ أخبرَهَا قصصاً غريبةً دفعةً واحدةً. أخبرَهَا ألغازاً يستحيلُ عليهَا أنْ تفهمَهَا.

"ماذا تعني بقولِكَ إنَّ جوعَ ابنِ عُرسٍ يزدادُ؟".

"كلُّ شيءٍ علَى ما يرامُ الآنَ، لكنّني أحذّرُكِ ممَّا يُحتملُ أنْ يحدثَ. لا أريدُكِ أنْ تعودي إلى باحةِ الحظيرةِ. اذهبي إلى البركةِ".

"لماذا؟".

لم يفسّرْ لَهَا فرخُ البطِّ البرّيُّ أكثرَ منْ ذلكَ، بلْ سارَ مبتعداً عنْهَا، متأمّلاً المكانَ حولَهُ باحتراسٍ، ومحدّقاً إلى البعيدِ.

شعرَتْ إبساك بأنّها متوترةٌ. إنَّ مجرّدَ ذِكرِ ابنِ عُرسٍ أثارَ أعصابَها. فقدْ نسيَتْ إبساك كلَّ شيءٍ عَنِ ابنِ عُرسٍ منذُ انتقالِها إلى أجمةِ الورودِ. يُحتملُ أنَّ ذلكَ قدْ حصلَ لأنّها لم تكنْ عرضةً لعينَيهِ الملتمعتَينِ منذُ أنْ بدأَتْ بالاهتمامِ بالبيضةِ.

Twitter: @alqareah

إذا عثرَ عليَّ ابنُ عُرسٍ فسوفَ أكــونُ في خطــرٍ، أوْ إنّ صغيري سوفَ يتعرّضُ للخطرِ. لا أريدُ حتّى أنْ أفكّــرَ في مــا يُمكنُ أنْ يحصلَ.

حلّ اللّيلُ، و لمْ تتمكّنْ إبساك منْ طردِ خوفِهَا مِــنَ ابــنِ عُرسٍ. كانَ صوتُ النّسيمِ الّذي يمرُّ منْ بينِ الأوراقِ، أوْ حتّــى أقلُ حركةٍ تصدرُ عَنِ العشبِ المضاءِ بنورِ القمرِ تبعثُ رجفةً في قلبِهَا، إذْ تفكّرُ في أنّ ابنَ عُرسٍ يقتربُ منهَا.

جلسَ فرخُ البطِّ البرّيُّ أمامَ أجمةِ الورودِ، ووضعَ رأسَهُ تحتَ جناحِهِ، واستسلمَ في النّهايةِ لذلكَ الإنهاكِ الشّديدِ الّذي عــانَى منهُ. قلقَتْ إبساك كثيراً لأنّ فرخَ البطِّ البرّيَّ استســلمَ للنــومِ. كانَتْ ستشعرُ بخوفٍ أقلَّ لوْ رقصَ وصاحَ مثلَمَا كانَ يفعلُ مِنْ قبلُ. وأدركَتْ إبساك الحقيقةَ فجأةً.

هلْ كلّ ما حصلَ كانَ بسببِ ابنِ عُرسٍ؟ هلْ كــانَ هــوَ السّببَ الّذي دفعَ بالمتشرّدِ لإصدارِ كلّ ذلكَ الضّجيجِ في اللّيلِ؟ هلْ أرادَ فرخُ البطِّ بذلكَ إخافةَ الصّائدِ؟ يحتملُ ذلكَ. أعتقدُ أنّ الأمرَ كذلكَ في الواقعِ.

ازدادَ قلقُ إبساك، لكنّ ذهنَهَا أصبحَ أكثرَ صفاءً.

لماذا يحميني؟ إنّنا صديقانِ، لكنّ هذا كثيرٌ عليهِ، حتّى إنّــني لستُ بطّةً...

نظرَتْ إبساك إلى الأعلى نحوَ السّماءِ. كانَتْ أنوارُ النّجومِ خافتةً، كمَا أحاطَتْ هالةٌ بالقمرِ. كانَتْ تلكَ إشارةً إلى هطولِ

Twitter: @alqareah

المطر. تذكّرَتْ حفرةَ الموتِ، فقدْ كانَتْ تُمطرُ في تلكَ اللّيلةِ أيضاً.

دفعَ الخوفُ إبساك لكي تنهضَ علَى رجلَيهَا.

"عندَمَا يأتي ابنُ عُرسٍ سوفَ أواجهُهُ بكلِّ جرأةٍ. سأمزّقُهُ بمخالبي، وسأنقرُهُ بأقصى قوّتي، وسوفَ أصفّقُ بجناحيَّ بشدّةٍ، وسوفَ أصيحُ بصوتٍ مرعب".

حملقَتْ إبساك في الظلمةِ. تحرّكَتْ وكأنَّ ابنَ عُرسٍ، ذلكَ الحيوانَ الشّرسَ، يتربّصُ بها في الجانبِ المظلمِ المقابلِ ويلعقُ شفتَيهِ، ويحدّقُ بعينيهِ الماكرتَينِ إلى فريستِهِ منتظراً أنْ يملأَ معدتَهُ الفارغةَ.

"استيقظْ أيّها المتشرّدُ".

أيقظَتْ إبساك فرخَ البطِّ البرّيَّ الّذي قفزَ مذعوراً.

سألَ بغتةً: "هلْ فقستِ البيضةُ؟". كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ ينتظرُ بفارغِ الصّبرِ، أيْ مثلَ إبساك تماماً.

"كلاّ، لكنّ ذلكَ قدْ يحدثُ فجراً. أعتقدُ أنّهُ ديكٌ لأنّهُ استغرقَ وقتاً طويلاً".

أطلقَتْ إبساك ضحكةً عاليةً بتصنُّعٍ، لكنّ خوفَهَا بقيَ كمَا هُوَ.

"إنّني قلقةٌ جدًّا. ماذا أفعلُ لوْ جاءَ ابنُ عُرسٍ؟".

كانَ وجهُ إبساك متجهّماً، لكنّ فرخَ البطِّ البرّيَّ بقيَ هادئاً منْ دونِ أنْ تظهرَ عليهِ علاماتُ القلقِ، وصاحَ بحبورٍ: "هذا جيّدٌ. ما إنْ ينبلجُ الفجرُ... جيّد".

Twitter: @alqareah

حرّكَ ريشَهُ كيْ يستيقظَ جيّداً ثُمّ نظرَ حولَــهُ. لم يكــنْ سلوكُهُ الحذِرُ مختلفاً عنْ سلوكِ الأمِّ الّتي تحمي بيضتَهَا. شــعرَتْ إبساك بالأسفِ، لكنّها كانَتْ ممتنةً لفرخِ البطِّ البرّيِّ.

"أيُّها المتشرّدُ، أريدُ أنْ أخبرَكَ شيئاً. الواقعُ...".

قرّرَتْ إبساك الاعترافَ بكلِّ شيءٍ. شعرَتْ بأنّها مذنبــةٌ لأنّها أخفَتْ سرَّهَا عَنِ الصّديقِ الّذي رعاهَا منذُ البدايةِ.

"حلمْتُ في الماضي كثيراً. أردْتُ أنْ أحضنَ بيضاً وأشاهدَ فراخِي وهيَ تخرجُ منهَا. كانَ هذا الأمرُ مستحيلاً في القنِّ. لذا، لم أرغبْ في وضعِ البيضِ هناكَ لأنّني لم أتمكنْ... فكّرْتُ في أنّني لنْ أتمكّنَ أبداً...".

"إبساك. أنتِ دجاجةٌ حاضنةٌ عظيمةٌ".

"كلاَّ، لم يكنْ هذا ما أردْتُ سماعَهُ".

"لكنّني أردْتُ أنْ أبلّغَكِ ذلكَ. إنّني فــرخُ بــطٍّ بــريٍّ لا يستطيعُ الطّيرانَ، وأنتِ دجاجةٌ حاضــنةٌ، ودجاجــةٌ حاضــنةٌ استثنائيّةٌ".

"أجلْ، لكنْ، حتّى لوْ كانَ الأمرُ كذلكَ...".

"لكنْ، لا بأسَ. وُلدْنَا مختلفَينِ، ولذلكَ لا نستطيعُ أنْ نفهمَ بعضنَا كليًّا، لكنّنا نستطيعُ مَعْ ذلكَ أنْ نحــبَّ بعضَــنَا. وأنــا أحترمُكِ كثيراً".

شعرَتْ إبساك بأنّها تكادُ تعجزُ عنِ التّنفّسِ، ففرخُ الــبطِّ البرّيُّ يكونُ محيّراً في بعضِ الأحيانِ.

Twitter: @alqareah

"حتّى عندَمَا لا نفهمُ بعضنَا؟! كيفَ يُمكـــنُ لـــذلكَ أنْ يحصلَ؟".

"أعرفُ أنّكِ حاضنةٌ عظيمةٌ مثلُ الأوراق تماماً".

توقفَتْ إبساك عنْ محاولةِ الكلامِ. وشعرَتْ كذلكَ بأنّـــهُ لم يعدْ من الضّروريِّ بعدَ الآنَ الاعترافُ بشأنِ البيضةِ.

"أعرفُ ابنَ عُرسٍ جيّداً. إنّهُ صيّادٌ بالفطرةِ، ولا يمكنُنا أبداً أنْ ننتصرَ عليهِ. إنّهُ أكبرُ وأقوى منْ أيِّ ابنِ عُرسٍ آخرَ رأيْتُهُ في حياتي. إنّنا في أمانٍ الآنَ، ولكنَّهُ سوفَ يصطادُنَا في النّهايةِ. لذا، يتعيّنُ علينَا إنهاءُ عملِنَا قبلَ ذلكَ".

كانَ كلامُ فرخِ البطِّ البرّيِّ غيرَ واضحٍ بالنّسبةِ إليهَا، ولكنّهُ كانَ جدّيًّا بما يكفي. بدأَتْ سرعةُ نبضاتِ قلبِ إبساك تتزايـــدُ، وانتصبَ ريشُهَا بينمَا كانَتْ تتذكّرُ الأيامَ العديدةَ الّتي عاشَـــتْهَا منْ دونِ خوفٍ. كانَ مِنَ المدهشِ كثيراً أنّهـــا كانَـــتْ تعـــيشُ مرتاحةً ومطمئنّةً إلى تلكَ الدّرجةِ.

"أتمنّى أنْ تفقسَ البيضةُ في الغدِ، وقبلَ أنْ يفـــوتَ الأوانُ. إنّني متعبٌ جدًّا. يُحتملُ أنّهُ لا يستطيعُ الانتظـــارَ أكثـــرَ مـــنْ ذلكَ".

راقبَتْ إبساك فرخَ البطِّ البرّيَّ بينمَا كانَ يسيرُ مبتعداً عـــنْ أجمةِ الورودِ وهوَ يتمتمُ لنفسهِ. فكّرَتْ إبساك في أنّهُ لا بـــدَّ أنْ يكونَ شيءٌ ما قدْ حدثَ بينَ فرخِ البطِّ البرّيِّ وابنِ عُرسٍ؛ وهوَ أمرٌ لا تعلمُ عنهُ شيئاً، وشعرَتْ بقلقٍ أكبرَ.

Twitter: @alqareah

"إنّني بخيرٍ الآنَ. سيحافظُ علَى هدوئِهِ لفترةٍ مِنَ الزّمنِ، أيْ ما دامَ لا يشعرُ بالجوعِ. سيكونُ كلُّ شيءٍ علَى ما يرامُ مـــا إنْ تفقسُ البيضةُ. إنّني جاهزٌ بالطّبعِ".

لم تقدرْ إبساك أنْ تسمعَ المزيدَ منْ كلامِ فرخِ البطِّ الـــبرّيِّ الّذي جلسَ بعيداً عنهَا، وخبّأَ رأسَهُ تحتَ جناحِهِ وكأنّهُ يريدُ أنْ ينامَ.

حرّكَتْ إبساك ريشَهَا، أيْ كمَا فعلَ فرخُ البطِّ البرّيُّ عنـــدَمَا فكّرَ في ابنِ عُرسٍ، وقلبَتْ البيضةَ لكيْ يلامسَ صـــدرُهَا الجانـــبَ السّفليَّ منهَا. فكّرَتْ إبساك في سرِّهَا أنّهُ طالما أنّ فرخَ البطِّ الـــبرّيَّ موجودٌ قربَهَا، فلنْ تتعرّضَ لأيِّ مكروهٍ. أرادَتْ بشدّةٍ أنْ تصـــدّقَ هذا. خيّمَ السّكونُ علَى المكانِ إلى درجةِ أنّهُ لم يُسمعْ حتّى حفيفُ العشبِ. كانَ اللّيلُ ساكناً فاستولى النّعاسُ علَى إبساك.

استسلمَتْ إبساك للنّومِ، ولا بدَّ أنّها غفَتْ هُنَيْهَةً مِنَ الزّمنِ فقطْ.

"كواكْ".

فتحَتْ عينَيهَا بغتةً، ورأَتْ فرخَ البطِّ البرّيَّ. أحسّتْ وكأنَّ هذهِ الصّرخةَ القصيرةَ قدْ اخترقَتْ قلبَهَا.

"أوه لا!".

كانَ فرخُ البطِّ يكافحُ بكلِّ قوّتِهِ في تلكَ اللّيلـــةِ حالكـــةِ الظّلمةِ، والخاليةِ منْ ضوءِ القمرِ، وهوَ يصفّقُ بجناحَيهِ المنـــهكَين، ولاحظَتْ إبساك أنَّ جسمَهُ صارَ هزيلاً. يُحتملُ أنّهُ تعرّضَ لعضّةٍ

Twitter: @alqareah

في رقبتِهِ. لم تسمعْ بعدَ ذلكَ صرخاتٍ أخرى. ارتجفَتْ إبساك، وشعرَتْ أنّهُ سوفَ يصعبُ عليهَا التّنفّسُ، وكأنَّ عنقَهَا هيَ قدْ تعرّضَ للعضِّ.

"أيّها المتشرّدُ".

نهضَتْ إبساك وخرجَتْ راكضةً. كانَتْ عيناها تقدحانِ شرراً وهيَ تصفّقُ بجناحَيهَا.

عبسَ ابنُ عُرسٍ وهوَ ينظرُ إليهَا بشراسةٍ، بينمَا أطبقَ علَى فرخِ البطِّ البرّيِّ بينَ فكّيهِ. أحسَّتْ بأنَّ تلكَ النّظرةَ الشّرسةَ قدْ جمَّدَتْ قلبَهَا. اخترقَتْ تانكَ العينانِ اللامعتانِ الظّلمةَ، وحذّرَتَاهَا مِنَ الاقترابِ أكثرَ مِنْ ذلكَ.

توقفَتْ إبساك في مكانهَا، فقدْ كانَتْ عاجزةً عنْ مواجهتِهِ بمنقارِهَا ومخالبِهَا. لم تتمكّنْ، وهيَ المرتجفةُ، منْ فعلِ أيِّ شيءٍ غيرَ مراقبةِ صديقِهَا وهوَ يبتعدُ عنهَا ببطءٍ.

اختفَى ابنُ عُرسٍ في ظلمةِ الغابةِ، وسرعانَ ما خيّمَ الصّمتُ التّامُّ علَى المكانِ. كانَ المكانُ هادئاً رغمَ انتهاءِ حياةٍ غاليةٍ علَى قلبِهَا. كانَتِ الأشجارُ والنّجومُ والقمرُ والعشبُ كلُّهَا هادئةً، وكأنّهَا تتظاهرُ بأنّهَا لم تشاهدْ أيَّ شيءٍ.

ركضَتْ إبساك إلى المكانِ الّذي كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ يجثمُ فيهِ، لكنّهَا لم تجدْ هناكَ غيرَ الظّلمةِ، ولمْ تعثرْ علَى أيِّ أثرٍ يدلُّ عليهِ. سارَتْ علَى غيرِ هدًى وسطَ الظّلمةِ، وتمنَّتْ أنْ تعثرَ حتّى علَى ريشةٍ واحدةٍ منهُ.

Twitter: @alqareah

ماتَ المتشرّدُ؛ لكنّني لم أفعلْ شيئاً؛ لم أتمكّنْ مِنَ التّحــركِ لأنّني كنْتُ خائفةً.

لم تتمكّنْ إبساك منْ حبسِ دموعِهَا. كرهَتْ نفسَهَا لأنّها لم تفعلْ شيئاً لإنقاذِهِ، وكانَتْ حزينةً جدًّا علَى صديقِهَا الّذي كافحَ وماتَ بمفردِهِ.

كانَتْ عينا ابنِ عُرسٍ مخيفتَين. لم يكنْ مِنَ الممكنِ تجنُّبُهُ منذُ اللّحظةِ الّتي غادرَتْ فيهَا القنَّ، وحتّى عندَمَا عاشَتْ في طــرفِ باحةِ الحظيرةِ. نسيَتْ كلَّ ذلكَ بسببِ حمايةِ فرخِ البطِّ البرّيِّ لَهَا، لكنَّ أجمةَ الورودِ البرّيّةِ لم تكنْ عشًّا آمناً بدورِهَا.

"بقيَ مستيقظاً كلَّ ليلةٍ بسببِ ابنِ عُرسٍ؛ مِنْ أجلِي ومِــنْ أجلِ البيضةِ. أتمنّى لوْ ظلَّ مستيقظاً هذهِ اللّيلةِ مثلمَا كانَ يفعــلُ في السّابقِ. كانَ عليهِ أنْ يصيحَ بصوتٍ أعلى. يا للمسكينِ! كانَ متعباً جدًّا".

ارتجفَتْ إبساك. ارتعبَتْ حينَ فكّرَتْ في أنَّ العجــزَ عَــنِ الهربِ مِنَ ابنِ عُرسٍ يعني مواجهةَ الموتِ الّذي كانَ مصيرَ فــرخِ البطِّ البرّيِّ. لم يعدِ البقاءُ علَى قيدِ الحياةِ يعني شيئاً بالنّسبةِ إليهَا؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ قدْ ينتهِي في لحظةٍ واحدةٍ.

انبلجَ فجرُ يومٍ جديدٍ.

طلعَتِ الشّمسُ، وأرسلَتْ أشعّتَهَا علَى البقعةِ الّتي اعتادَ فرخُ البطِّ البرّيُّ المكوثَ فيهَا، ثُمّ ارتفعَتْ في كبدِ السّــماءِ ناشــرةً أشعّتَهَا الذّهبيةَ في كلِّ مكانٍ، لكنَّ فرخَ البطِّ البرّيَّ الّذي اعتادَ

Twitter: @alqareah

أنْ يراقبَ الجوارَ بينمَا كانَ يحرّكُ جناحَيهِ اختفَى؛ لقدِ اختفَى إلى الأبدِ.

لنْ أنساكَ أبدًا يا صديقِي.

أرسلَتْ إبساك صيحتَهَا نحوَ الشّمسِ، وودّعَتْ صديقَهَا في قلبِهَا.

فجأةً، تذكّرَتِ البيضةَ الّتي تركَتْهَا خلالَ اللّيلِ، فأسرعَتْ راكضةً نحوَ أجمةِ الورودِ.

"آه، يا الله!".

عجزَتْ إبساك عنْ تصديقِ ما تراهُ بعينَيهَا، لكنّهُ لم يكنْ منْ نسجِ خيالِها. رأَتْ كائناً صغيراً يمشي ويخرجُ مِنَ الأجمةِ. خرجَ هذا الكائنُ مِنَ البيضةِ بمفردِهِ. كانَ ذلكَ الكائنُ الصّغيرُ الرّائعُ بزغبِهِ القصيرِ يحدّقُ إلى إبساك بعينَيهِ السّوداوَينِ اللامعتَينِ.

"آه، يا الله!".

وقفَتْ إبساك وقدْ غمرَتْهَا الرّهبةُ. كانَتْ تعرفُ أنّ هذا الكائنَ كانَ ينمُو داخلَ البيضةِ، لكنّ ما يحدثُ الآنَ أشبهُ بحلمٍ. كانَ كلُّ شيءٍ فيهِ صغيراً: عينانِ صغيرتانِ، وجناحانِ صغيرانِ، ورجلانِ صغيرتانِ. لكنْ، كلُّ شيءٍ فيهِ كانَ رائعاً إلى حدٍّ كبيرٍ.

"أهذا أنتَ يا صغيري!؟".

اندفعَتْ إبساك إلى الفرخِ الصّغيرِ الّذي خرجَ حديثاً مِنَ البيضةِ وأمسكَتْهُ بجناحَيهَا. كانَ حقيقيًّا وصغيراً ودافئاً. حملَ النّسيمُ إليهَا ضجيجَ البطّاتِ المتجهةِ نحوَ البركةِ. لم يظهرْ أنّ أيَّ

Twitter: @alqareah

شيءٍ قدْ تغيّرَ عمَّا كانَ عليهِ البارحةَ، لكنَّ هذا الصّباحَ كانَ خاصًّا بالنّسبةِ إلى إبساك. **هناكَ شيءٌ ما يحدثُ في هذا العالمِ علَى الدّوامِ. هناكَ كائنٌ ما يموتُ وآخرُ يُولَدُ. هناكَ فراقٌ ولقاءٌ في الوقتِ نفسهِ تقريباً. يعني ذلكَ أنّهُ يستحيلُ علينَا أنْ نحزَنَ إلى الأبدِ.**

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

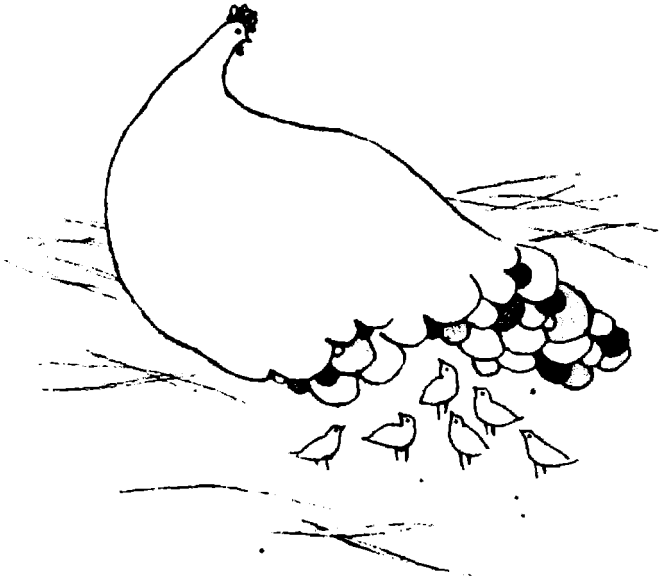

Twitter: @alqareah

الفصل السّادس

إبساك تغادرُ المزرعةَ

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

أحسَّتْ إبساك بمشاعرِ النّصرِ وهيَ تسرعُ في طريقِ عودتِهَا إلى المزرعةِ، بينمَا سارَ فرخُها الصّغيرُ بايبي ذو اللّونِ البنّيِّ خلفَها.

كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ محقًّا عندَمَا طلبَ منهَا مغادرةَ العشِّ بعدَ أنْ تفقسَ البيضةُ. فقدْ أرادَ منهَا أنْ تحميَ الفرخَ الجديدَ. أرادَهُما أنْ يكونَا بأمانٍ، ولذلكَ كانَ يبقى مستيقظاً طوالَ اللّيلِ خوفاً منْ جوعِ ابنِ عُرسٍ الّذي كانَ يزدادُ يوماً بعدَ يومٍ. كانَ صديقاً حقيقيًّا، فقدْ سعى دائماً إلى ملءِ معدتِهَا الفارغةِ كي تتمكّنَ البيضةُ منْ أنْ تفقسَ منْ دونِ أذًى. والآنَ، توجَّبَ علَى إبساك أنْ تنتقلَ إلى مكانٍ أكثرَ أماناً بعدَ تضحيةِ صديقِهَا.

كانَ الكلبُ العجوزُ هوَ الّذي لمحَ إبساك أوّلاً؛ فيمَا كانَ علَى وشكِ أن يغفوَ وسطَ حرارةِ الظّهيرةِ.

نبحَ الكلبُ العجوزُ: "عوْ، عوْ. أنتِ هناكَ".

فوجئَتْ دجاجةُ المزرعةِ حينَ سمعَتْهُ، وتوقّفَتْ عنْ نبشِ التّرابِ المحيطِ بالجدارِ الحجريِّ بمخالبِهَا، وأسرعَتْ كيْ تتحقّقَ ممَّا يحصلُ. لحقَتْ بِهَا ستّةُ فراخٍ صفراءِ اللّونِ، وقدْ كسَا الرّيشُ أجسامَهَا. كانَ لونُها أصفرَ بالكاملِ منْ دونِ وجودِ أيِّ بقعةٍ بنّيةٍ.

Twitter: @alqareah

عبستِ الدّجاجةُ وقالَتْ: "آه! أهذهِ أنتِ؟".

وقوقأَتْ مغتاظةً، ثُمّ نادَتِ الدّيكَ الّذي لم يكنْ يحبُّ الوقوفَ تحتَ أشعّةِ الشّمسِ الحارّةِ، فتردّدَ بالخروجِ إلى الحظيرةِ.

كانَتْ إبساك ترتاحُ تحتَ ظلالِ شجرةِ الخرنوبِ الأسودِ بينمَا كانَتْ تنتظرُ أنْ يلحقَ بِهَا صغيرُهَا الّذي سارَ مسافةً بعيدةً بالنّسبةِ إليهِ، لأنّهُ فقسَ حديثاً. وقعَ علَى الأرضِ عدّةَ مراتٍ، لكنّهُ تمكّنَ مِنَ الوصولِ إلى المزرعةِ بالرّغمِ منْ خطواتِهِ المتعثّرةِ والمضحكةِ.

دارَ الكلبُ حولَ الفرخِ الصّغيرِ وشمّهُ، ممّا جعلَ إبساك متوتّرةً. أمّا دجاجةُ الحظيرةِ وفراخُهَا فلمْ تتوقفْ عَنِ الثّرثرةِ.

"كوكْ، كوكْ، كوكْ".

تمتمَتِ الدّجاجةُ منزعجةً: "كيفَ أمكنَهَا أنْ تحضنَ بيضةً؟ يا للغرابةِ!".

قلّدَتِ الفراخُ أمّهَا وردّدَتْ كلامَهَا: "كيفَ أمكنَهَا أنْ تحضنَ بيضةً؟ يا للغرابةِ!". كانَتِ الفراخُ في بدايةِ تعلّمِهَا الكلامَ، ولذلكَ كانَتْ تردّدُ كلَّ شيءٍ تقولُهُ أمُّها الدّجاجةُ.

وبّخَتِ الدّجاجةُ فراخَهَا بالقولِ: "اسكتِي، لا يُفترضُ بكِ تعلُّمُ هذا الكلامِ".

ردّدَتِ الفراخُ منْ ورائِهَا: "اسكتِي، لا يُفترضُ بكِ تعلُّمُ هذا الكلامِ".

"يا اللهُ! لا يمكنُني حتّى أنْ أقولَ الأشياءَ الّتي أريدُ قولَها".

Twitter: @alqareah

ما إنْ بدأتِ الفراخُ بتكرارِ كلامِ أمِّهَا حتّى ركضَتِ الدّجاجةُ نحوَ كومةِ السّمادِ، ونادَتْ: "حانَ وقتُ الوجبةِ الخفيفةِ الشّهيّةِ".

أسرعَتْ مجموعةُ الفراخِ السّتةِ وراءَهَا، وردّدَتْ: "حانَ وقتُ الوجبةِ الخفيفةِ الشّهيّةِ".

ابتسمَتْ إبساك وهيَ تحدّقُ إلى الفراخِ. كانَتِ الفراخُ محبّبةً جدًّا، وكانَ ريشُها الأصفرُ أروعَ ما فيها علَى الأخصِّ. لم يسبق لإبساك أنْ رأَتْ فراخاً منْ مسافةٍ قريبةٍ كهذِهِ، لكنّهَا اعتقدَتْ أنَّ ريشَ فرخِها بابيي البنيَّ سوفَ يتحوّلُ إلى اللّونِ الأصفرِ مَعَ الوقتِ.

جلسَتْ إبساك تحتَ شجرةِ الخرنوبِ وهيَ تحتضِنُ بابيي تحتَ جناحِهَا. قرّرَتْ ألاَّ تتركَ باحةَ الحظيرةِ إلى أنْ يكتملَ نموُّهُ بالكاملِ، ومهمَا كانَ ما ستقولُهُ الطّيورُ الأخرى الّتي ستهزأُ منهُمَا، لكنَّ ذلكَ أفضلُ منْ أنْ يأكلَهُمَا ابنُ عُرسٍ.

رفعَ الكلبُ العجوزُ رأسَهُ ونبحَ: "يا لهذا الضّجيجِ!".

لم يتحمّلِ الدّيكُ الضّجيجَ أكثرَ منْ ذلكَ فخرجَ منَ الحظيرةِ. فُوجِئَ كثيراً عندَمَا رأى إبساك. دارَ حولَهَا، ويبدو أنّهُ استصعبَ الاعترافَ بأنّها لا تزالُ حيّةً.

همسَ الكلبُ شيئاً ما للدّيكِ الّذي ضاقَتْ عيناهُ علَى نحوٍ مفاجِئٍ.

قالَ الدّيكُ بكلِّ إصرارٍ: "هلْ هذا صحيحٌ؟ أريدُ أنْ أراهُ".

Twitter: @alqareah

شعرَتْ إبساك بالخوفِ قليلاً لأنّها لم ترغَبْ في أنْ تفعلَ ما طلبَهُ الدّيكُ، وهكذَا بقيَتْ ساكنةً في مكانهَا.

فقدَ الدّيكُ صبرَهُ، ونفَشَ الرّيشَ حولَ رقبتِهِ: "قلْتُ لكِ إنّني أريدُ رؤيةَ فرخِ البطِّ الصّغيرِ". ذُهلَتْ إبساك، لكنْ ليسَ بسببِ الدّيكِ الغاضبِ، بلْ لأنّهُ أطلقَ علَى بايي اسمَ *فرخِ البطِّ الصّغيرِ*. جاءَتِ الدّجاجةُ مَعْ فراخِهَا الصّغيرةِ وأحاطَتْ بإبساك.

بقيَتْ إبساك جالسةً مكانَهَا ومحتضنةً بايي. خطرَتْ سلسلةٌ منَ الأحداثِ في ذهنِهَا: البيضةُ في أجمةِ الورودِ، وفرخُ البطِّ البرّيُّ، والسّمكُ، والصّرخةُ الغامضةُ، وابنُ عُرسٍ، والرّيشُ ذو اللّونِ البنِّيِّ الفاتحِ...

فرخُ بطٍّ صغيرٌ.

تذكّرَتِ الآنَ أنَّ رجلَيْ بايي تمتلكَانِ غشاءً جلديًّا. ولاحظَتْ كذلكَ منقارَهُ المستديرَ وخطواتِهِ المترنحةَ، لكنّها اعتقدَتْ أنَّ السّببَ يعودُ إلى أنّهُ وُلدَ حديثاً. لكنْ، أيُعقلُ أنْ يكونَ فرخَ بطٍّ صغيراً؟!

شعرَتْ بالدّوارِ مثلَمَا حصلَ معهَا عندَمَا عضَّتْهَا إحدى البطّاتِ بينمَا كانَتْ تحاولُ أنْ تأكلَ مِنْ وعاءِ علفِهَا. بدأَتِ الآنَ تفهمُ كلَّ الأمورِ الّتي لم تفهمْهَا في السّابقِ.

سمعْتُ صرخةً عندَمَا ذهبْتُ إلى أجمةِ الورودِ للمرّةِ الأولى، وظننْتُ أنّهُ المتشرّدُ. لكنْ، يُحتملُ أنْ تكونَ تلكَ الصّرخةُ صرخةَ البطّةِ البيضاءِ كالثّلجِ. لا بدّ أنّها كذلكَ. هذا هوَ سببُ وجودِ

Twitter: @alqareah

البيضةِ وقدومِ المتشرّدِ. كنْتُ جاثمَةً عَلى بيضةِ البطّـةِ البيضـاءِ كالثّلجِ. كانَ المتشرّدُ يعرفُ ذلكَ منذُ البدايةِ، وكـانَ يعـرفُ كذلكَ أنّهُ عَلى وشكِ أنْ يموتَ.

استسلمَ فرخُ البطِّ البرّيُّ للنّومِ في تلكَ اللّيلـةِ الأخـيرةِ، وهكذَا تمكّنَ ابنُ عُرسٍ مِنَ الإمساكِ بِهِ. ضحَّى فرخُ البطِّ البرّيُّ بحياتِهِ طوعاً لأنّهُ عرفَ أنّ البيضةَ كانَتْ عَلى وشكِ أنْ تفقسَ، كمَا كانَ يأملُ أنْ تتمكّنَ إبساك وبابيـي من مغـادرةِ العـشِّ بينمَا كانَتْ معدةُ ابنِ عُرسٍ لا تزالُ ممتلئةً.

هذا هوَ السّببُ الّذي دفعَهُ لكيْ يطلبَ منّي الـذّهابَ إلى البركةِ، وليسَ إلى المزرعةِ.

كانَ جسمُهَا متصلّباً نتيجةَ الأسى. شعرَتْ بالألمِ يعتصـرُ قلبَهَا، أيْ مثلمَا شعرَتْ عندَمَا وضعَتْ آخرَ بيضةٍ لهـا. يشـعرُ الجسمُ بالألمِ عندَمَا يكونُ الأسى شديداً.

كُنْتَ والداً عظيماً أيّها المتشرّدُ. ماذا أفعلُ الآنَ؟

استرقَ بابيـي النّظرَ منْ تحتِ جناحِهَا. اضطربَتْ إبساك، لكنَّ بابيـي لم يكنْ شيئاً يمكنُهَا إخفاؤُهُ، ولهذا ظلَّتْ ساكنةً في مكانِهَا. خرجَ بابيـي إلى العراءِ وانضمَّ إلى الفراخِ الأخـرى. تمكّنَتِ الفراخُ من قبولِ بابيـي بسرعةٍ بالرّغمِ مِنَ اختلافِ لونِ ريشِهِ عنْ ريشِهَا.

يا للمسكينِ الصّغيرِ! لا بدّ أنّهُ يظنُّ نفسَهُ فرخَ دجاجٍ هـوَ أيضاً.

Twitter: @alqareah

شعرَتْ إبساك بأنّ قلبَهَا يُعتَصَرُ من فرطِ الإشـــفاقِ علَـــى بايـــي الّذي يختلفُ كثيراً عن بقيّةِ الفراخِ في اللّونِ والشّكلِ.

نبحَ الكلبُ بكلّ ثقةٍ: "أترى؟ قلتُ لكَ".

حملقَ الدّيكُ إلى إبساك، بينمَا كانَتْ دجاجةُ باحةِ الحظيرةِ تهزأُ منهَا.

تمتمَتْ دجاجةُ الحظيرةِ: "إنّ هذهِ الدّجاجةَ المعتلّةَ لا تستطيعُ أبداً أنْ تضعَ بيضةً بطبيعةِ الحالِ. يا للفضيحةِ! كانَ مِنَ الأشرفِ لَهَا لوْ بيعَتْ إلى أحدِ المطاعمِ".

حدّقَتْ إليهَا إبساك مَعْ أنّها لم تفهمْ ما كانَتْ تقولُهُ عنهَا.

صاحَ الدّيكُ قائلاً: "هذا يعني أنّهُ مِنَ الأفضلِ للدّجاجةِ أنْ تُؤكَلَ في مطعمٍ علَى أنْ تفعلَ ما فعلتِهِ. ألا تخجلينَ منْ نفسكِ، أنتِ الّتي تنتمينَ إلى فصيلةِ الطّيورِ ذاتِ الأعرافِ، لأنّكِ حضَنْتِ بيضةَ طائرٍ آخرَ؟".

"هذا صحيحٌ. ألاَ تخجلينَ لأنّكِ حضنْتِ فرخَ بطٍّ؟ لم يسبقْ لي أنْ رأيْتُ مهزلةً كهذهِ في حياتي".

ازدادَ هياجُ الدّيكِ، وهجمَ علَى الكلبِ وكأنّـــهُ يريـــدُ أنْ ينقرَهُ، فتراجعَ الكلبُ إلى وجارهِ ببطء.

تابعَ الدّيكُ كلامَهُ بعدَ أنْ نفشَ كلَّ ريشِهِ: "أنتِ عارٌ كبيرٌ علَى الطّيورِ ذاتِ الأعرافِ. لقدْ جعلْتِ مـــنْ فصـــيلتِنَا هـــدفاً للسّخريةِ. كيفَ تجرأْتِ علَى إلحاقِ العارِ بنَا. إنّ أصواتَنَا وتيجانَنَا نقيةٌ كالشّمسِ. يا لكِ منْ دجاجةٍ حمقاءَ".

Twitter: @alqareah

عبسَ الدّيكُ، وراحَ يتجوّلُ في أنحاءِ باحةِ الحظيرةِ مفكّـراً، وكانَ يتوقّفُ بينَ وقتٍ وآخرَ للتّحديقِ إلى إبساك.

قالَ الدّيكُ بعدَ أنْ توصّلَ إلى قرارٍ: "لا يمكـنُني السّـماحُ بهذا!".

كانَتْ إبساك تفكّرُ أيضاً. لكنْ، بالرّغمِ منْ أنّهـا كانَـتْ مشوشةً بأفكارٍ عديدةٍ، إلاّ أنّ أمراً واحداً كانَ مؤكّداً؛ وهو أنّها لم تكنْ تشعرُ بالخجلِ منْ نفسِهَا.

اعتنَيْتُ بالبيضةِ منْ كلّ قلبـي، وتمنّيْتُ أنْ يفقسَ بايـي. أحببْتُهُ حتّى عندَمَا كانَ مجرّدَ بيضةٍ. لم أشكَّ قـطُّ في الشّـيءِ الموجودِ داخلَهَا. إذاً، ما الفرقُ في أنْ يكونَ فرخاً صغيراً مِنَ البطِّ بدلاً منْ أنْ يكونَ فرخَ دجاجٍ؟ يعتقدُ بايـي أنّني أمُّهُ.

حلّ الغسقُ مجدّداً.

ما إنْ عادَتِ البطّاتُ مِنَ البركةِ حتّـى دعـا الـدّيكُ إلى اجتماعٍ لحسمِ مسألةِ "الدّجاجةِ الوقحةِ وفـرخِ الـبطِّ الّـذي حضنَتْهُ".

أرادَ الدّيكُ التّخلّصَ منْ إبساك وفرخِ البطِّ علَى الفورِ، لكنّهُ أدركَ أنّهُ لا يستطيعُ أنْ يفعلَ ما يريدُهُ لأنّهُ سمعَ حديثَ المـزارعِ إلى زوجتِهِ.

"يا لهَا منْ دجاجةٍ! إنّها لطيفةٌ وممتلئةٌ".

"إنّنا محظوظانِ لوجودِ فرخِ بطٍّ في الباحةِ هنا. أريدُ أنْ أبقيَهُ في الحظيرةِ".

Twitter: @alqareah

لم يرغبِ الدّيكُ في السّماحِ لهُمَا بالبقاءِ، لكنّهُ اضطرّ إلى السّماحِ لإبساك وبابي بالبقاءِ في الحظيرةِ تلكَ اللّيلةَ. افتتحَ الدّيكُ الاجتماعَ بمزاجٍ سيّئٍ. وحاولَ بصفتِهِ ملكَ باحةِ الحظيرةِ أنْ يحافظَ علَى ماءِ وجهِهِ لاضطرارِهِ إلى قبولِ إبساك وبابي هناكَ رغماً عنهُ.

اعتلَى الدّيكُ مكانَهُ، ونظرَ منْ هناكَ إلى الجميعِ، بينمَا جلستِ الدّجاجةُ مَعْ فراخِهَا فوقَ عشٍّ من القشِّ. جلستِ البطّاتُ كذلكَ حولَ رئيسِ البطّاتِ، بينمَا جلستْ إبساك قربَ البابِ محتضنةً بابي تحتَ جناحِهَا. لم يتمكّنِ الكلبُ، بصفتِهِ الحارسَ، سوى منْ وضعِ قائمتَيهِ الأماميتينِ في الحظيرةِ. واستمعَ الجميعُ إلى الدّيكِ.

"إنّ هذهِ القضيّةَ قضيةٌ معقدةٌ كمَا يعرفُ الجميعُ. فقدْ حضنَتْ هذهِ الدّجاجةُ فرخَ بطٍّ، لكنّهَا عادَتِ الآنَ لتعيشَ في باحةِ الحظيرةِ. إنّ القرارَ بالتّأكيدِ عائدٌ لي لأنّني ملكُ الحظيرةِ، لكنّني أحبُّ أنْ أستمعَ إلى رأيِ البطّاتِ، لأنّ هذهِ القضيةَ تهمُّ فصيلتَينَا". حملقَ الدّيكُ إلى إبساك باحتقارٍ قبلَ أنْ يتابعَ: "ماذا نفعلُ بهذا العارِ الّذي جلبَتْهُ لنا هذهِ الدّجاجةُ وصغيرُها؟".

تكلّمَتْ دجاجةُ باحةِ الحظيرةِ وقالَتْ: "تكفي دجاجةٌ واحدةٌ في هذهِ الحظيرةِ. يُضافُ إلى ذلكَ أنّ فراخِي السّتةَ قدْ فقسَتْ حديثاً، والحظيرةَ تضيقُ بها. وإنْ بقينَا هُنَا فسأضطرُّ إلى تربيةِ فراخِي مَعْ فرخِ البطِّ. وعندَهَا، ستسألُني فراخِي أسئلةً مثلَ: لماذا يبطبطُ وينادي الدّجاجةَ كمَا لوْ أنّها أمُّهُ؟ أوْ لماذا هوَ مختلفٌ

Twitter: @alqareah

عنّا؟ حتّى إنّ بعضَ الفراخِ ستبطبطُ بدلاً مـــنْ أنْ تقـــوقئَ. لا أستطيعُ تربيةَ فراخِي في هذهِ البيئةِ المضطربةِ. أريدُ أنْ ترحلَ هذهِ الدّجاجةُ البشعةُ وفرخُها".

أومأَ الكلبُ موافقاً: "إنَّ الحفاظَ علَى النّظامِ أهـــمُّ شـــيءٍ بطبيعةِ الحالِ بالتّأكيدِ".

احتضنَتْ إبساك بايـــي بشدّةٍ بينمَا كانَ يتملمـــلُ محـــاولاً الخروجَ منْ تحتِ جناحِ أمِّهِ. يُحتملُ أنْ يزدادَ غضـــبُ حيوانـــاتِ باحةِ الحظيرةِ إذا رأتْهُ، وكانَ منَ المهمِّ بالنّسبةِ إليهَا أنْ يسودَ الهدوءُ ذلكَ الاجتماعَ كي تتمكّنَ هيَ وبايـــي مِنَ العيشِ في الحظيرةِ.

بدأَ رئيسُ البطِّ بالكلامِ بكلِّ لطفٍ: "أعتقدُ أنَّ فـــرخَ الـــبطِّ ضعيفٌ جدًّا. وسيموتُ إذا طردنَاهُ قبلَ أنْ يتعلّمَ أيَّ شيءٍ. أعتقـــدُ أنّهُ مِنَ الأفضلِ أنْ يبقى هُنَا. أعتقدُ كذلكَ أنّهُ يجبُ أنْ يؤخَذَ برأيي لأنَّ فرخَ البطِّ الصّغيرَ مِنْ جنسي. الجميعُ يعلمُ أنَّ ابنَ عُرسٍ تمكّـــنَ من قتلِ البطّةِ البيضاءِ كالثّلجِ والمتشرّدِ. إنّ عائلتَنَا تتناقصُ باستمرارٍ. يُضافُ إلى ذلكَ أنّهُ مرّ وقتٌ طويلٌ منذُ أنْ رأينَا فرخَ بطٍّ صـــغيراً. إنّنا لا نجثِمُ علَى البيضِ هذهِ الأيامِ كمَا يعلمُ الجميعُ".

قالَتِ الدّجاجةُ بكلِّ سخريةٍ: "هذا هراءٌ. أليسَتْ عائلتُـــكَ كبيرةً بما يكفي؟ هلْ تتجرأُ علَى هذا القولِ في حينِ أنَّ الحظـــيرةَ مليئةٌ بالبطِّ؟ إنّهُ لا يعرفُ أنّهُ فرخُ بطٍّ علَى أيِّ حالٍ".

ختمَ رئيسُ البطِّ كلامَهُ بإصرارٍ: "يمكنُهُ أنْ يتعلّمَ ذلكَ. يبقى البطُّ بطًّا حتّى لوْ حضنَتْهُ دجاجةٌ. إنّهُ يحتاجُ إلى تعلّمِ السّـــباحةِ،

Twitter: @alqareah

وإلى التقاطِ السّمكِ. سأعلّمُهُ ذلكَ بنفسي. إنّنا لا نريدُ إخراجَهُ مِنَ المزرعةِ. هذا رأيُنَا".

ردّتِ الدّجاجةُ بصوتٍ عالٍ وهي تصفّقُ بجناحَيهَا: "لا يمكنهُمَا البقاءُ هنا. إذا قبلْنَا كلَّ صعلوكٍ يمرُّ مِنْ هُنَا فسوفَ ينتهي بنَا الأمرُ بقبولِ أنْ يعيشَ ابنُ عُرسٍ معَنَا كذلكَ. إنّها البدايةُ فقطْ".

أظهرَ الكلبُ عدمَ رضاهُ وتمتمَ: "ما عسايَ أكونُ إذاً!؟ أنا حارسٌ لا غبارَ عليهِ".

بطبطَتْ جميعُ البطّاتِ في الوقتِ ذاتِهِ، فيما قوقأَتِ الدّجاجةُ من دونِ توقّفٍ. استمرَّ النّزاعُ حتّى وقتٍ متأخّرٍ مِنَ اللّيلِ. وبلغَتْ ضجّةُ الاجتماعِ حدًّا دفعَ المزارعُ وزوجتُهُ إلى الخروجِ من بيتهِمَا ووضعِ فانوسٍ في الحظيرةِ.

قال المزارع: "إنّها تتنازعُ علَى الأمكنةِ. يجبُ علينا أن نفعَلَ شيئاً ما إنْ يحلُّ الصّباحُ".

أضاءَ المزارعُ كلَّ زاويةٍ من الحظيرةِ. كانَتْ أوعيةُ المياهِ مقلوبةً، والرّيشُ متناثراً في كلِّ مكانٍ. وعندَمَا سكتَتْ طيورُ باحةِ الحظيرةِ في النّهايةِ، أضاءَ نورُ الفانوسِ إبساك.

قالَ المزارعُ بسرورٍ: "حسناً، انظري إلى هذهِ".

ردّتْ زوجةُ المزارعِ: "أليسَتْ رائعةً؟".

غادرَ المزارعُ وزوجتُهُ الحظيرةَ، لكنّ إبساك كانَتْ قلقةً ممّا يقولانِهِ، وأصغَتْ بتركيزٍ كي تعرفَ ماذا سيفعلانِ بهما في الصّباحِ.

Twitter: @alqareah

"هلْ يجبُ علينا أن نضعَهَا في القنِّ؟ أمْ أنْ نصنعَ منهَا حساءً للعشاءِ في الغدِ؟".

ردّ المزارعُ: "افعلي بها ما تشائينَ. إنّني أهتمُّ بفرخِ البطِّ أكثرَ منها. أعتقدُ أنّهُ فرخُ بطٍّ بريٌّ. هلْ نضعُهُ في قفصٍ، أمْ نقصّ لَهُ جناحَيهِ؟".

شعرَتْ إبساك بالرّعب.

أيريدانِ قصَّ جناحَيهِ؟ هذا مستحيلٌ.

كانَ مِنَ الواضحِ أنَّ إبساك هيَ الوحيدةُ الّتي سمعَتْ ما قالَهُ المزارعُ وزوجتُهُ. وما إنْ غادرا حتّى عادَ الدّيكُ والدّجاجةُ إلى الشّجارِ مَعَ البطّاتِ مجدّداً، حتّى إنّ الكلبَ اشتركَ في الشّجارِ أيضاً.

"يجبُ أنْ يغادرا. كوكْ - كوكْ - كوكْ".

"كلا، أبداً. كواكْ - كواكْ - كواكْ".

"كنتُ دائماً حارساً لا غبارَ عليهِ. عوْ - عوْ - عوْ".

يا الله! إمّا في القنِّ أوْ في طبقِ الحساءِ.

أحسَّتْ إبساك بفراغٍ في صدرِهَا، وبدأَتْ ترتجفُ. كانَ ما سمعَتْهُ مخيفاً مثلَ عينَي ابنِ عُرسٍ. تأسّفَتْ لأنّها عادَتْ إلى المزرعةِ. هلْ كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ يعرفُ أنّ الأمرَ سوفَ يكونُ هكذَا؟

"اذهبي إلى البركةِ، وليسَ إلى باحةِ الحظيرةِ".

مسحَتْ إبساك دموعَهَا منْ دونِ أنْ يراهَا أحدٌ. أرادَتْ أنْ

Twitter: @alqareah

تأخذَ بابيـــي مِنَ المزرعةِ وتغادرَ في أسرعِ وقتٍ ممكنٍ، وقبلَ أن يقُصّا لَهُ جناحَيهِ، أوْ يضعَاهَا في القنِّ.

مرّ اللّيلُ ببطء، وبقيَتْ إبساك مستيقظةً لأنّها مضـــطرّةٌ إلى المغادرةِ قبلَ أن يستيقظَ المزارعُ والدّيكُ.

كانَ بإمكانها رؤيةُ الأشجارِ علَى الجبالِ مَعْ بزوغِ الشّمسِ. كانَ الدّيكُ عادةً يستيقظُ في هذا الوقتِ كي يصيحَ، لكنّهُ تأخّرَ اليومَ. وحدَثَ الأمرُ ذاتُهُ مَعَ الكلبِ الحارسِ.

همسَتْ إبساك في أذنِ بابيـــي الّذي كـــانَ قابعـــاً تحـــتَ جناحِهَا: "دعنَا نغادرُ هذا المكانَ، وبهدوءٍ".

"حسناً يا أمّي".

وقفَتْ إبساك بهدوءٍ، ومشَتْ نحوَ الحظـــيرةِ مـــن دونِ أن تصدرَ أيَّ صوتٍ، وتبعَهَا بابيـــي بصمتٍ. كانَتِ الظلمةُ المائلةُ إلى الزّرقةِ تخيّمُ علَى المزرعةِ، لكنّ ذلكَ لم يكنْ مشكلةً بالنّســـبةِ إليهِمَا لأنّ الشّمسَ ستشرقُ قريباً.

غادرَتِ الدّجاجةُ المزرعةَ مَعَ فرخِ البطِّ الصّغيرِ، ومرَّا أمـــامَ شجرةِ الخرنوبِ الأسودِ. نظرَتْ إبســـاك إلى الخلـــفِ – نحـــو الحظيرةِ – للمرّةِ الأخيرةِ بقلبٍ مليءٍ بالأسى.

لن أعودَ إلى هُنَا مرّةً أخرى.

كانَتْ إبساك أكثرَ تصميماً وهيَ تدخلُ عـــالَمَ المجهـــولِ. تركَتِ المزرعةَ وراءَهَا، وأخرجَتْ مخالبَهَا، ثُمَّ أغلقَتْ منقارَهَـــا بإحكامٍ بينمَا كانَتْ تنظرُ أمامَهَا بكلِّ تصميمٍ.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل السّابع

الجوّالُ والصّيادُ

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

كانَتِ الدّربُ الموصلةُ إلى البركةِ وعرةً. بدأَتْ حياةُ إبساك في البرّيّةِ مِنْ دونِ وجودِ حارسٍ أوْ حظيرةٍ. يتوجّبُ علَى كلِّ حيوانٍ يتجوّلُ في البرّيّةِ ألاّ ينسى الخطرَ الّذي يمثّلُهُ ابنُ عُرسٍ، ولا لِلَحظةٍ واحدةٍ.

أَعطِنِي الجرأَةَ أَيُّها المتشرّدُ. إنّني أحتاجُ إلى القوّةِ لكيْ أحمِيَ بابيـــي حتّى يكبرَ.

كانَتْ إبساك تتحدّثُ إلى فرخِ البطِّ البرّيِّ كمَا لــوْ أنّــهُ أمامَها؛ فيمَا هيَ تحتفظُ بحبِّهَا لَهُ في قلبِهَا.

شعرَ بابيـــي بالتّعبِ قبلَ وقتٍ طويــلٍ مِــنْ وصــولِهِ إلى البركةِ، ولهذا كانَ مِنَ الصّعبِ عليهِ متابعةُ السّيرِ. قادَتْهُ إبســاك إلى حقلٍ مزروعٍ بالأرزِّ، فشربَا الماءَ الّذي كانَ ينسابُ إلى حقلِ الأرزِّ، وأكلاَ الجنادبَ الّتي تعيشُ هناكَ.

استسلمَ بابيـــي للنّومِ تحتَ أوراقِ الحمّاضِ الأصفر، فيمــا بقيَتْ إبساك مستيقظةً طوالَ اللّيلِ وهيَ تغالــبُ النّــومَ، إلى أنْ عجزَتْ عنْ فتحِ عينَيهَا، فاستسلمَتْ بدورِهَا لنومٍ عميقٍ.

"كواكْ، كواكْ! يا لَهُ مِنْ منظر!".

سمعَتْ إبساك ضجيجاً عالياً تردّدَ بكلِّ وضوحٍ واخترقَ أذنَيهَا، لكنّ جفنَيهَا رفضَا أنْ ينفتحَا، وكأنَّ غراءً ما أحكمَ إغلاقَهُمَا.

Twitter: @alqareah

قالَ أحدُهُم موبّخاً بصوتٍ عالٍ: "تسكْ، تسكْ. إنّها تكادُ لا تعرفُ شيئاً عنْ هذا العالمِ القاسي".

قفزَتْ إبساك واقفةً علَى رجلَيهَا وسألَتْ: "ماذا تفعلُ هُنَا؟".

كانَ رئيسُ البطِّ ينظرُ إليهَا مِنْ حيثُ يقفُ علَى التّلّةِ، بينمَا وقفَتِ البطّاتُ الأخرى وراءَهُ.

قالَ رئيسُ البطِّ: "لماذا هربتِ؟ الحظيرةُ آمنةٌ".

تلعثمَتْ إبساك وهيَ تقولُ: "حسناً... كنْتُ...".

ظنَّتْ إبساك أنّهُ مِنَ الأفضلِ ألاَّ تكشفَ عنْ حقيقةِ أنَّ باحةَ الحظيرةِ لم تعدْ آمنةً بالنّسبةِ إليهِمَا. فبمَ سيفيدُهَا أنْ تكشفَ عنْ خطّةِ المزارعِ؟

"شعرْتُ بالأسفِ لأنّ طيورَ الحظيرةِ تخاصمَتْ بشأنِنَا. إنّنَا متّجهانِ إلى البركةِ الآنَ".

تسلقَتْ إبساك التّلّةَ مَعْ بايبي. سارَا بكلِّ جدّيّةٍ في طريقهِمَا إلى البركةِ الّتي أصبحَتِ الآنَ قريبةً منهُمَا. تجمّعَتِ البطّاتُ حولَ بايبي بكلِّ إعجاب. كانَتِ البطّاتُ مسرورةً بهِ، لكنّهُ فضّلَ أنْ يسيرَ وراءَ إبساك مباشرةً.

قالَتْ إحدى البطّاتِ: "شكراً لكِ لأنّكِ حضنْتِ البيضةَ. لم يسبقْ لنا أنْ شاهدْنَا فرخاً لطيفاً كهذا. فكما تعلمينَ، يُباعُ البيضُ الّذي نضعُهُ علَى الفورِ، أوْ يُؤخذُ إلى الحاضنةِ؛ ممّا يعني أنّهُ لم يسبقْ لأيٍّ منّا أنْ حضنَتْ فرخاً. إنّ سرورَنَا كبيرٌ لانضمامِهِ إلى عائلتِنَا".

Twitter: @alqareah

توقّفَتْ إبساك فجأةً، وتكلّمَتْ ببطءٍ كيْ توضّحَ موقفَهَا: "العائلةُ؟! لا أرغبُ في التّخلّي عنْ فرخي لأجلِكِ".

سألَتِ البطّةُ: "ماذا تعنينَ؟ ماذا ستفعلينَ؟ أنتِ دجاجةٌ".

"إنّني أمٌّ، ولنْ أسمحَ لأحدٍ بقصِّ جناحَي فرخِي".

ردّتِ البطّةُ مِنْ دونِ اكتراثٍ: "هلْ هربتِ لهذا السّبب؟ لا تقلقِي لأنَّ الأمرَ غيرُ مؤلمٍ مطلقاً. لكنّ الوخزَ يستمرُ للحظةٍ واحدةٍ. يُحتملُ أنّهُ لنْ يشعرَ بذلِكَ أبداً. يقلقُ المزارعُ مِنْ إمكانيةِ أنْ يطيرَ بعيداً".

"أنْ يطيرَ بعيداً؟!".

"يبدُو هذا الفرخُ أقربَ إلى بطٍّ بريٍّ منهُ إلى بطٍّ مزرعةٍ. ستكونُ حياتُهُ في خطرٍ إذا لم يُروَّضْ، وسيعيشُ مثلَ المتشرّدِ ويموتُ مثلَهُ".

التزمَتْ إبساك الصّمتَ. كانَ موتُ فرخِ البطِّ البرّيِّ مأساويًّا حقًّا. لكنّها لم ترغبْ في التّخلّي عنْ بايي مطلقاً، حتّى لوْ كانَتِ البطّاتُ هيَ الّتي ستعتَني بِهِ.

تبعَ رئيسُ البطِّ إبساك، وبذلَ جهداً قويًّا لإقناعِهَا.

"فكّري في المتشرّدِ. لقدْ بقيَ وحيداً بعدَ أنْ تركَتْهُ جماعةُ البطِّ البرّيِّ. يصعبُ كثيراً ألاَّ يكونَ الفرخُ برّيًّا أوْ بطَّ مزرعةٍ. لم يستطعِ المتشرّدُ أنْ يتحكّمَ كثيراً بمصيرِهِ. خسرَ شريكتَهُ بسببِ ابنِ عُرسٍ، وتعرّضَ جناحُهُ لعضّةٍ، ولَمْ يتمكّنْ كذلكَ مِنَ العودةِ إلى بلادِ الشّمالِ لأنّهُ لم يتمكّنْ مِنَ الطّيرانِ".

Twitter: @alqareah

فوجئَتْ إبساك بما سمعَتْهُ وسألَتْ: "هلْ كانَ ابنُ عُرسٍ هوَ الّذي أعطبَ جناحَهُ؟".

"ومَنْ غيرُهُ يستطيعُ أنْ يفعلَ ذلكَ؟".

أومأَتْ إبساك بصمتٍ. تذكّرَتْ كيفَ كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ ينفشُ ريشَ رقبتِهِ في كلِّ مرّةٍ يسمعُ فيهَا ذكرَ ابنِ عُرسٍ.

"نالَ منهُ ابنُ عُرسٍ مجدّداً، حتّى بعدَ أنْ تزاوجَ مَعَ البطّةِ البيضاءِ كالثّلجِ. حصلَ كلُّ ذلكَ لأنّهُ لم يتوقّفْ عنْ ممارسةِ عاداتِ البطِّ البرّيِّ. أمّا لوْ جثَمَتِ البطّةُ البيضاءُ كالثّلجِ علَى البيضةِ في الحظيرةِ لَمَا ماتَا، ولكَانَا لا يزالانِ معَنا في السّرب. لكنْ، لوْ حصلَ ذلكَ لأخذَ المزارعُ البيضةَ، ولَمَا تمكّنَّا مِنْ حضانتِهَا علَى أيِّ حالٍ". تنهّدَ رئيسُ البطِّ وهوَ يقولُ ذلكَ.

تذكّرَتْ إبساك فجأةً آخرَ ليلةٍ أمضَتْهَا في العشِّ داخلَ أجمةِ الورودِ فارتجفَتْ.

إنّني أفهمُكَ الآنَ أيّها المتشرّدُ. تقاسَمْنَا الأملَ ذاتَهُ. ليتَني فهمْتُ ذلكَ في وقتٍ أبكرَ...

تذكّرَتْ إبساك أنَّ فرخَ البطِّ البرّيَّ بدَا قلقاً مِنْ أنْ تكتشفَ أنّها تجثمُ علَى بيضةِ بطّةٍ، وأنْ تتخلّى عنْهَا بعدَ ذلكَ.

حتّى لوْ عرفْتُ ذلكَ، ما كنْتُ لأرفضَهَا. لا يمكنُ لأحدٍ أنْ يتصوّرَ مدى سعادَتِي عندمَا كنْتُ أحضنُ البيضةَ.

تباطأَتْ إبساك قليلاً في سيرِهَا، ومشَتْ إلى جانبِ بايبي، فأبطأَتِ البطّاتُ مِنْ سرعتِهَا علَى مضضٍ.

Twitter: @alqareah

ابنُ عُرس، ذلكَ الصّيادُ الرّهيبُ! إنّهُ يخيفُني، وأنا أكرهُهُ كثيراً لأنّهُ سلَبَني كلَّ شيءٍ ذي قيمةٍ بالنّسبةِ إليَّ. ليتَني كنْتُ أقوَى منهُ.

كانَتْ تلكَ الفكرةُ لا منفعةَ منْهَا، وهيَ يجبُ أنْ تنسَى كلَّ شيءٍ عَنِ الانتقامِ. كانَتْ إبساك علَى وشكِ أنْ تنفجرَ بالبكاءِ لمجرّدِ تفكيرِهَا في صعوبةِ تمكّنِهَا مِنَ النّجاةِ في البرّيّةِ في الأيّامِ القادمةِ. لكنّها أبقَتْ منقارَها مغلقاً وكبتَتْ عواطفَهَا.

في النّهايةِ، وصلَ الجميعُ إلى البركةِ. أسرعَتِ البطّاتُ إلى المياهِ، ما عدا رئيسُ البطِّ وبايي اللّذَينِ بقيَا إلى جانبِ إبساك.

"اسمعِي. إنّهُ لا يعرفُ أنّهُ مِنَ البطِّ، وأنّهُ يستطيعُ أنْ يسبحَ. فهوَ يعتقدُ أنّهُ مِنْ فصيلةِ الدّجاجِ بالرّغمِ مِنَ اختلافِ رجلَيهِ عنْ رجلَيكِ".

فتحَ رئيسُ البطِّ جناحَيهِ، وحاولَ أنْ يدفعَ بايي إلى المياهِ. لكنّ المحاولةَ لم تنجحْ لأنَّ بايي كافحَ كيْ لا يسقطَ في المياهِ، وبكى في النّهايةِ.

نفشَتْ إبساك ريشَهَا وصاحَتْ غاضبةً: "دعْهُ وشأنَهُ".

ركضَ بايي عائداً إليهَا، واختبأَ تحتَ جناحِهَا، فتنهّدَ رئيسُ البطِّ بحسرةٍ.

"أنتِ مخطئةٌ. فرخُ البطِّ يظلُّ فرخَ بطٍّ؛ حتّى لوْ حضنَتْهُ دجاجةٌ". هزَّ رأسَهُ وسبَحَ بعيداً كيْ يلحقَ بسربِهِ.

Twitter: @alqareah

سيطَرَ الحزنُ علَى إبساك، ولكنْ توجَّبَ عليهَا أنْ تعثرَ علَى عشٍّ لبايـــي. تلاشَى ضجيجُ البطّاتِ عنْ سمعِهَا عندمَا ســـارَتْ بمحاذاةِ حافّةِ المياهِ.

لا أعرفُ ماذا أستطيعُ أنْ أفعلَ. لكنّني سوفَ أحترسُ مِـــنَ ابنِ عُرس.

اقتربَا مِنْ حقلٍ مِنَ القصب. أُعجبَتْ إبساك بالحقلِ مـــا إنْ وقعَتْ عليهِ عيناهَا للمرّةِ الأولى. كانَ القصبُ اليـــابسُ يغطّـــي الأرضَ، بينمَا نبتَ القصبُ الجديدُ بكثافةٍ إلى جانبِ أعشـــابِ المستنقعاتِ الأخرى؛ ممّا جعلَ مِنْ ذلكَ المكانِ ملجأً جيّداً. كانَ منظرُ زنابقِ وسنابلِ الماءِ يثيرُ البهجةَ، لكنَّ أفضلَ ما في الأمرِ هوَ الطّعامُ الوفيرُ.

جلسَتِ الضّفادعُ علَى الزّنابقِ ونقّتْ، وكانَتْ مجموعـــاتٌ مِنَ الجنادبِ ترتاحُ علَى القصب، بينمَا سبحَتِ الأسماكُ الصّغيرةُ وحشراتُ الماءِ نحوَ السّطحِ. كانَ ذلكَ المكانُ رائعاً بالنّســـبةِ إلى إبساك وبايـــي.

أتمنّى ألّا يجدَنَا أحدٌ هُنَا.

جمعَتْ إبساك القصبَ اليابسَ وصنعَتْ عشًّا. شعرَتْ وكأنّهُ يجبُ عليهَا تصغيرُ حجمِهَا مثلَ الطّيورِ الأخرَى حتّى تتمكّنَ مِنَ المكوثِ بينَ هذهِ النّباتاتِ المائيةِ الكثيفةِ.

خرجَ بايـــي في هذهِ الأثناءِ ليجلسَ فوقَ الزّنابقِ.

قالَتْ إبساك: "كُنْ حذراً يا بايـــي".

Twitter: @alqareah

ردّدَ بايـــي كلامَهَا وهوَ يقفزُ بسرورٍ مِنْ زنبقةٍ إلى أخرى: "كُنْ حذراً، حذراً".

لم تتمكّنْ إبساك مِنَ الوصولِ إلى بايـــي لأنّـــهُ ابتعـــدَ كثيراً في المياهِ. ظلَّ بايـــي يقفزُ مِنْ زنبقةٍ إلى أخـــرى مبتعـــداً عنْ إبساك الّتي شعرَتْ بالقلقِ عليهِ عنـــدمَا وصـــلَ إلى الميـــاهِ العميقةِ.

صاحَتْ إبساك: "حانَ وقتُ العودةِ يا بايـــي".

صاحَ بايـــي بفخرٍ: "أمِّي، انظري كمْ أصبحْتُ بعيداً!".

لوّحَ بجناحَيهِ الصّغيرَينِ بحماسةٍ، فمالَتْ الزّنبقةُ فجأةً ورمتْهُ في الماءِ.

"بايـــي".

احتارَتْ إبساك في ما يجبُ عليهَا فعلُهُ، وضـــربَتْ الأرضَ برجلَيهَا مِنْ شدّةِ يأسِهَا. صُدمَ بايـــي ممّا حصلَ، وترنّحَ في المياهِ محاولاً عدمَ الغرقِ. لم تُضِعْ إبساك لحظةً واحدةً وقفزَتْ وراءَهُ، لكنّهَا بالكادِ نجحَتْ في دفعِ نفسِهَا نحوَ حافّةِ المياهِ بعدَ أنِ ابتـــلَّ ريشُهَا.

صاحَ بايـــي بعدَ أنْ كادَتْ أنفاسُهُ تنقطعُ نتيجةَ تخبّطِهِ في المياهِ: "ماما، انظري إليَّ".

نظرَتْ إليه إبساك بتركيزٍ أكبرَ، فأدركَتْ أنّهُ لم يكُنْ يغرقُ. كانَ يطفو علَى سطحِ الماءِ، وإنْ كانَ يفعـــلُ ذلـــكَ بطريقـــةٍ مضحكةٍ.

Twitter: @alqareah

بدأَتْ إبساك بالضّحكِ بصوتٍ عالٍ بينمَا كانَ الماءُ يقطـــرُ مِنْ جسمِهَا، وتأثّرتْ كثيراً بشعورِهَا بالفخرِ لأنَّ بايبـــي تمكّنَ مِنَ القيامِ بأمرٍ لم يتعلّمْهُ قطُّ.

أجلْ. إنّكَ فرخُ بطٍّ مِنْ دونِ أيِّ شكٍّ.

مرَّتْ عدّةُ أيّامٍ بسلامٍ، وخسرَتْ إبساك بعضَ الوزنِ كـــيْ تتمكّنَ مِنَ التّحرّكِ بسهولةٍ بينَ القصبِ. وحاولَتْ أيضاً ألاَّ تظهرَ كثيراً، لأنّ زوجاً مِنْ طيورِ القصبِ المغرّدةِ قدْ صـــنعَ عشّـــا في مكانٍ قريبٍ، ووضَعَ فيهِ بيضاً.

لم يقتربْ أحدٌ مِنَ العشِّ في حقلِ القصبِ منذُ بـــدءِ ولادةِ القمرِ الجديدِ وحتّى اكتمالِهِ. وشعرَتْ إبساك بالرّعـــبِ أحيانـــاً عندمَا تذكّرَتْ ابنَ عُرسٍ وسطَ الظّلالِ الّتي ينشرُهَا ضوءُ القمرِ، أوْ عندمَا كانَتْ تسمعُ حفيفَ القصبِ، لكنّها تمكّنَتْ مِنَ العيشِ بشكلٍ جيّدٍ. واستمرّ ذلكَ إلى أنْ عثرَ عليهِمَا رئـــيسُ الـــبطِّ في النّهايةِ.

اعتادَ بايبـــي علَى السّباحةِ كلَّ صباحٍ. وكانَ يكبرُ كـــلَّ يومٍ، وازدادَتْ مهارتُهُ في السّباحةِ والتقاطِ الأسماكِ. لكنّـــهُ مَـــعْ ذلكَ ظلَّ يستمتعُ بالنّومِ تحتَ جناحِ إبساك في اللّيلِ.

في أحدِ الأيّامِ، سبحَ بايبـــي إلى مسافةٍ أبعدَ مِنَ المعتادِ وعادَ مَعْ رئيسِ البطِّ الّذي كانَ يسبحُ خلفَهُ. استنتجَتْ إبساك حـــينَ

Twitter: @alqareah

رأَتْ وجهَهُ المرتعبَ قليلاً أنّ رئيسَ البطِّ قدْ تبعَهُ رغماً عنهُ.

تبعتْهُ بقيةُ البطّاتِ، لكنّهُ أمرَهَا بعدمِ الاقترابِ مِنَ العشِّ بينَ أجماتِ القصبِ. لعبَتْ جميعُ البطّاتِ بينَ زنابقِ الماءِ؛ الأمرُ الّذي أغضبَ إبساك. زقزقَتْ أنثى طائرِ الماءِ مغرّدةً بقلقٍ، بينمَا طارَ الذّكرُ إلى الأعلى كيْ يراقبَ ما يجري.

يا للبطّاتِ الطّائشةِ! إنّها لا تفهمُ بطبيعةِ الحالِ القلقَ الّذي تشعرُ بهِ الأمُّ، لأنّهُ لم يسبقْ لَها أنْ حضنَتْ بيضَهَا.

كانَتْ إبساك متوتّرةً وخائفةً مِنْ أنْ يجذبَ الضّجيجُ ابنَ عُرسٍ إلى مخبئِهَا. أمّا رئيسُ البطِّ فقدْ تجاهلَ الخطرَ، وبدأَ بالتّحدّثِ إلى بايي بطريقةٍ وديّةٍ.

"يا لكَ مِنْ فرخِ بطٍّ جميلٍ! كدْتُ لا أميّزُكَ في البدايةِ. أنتَ تمتلكُ أفضلَ مزايا البطّةِ الّتي كانَتْ بيضاءُ كالثّلجِ ومزايا ***المتشرّدِ***. يدهُشني كيفَ أنّكَ علّمْتَ نفسكَ كلَّ شيءٍ. حسناً فعلْتَ". قالَ رئيسُ البطِّ ذلكَ بينمَا كانَ يحاولُ تمسيدَ رأسِ بايي.

تراجعَ بايي قليلاً إلى الوراءِ، ونظرَ إلى الخلفِ نحوَ إبساك، ثُمّ إلى الأمامِ نحوَ رئيسِ البطِّ.

"يبقى فرخُ البطِّ مِنَ البطِّ حتّى لوْ حضنَتْهُ دجاجةٌ. لا ينسى أبناءُ جنسنَا السّباحةَ والغطسَ. إنّهُمَا أمرانِ فطريّانِ، لذلكَ لا نحتاجُ إلى أحدٍ ليعلّمَنَا إياهُمَا. وهذا مستحيلٌ بالنّسبةِ إلى الدّجاجِ الّذي يتبخترُ في باحةِ الحظيرةِ، ويخافُ مِنَ العيشِ في البرّيّةِ". قالَ رئيسُ البطِّ ذلكَ للتّفاخرِ بأنّ البطَّ أفضلُ مِنَ الدّجاجِ.

Twitter: @alqareah

اعتبرَتْ إبساك كلامَ رئيسِ البطِّ مضحكاً لأنّــهُ يتفــاخرُ وكأنّهُ والدُ بايــي.

أتعتقدُ أنّهُ يمكنُكَ أنْ تتقرّبَ مِنْ بايــي بهذهِ الطّريقةِ؟ إنّكَ مخطئٌ جدًّا.

اعتبرَتْ إبساك أنَّ بايــي لنْ يتركَهَا أبداً، لذلكَ نفخَــتْ صدرَهَا بكلِّ ثقةٍ وسألَتْهُ: "أتعتقدُ أنَّ الدّجاجَ يخافُ مِنَ العــيشِ في الحقول؟".

"بالطّبعِ. آه، عداكِ أنتِ. لكنْ، ما الّذي تتذكّرُهُ الدّجاجاتُ الأخرى؟ يُحتملُ أنّها لا تعرفُ حتّى أنَّ الدّجاجاتِ قديماً كانَتْ تطيرُ في الهواءِ كلّما أرادَتْ ذلكَ".

"الدّجاجاتُ! هلْ كانَتِ الدّجاجاتُ تطيرُ مثــلَ الطّيــورِ الأخرى؟".

صعُبَ علَى إبساك أنْ تصدّقَ ما سمعَتْهُ. هلْ تستطيعُ الطّيرانَ بهذَينِ الجناحَينِ اللّذَينِ لا تتمكّنُ بواسطتِهِمَا سوى مِــنْ إثــارةِ الغبارِ حولِها؟ سبقَ لَهَا أنْ رأَتِ الدّيكَ وهوَ يطيرُ مِنْ فوقِ الجدارِ الحجريِّ ناشراً جناحَيهِ ويحطُّ علَى الأرضِ، لكنَّ ذلكَ بالكــادِ يُعتبرُ طيراناً. فالطّيرانُ يعني البقاءَ في الجــوِّ، والتّحليــقَ فــوقَ الأشجارِ لمدّةٍ طويلةٍ، والانتقالَ مِنْ مكانٍ إلى آخرَ. كانَ أكثرُ ما تتمنّاهُ أنْ تتمكّنَ الدّجاجاتُ مِنَ الطّيرانِ مثلَمَا تفعــلُ الطّيــورُ الأخرى.

"لماذا فقدَتِ الدّجاجاتُ القدرةَ علَى الطّيرانِ إذاً؟".

Twitter: @alqareah

نشرَتْ إبساك جناحَيهَا. كانَ هذانِ الجناحـــانِ بالتّأكيـــدِ عاجزَينِ عنْ حملِهَا فوقَ أجماتِ القصبِ.

"يرجعُ سببُ ذلكَ إلى أنَّ الدّجاجاتِ تأكلُ طيلـــةَ اليـــومِ وتضعُ البيضَ. بالإضافةِ إلى أنَّ أجنحتَهَا عديمةُ النّفعِ، كمَـــا أنَّ مؤخّراتِها سمينةٌ. ومَعْ ذلكَ، يتفاخرُ الدّيكُ بأنّهُ يوقظُ الشّـــمسَ بصوتِهِ".

بدا رئيسُ البطِّ تافهاً اليومَ. وكانَتْ إبساك متأكّدةً مِنْ أنّـــهُ عاجزٌ عنْ قولِ هذا الكلامِ أمامَ الدّيكِ مباشرةً، لذا، فهوَ يقولُـــهُ مِنْ وراءِ ظهرِهِ.

"إذا كانَتْ مؤخراتُ الدّجاجاتِ سمينةً، إذاً لمـــاذا تتمايـــلُ البطّاتُ في مشيتِهَا؟ تمتلكُ بطّاتُ المزرعةِ أجنحةً كذلكَ، لكـــنْ، ما الهدفُ مِنْ تربيتِهَا؟".

أقفلَ رئيسُ البطِّ منقارَهُ بعـــدَ أنْ سمـــعَ ســـؤالَيْ إبســـاك المهذّبةِ. وتنحنحَ بعدَ أنْ أدركَ أنّ هذهِ المحادثةَ قدْ حادَتْ عـــنْ مسارِهَا.

"علَى أيِّ حال، أتيتُ إلى هُنَا مِنْ أجلِ بايبـــــي. يشـــكّلُ عيشُهُ هُنَا خطراً كبيراً عليهِ. دعينَا نعودُ جميعاً إلى الحظيرةِ. دعيهِ يذهبُ وحدَهُ علَى الأقلِّ إذا لم ترغبِي أنتِ في الذّهاب".

قالَتْ إبساك بإصرار: "لم نصادفْ أيَّ مشاكلَ هُنَا، لكـــنّني قلقةٌ الآنَ. سيعرفُ الجميعُ الآنَ بمَا حصلَ هُنَا اليومَ؛ أرجوكَ أنْ تأخذَ عائلتَكَ وتغادرَ هذا المكانَ. نحنُ لنْ نعودَ".

Twitter: @alqareah

قالَ رئيسُ البطِّ: "ضاعَتْ بعضُ فراخِ باحةِ الحظيرةِ. ضاعَ اثنانِ منهَا مرّةً واحدةً؛ كانَا فضوليَّينِ فذهبَا إلى حديقةِ الخضارِ، ثُمّ إلى قمّةِ التّلّةِ. تشعرُ الدّجاجةُ بالحزنِ لهذا السّببِ، ولا تريدُ مغادرةَ الحظيرةِ".

انتصبَ الرّيشُ في رقبةِ إبساك، وازدادَ كرهُهَا لابنِ عُرسٍ كلّما فكّرَتْ في ذلكَ أكثرَ، فهُوَ الّذي يصطادُ تلكَ الطّيورَ البائسةَ.

نادَتْ إبساك: "تعالَ إلى هُنَا يا بايبي".

وحاولَتْ أنْ تغطّي بايبي بجناحِهَا. أرادَتْ أنْ تطمئِنَهُ إلى أنّهُ بأمانٍ مهمَا كانَ ابنُ عُرسٍ مرعباً. لكنّ بايبي بقيَ مكانَهُ وهوَ ينقلُ بصرَهُ بينَ إبساك ورئيسِ البطِّ. فشعرَتْ إبساك بالإهانةِ قليلاً.

"كانَ يصعبُ علَى دجاجةٍ واحدةٍ أنْ تعتنيَ بفراخٍ كثيرةٍ. لكنّ الأمرَ مختلفٌ بالنّسبةِ إلينا. فنحنُ عائلةٌ كبيرةٌ، وهكذَا يسهلُ علينَا العنايةُ بفرخِ بطٍّ واحدٍ. لا تُتعِبي نفسَكِ، وأعطينَا إيّاهُ. فلقدْ تذوّقَ ابنُ عُرسٍ الآنَ لحماً طريًّا، ولهذا سوفَ يبحثُ عَنِ الفراخِ، ومِنَ المؤكّدِ أنّهُ سوفَ يجدُ فرخاً آخرَ".

شعرَتْ إبساك بالخوفِ، وأحسَّتْ بأنّ ذلكَ الصّيادَ الرّهيبَ يزحفُ نحوَهَا.

سيأتِي إلى هُنَا قريباً. يُحتملُ أنّهُ بدأَ بالمراقبةِ. حملقَتْ إبساك إلى رئيسِ البطِّ.

Twitter: @alqareah

"اتركْنَا وشأنَنَا. خذْ عائلتَكَ واخرجْ مِنْ هُنَا".

فوجئَ رئيسُ البطِّ بالعدائيّةِ غيرِ المتوقّعةِ مِنْ إبساك، ولذلكَ لم يتمكّنْ مِنْ متابعةِ الموضوعِ.

قالَ وهوَ يبتعدُ غاضباً: "يا لعنادِكِ! لا يمكنُكِ مهمَا حاولْتِ أنْ تنشئيهِ كفرخِ دجاجٍ إلى الأبدِ. يبقى فرخُ البطِّ مِنَ البطِّ حتّى إذا حضنَتْهُ دجاجةٌ".

ارتفعَتْ أصواتُ البطّاتِ الأخرى بعدَ أنْ علمَتْ بعدمِ إمكانيّةِ اصطحابِ بابيي معهَا، وازدادَ ضجيجُهَا. زقزقَ طيرَا القصبِ مغرّدَينِ بقلقٍ إلى أنْ تلاشى صوتُ البطبطةِ شيئاً فشيئاً.

قالَتْ إبساك: "بابيي، يجبُ علينَا مغادرةُ هذا المكانِ لأنّهُ لم يعدْ آمناً مطلقاً".

سألَ بابيي: "لماذا؟".

"إذا تمكنَتِ البطّاتُ مِنَ العثورِ علينَا هُنَا، فإنَّ ابنَ عُرسٍ سوفَ يجدُنَا بدورِهِ. أنتَ تعلمُ أنَّ ابنَ عُرسٍ صيّادٌ شرسٌ، ويمكنُهُ أنْ يؤذيَنَا بسهولةٍ. إنّهُ يصطادُ الفريسةَ الحيّةَ فقطْ ولا يستسلمُ أبداً، ولهذا يجبُ علينَا العثورُ علَى مكانٍ آخرَ قبلَ هبوطِ الظّلامِ".

جمعَتْ إبساك الرّيشَ الّذي تناثرَ في المكانِ ورمتْهُ في الماءِ، كمَا خرّبَتِ العشَّ لكيْ تزيلَ أيَّ آثارٍ قدْ تشيرُ إلى وجودِهِمَا هناكَ. ثُمّ غادرَتْ حقلَ القصبِ بهدوءٍ لأنّها لم ترغبْ في إزعاجِ طيرَيْ القصبِ المغرّدَيْنِ.

Twitter: @alqareah

تردّدَ بايـــي في مغادرةِ الماءِ، ونظرَ إلى الخلفِ مـــرةً تلـــوَ أخرى. أدركَتْ إبساك أنّها لنْ تتمكّنَ مِنَ الابتعادِ عنِ الماءِ كثيراً بسببِهِ.

كانَتِ الظلمةُ تغمرُ المكانَ ببطء.

عثرَتْ إبساك علَى حقلٍ مغطًّى بالأعشابِ في منحدرٍ يطلُّ علَى حقلِ القصبِ. ورأَتْ رجلاً جاءَ كيْ يصطحبَ بقرةً كانَتْ مربوطةً إلى شجرةِ صفصافٍ. كانَ العشبُ تحتَ الشّجرةِ طويلاً لأنَّ البقرةَ رعَتِ العشبَ في الطّرفِ البعيدِ مِنَ الحبلِ. تفحّصَتْ إبساك المنطقةَ الموجودةَ تحتَ شجرةِ الصّفصافِ بكـــلِّ عنايـــةٍ، فاكتشفَتْ وجودَ بضعِ كوماتٍ مِنَ السّمادِ هُنَا وهُناكَ.

كانَتْ تمضيةُ اللّيلةِ في حقلٍ مفتوحٍ أمراً في غايةِ الخطـــورةِ، لكنْ، كانَ عليهِمَا مواجهةُ ذلكَ التّحدّي.

لا بأسَ في تمضيةِ ليلةٍ واحدةٍ هُنَا. ستطغَى رائحةُ السّـــمادِ علَى رائحتِنَا.

حفرَتْ إبساك بكلِّ عزمٍ حفرةً ضحلةً كيْ تجـــثمَ فيهَـــا، وأمضَتِ اللّيلَ محتضنةً بايـــي بجناحِهَا. لم تتمكّنْ إبساك مِـــنَ النّومِ بالرّغمِ مِنْ أنَّ العشبَ الكثيفَ غطّاهُمَا جيّداً.

كانَ ضوءُ القمرِ ساطعاً. وما إنْ استسلمَ بايـــي للنّومِ وبدأَ بالتّنفّسِ بهدوءٍ، حتّى تلاشَتْ كلُّ الأصواتِ، ولمْ تعدْ إبســـاك تسمعُ سوى حفيفِ الأعشابِ الّتي يمرُّ النّسيمُ بينَهَا. بقيَتْ إبساك يقظةً ومحدّقةً إلى الظّلمةِ المحيطةِ بهمَا طوالَ اللّيلِ.

Twitter: @alqareah

هذا هوَ بالتّحديدِ ما كانَ المتشرّدُ يفعلُهُ. كنْتُ أغفو مِنْ دونِ همٍّ مثلَ بابيي، بينمَا يقومُ المتشرّدُ بحراستِي. كانَ يصفّقُ بجناحَيهِ ويُحدِثُ ضجيجاً.

خطرَتْ فكرةٌ في ذهنِهَا بشكلٍ مفاجئ. كانَتْ شديدةَ الوضوحِ، حيثُ إنّها بدَتْ مثلَ قطرةٍ مِنَ المياهِ الباردةِ الّتي وقعَتْ علَى ذهنِهَا.

حسناً. يجبُ أنْ أكونَ شجاعةً بدوري. أعلمُ أنّ ابنَ عُرسٍ كانَ عاجزاً عنْ فعلِ أيِّ شيءٍ إلى أنْ استسلمَ المتشرّدُ. يشبهُ الأمرُ حفرةَ الموتِ. لم يستطعْ ابنُ عُرسٍ الإمساكَ بي لأنّني كنْتُ نشيطةً جدًّا. هذا صحيحٌ. لا يمكنُهُ إيذاؤُنَا طالَمَا أنّنا نتمتّعُ بالشّجاعةِ.

تحسّنَتْ معنوياتُ إبساك ما إنْ أدركَتِ الأمرَ، وخرجَتْ مِنَ الحفرةِ، ونظرَتْ إلى حقلِ القصبِ. كانَ مِنَ العارِ التّخلّي عنْ ذلكَ العشِّ الرّائعِ، لكنّهُ لم يكنْ يصلحُ للبقاءِ فيهِ إلى الأبدِ؛ أيْ تماماً مثلَ الحظيرةِ.

إنّني دجاجةٌ جوّالةٌ، والطّائرُ الجوّالُ لا يحصلُ علَى عشٍّ.

شعرَتْ باليأسِ. سبقَ لَهَا أنْ رفضَتْ أنْ تُسجَنَ في القنِّ، وعجزَتْ كذلكَ عَنِ البقاءِ في باحةِ الحظيرةِ الّتي تمنّتْ بشدّةٍ أنْ تكونَ بيتاً لَهَا، وتوجّبَ عليهَا كذلكَ التّخلّي عَنِ العشِّ في حقلِ القصبِ. وها هيَ الآنَ مضطرةٌ إلى التّخلّي عنْ هذا المكانِ أيضاً عندمَا يبزغُ نورُ الفجرِ.

Twitter: @alqareah

لا أدري لماذا حياتي صعبةٌ هكذا. هلْ يحصلُ هذا معِي لأنَّ لديَّ حلماً؟ كانَ مِنَ الصّوابِ أنْ أتركَ المزرعةَ؛ نعمْ، كانَ الأمرُ كذلكَ.

فكّرَتْ إبساك في فرخِ البطِّ البرّيِّ. كانَتْ تتذكّرُهُ دائمـــاً، لكنّهَا تمنَّتْ الآنَ لوْ كانَ قربَهَا. تمنَّتْ أنْ تتمكّنَ مِنْ سماعِ صوتِهِ ورؤيتِهِ.

وفجأةً...

آهٍ يا عزيزي!

جثمَتْ إبساك بسرعةٍ بعدَ أنْ لاحظَتْ ظلاًّ داكناً يزحَـــفُ نحوَ حقلِ القصبِ. تأكّدَتْ مِنْ أنّهُ ابنُ عُرسٍ نظـــراً إلى ســـرعةِ حركتِهِ.

عرفْتُ ذلكَ.

جمُدَتْ إبساك في مكانهَا، وتلاشَتْ كـــلُّ أفكارِهَـــا عَـــنِ اشتياقِهَا إلى فرخِ البطِّ البرّيِّ، وبدأَتْ ترتجفُ خوفاً.

دخلَ ابنُ عُرسٍ حقلَ القصبِ. تحرّكَتِ القصباتُ للحظـــةٍ، لكنّهَا عجزَتْ عنْ رؤيةِ أيِّ شيءٍ بعدَ ذلكَ. ضحكَتْ إبســـاك سرًّا لأنَّ ابنَ عُرسٍ عادَ خالي الوفـــاضِ مِـــنْ دونِ أنْ يـــتمكّنَ مِنَ الحصولِ علَى أيِّ شيءٍ. شعرَتْ حينَهَا وكأنَّها قدْ ربحَـــتِ المعركةَ.

ها! أنا لا أعتزمُ البقاءَ مرتجفـــةً بعـــدَ الآنَ. أمســـكْنَا إذا استطعْتَ.

Twitter: @alqareah

خرجَ ابنُ عُرسٍ مِنْ حقلِ القصبِ وعادَ راكضاً مِنْ حيثُ أتَى. في اليومِ التّالي، توقفَتْ إبساك وبابي في حقلِ القصبِ. قفزَ بابي إلى الماءِ فوراً، بينمَا توجّهَتْ إبساك لتتفحّصَ المكانَ الّذي صنعَتْ فيهِ عشَّهَا سابقاً. لكنّهَا رأَتْ شيئاً لم تتوقعْهُ مطلقاً.

حلّتِ الكارثةُ بطيرَي القصبِ المغرّدَين. شعرَتْ إبساك بالتّوتّرِ والغضبِ حينَ رأَتِ العشَّ المخرَّبَ والأغصانَ المتناثرةَ والبيضَ المكسورَ هُنَا وهُنَاكَ. يا للأسفِ! لقدْ كانَ البيضُ علَى وشكِ أنْ يفقسَ. لكنْ، لم تظهرِ الأنثى في أيِّ مكانٍ، وبقيَ الذّكرُ وحدَهُ، وهُوَ يبكي بحزنٍ ويدورُ حولَ حقلِ القصبِ.

غادرَتْ إبساك المكانَ وهيَ ترتجفُ. وصمّمَتْ علَى ألاَّ تصنعَ عشًّا لهَا في أيِّ مكانٍ في هذا العالمِ، وأنْ تظلَّ يقظةً كيْ تلاحظَ ظلَّ ذلكَ الصّيّادِ قبلَ اقترابِهِ منهَا.

Twitter: @alqareah

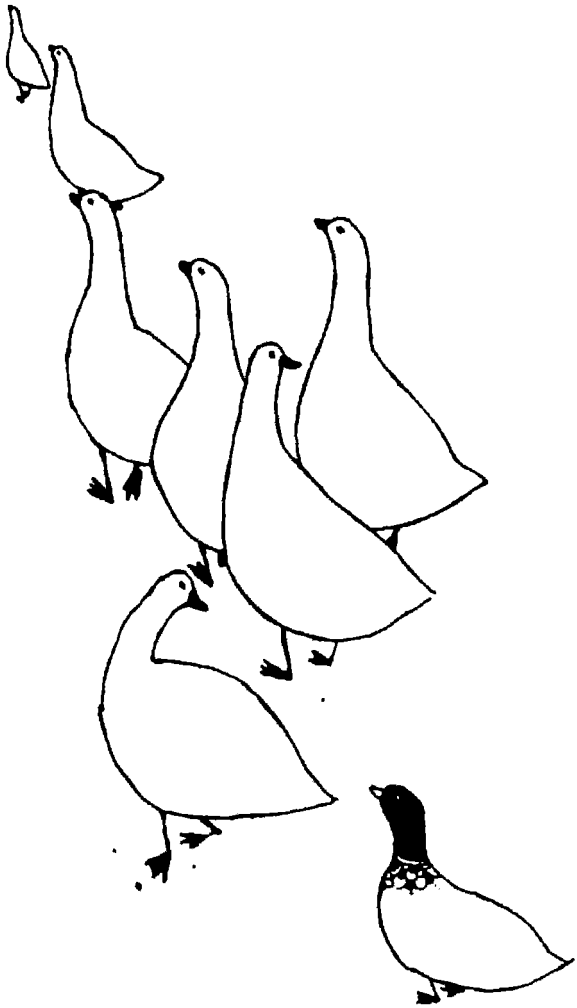

Twitter: @alqareah

الفصل الثّامن

ماما، لقدْ خُلِقْتُ كيْ أبطبطَ

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

استمرَّ هطولُ المطرِ الغزيرِ لفترةٍ طويلةٍ. كانَ ذلكَ معتاداً في فصلِ الأمطارِ، غيرَ أنَّ المطرَ كادَ أنْ يُغرقَ حقلَ القصبِ برمّتِهِ.

مرَّتْ أيامٌ غيرَ مريحةٍ بالنّسبةِ إلى إبساك. وكانَ مِنَ الصّعبِ عليهَا أنْ تعثرَ علَى مكانٍ تقيمُ فيهِ مَعْ صغيرِهَا وسطَ هذهِ الأمطارِ، كمَا أصيبَتْ بالزّكامِ بسببِ تبلّلِ ريشِهَا علَى الدّوامِ. وكانَتْ نحيفةً بشكلٍ مخيفٍ لأنّها كانَتْ تبدّلُ مكانَ نومِهَا كلَّ ليلةٍ مِنْ دونِ أنْ تحصلَ علَى ما يكفيهَا مِنَ النّومِ في اللّيلِ.

في هذهِ الأثناءِ، كانَ بايبي يكبرُ، وبدا أنّهُ سيكونُ فرخَ بطٍّ جميلاً. وبدأَ يزدادُ شبهاً بفرخِ البطِّ البرّيِّ أكثرَ فأكثرَ، وهوَ الأمرُ الّذي أدهشَ إبساك وسرَّهَا علَى الدّوامِ.

لم يناسبِ اسمُ الغنجِ "بايبي" فرخَ بطٍّ كبيراً، لذلكَ أطلقَتْ عليهِ إبساك اسماً جديداً؛ وهوَ *الرّأسُ الأخضرُ*. لكنّهَا مَعْ ذلكَ ظلَّتْ تناديهِ بايبي في بعضِ الأحيانِ لأنّ ذلكَ الاسمَ يوحي بالحبِّ أكثرَ.

لم تتخلّصْ إبساك مِنَ الزّكامِ الّذي أصيبَتْ بهِ إلاّ بعدَ انتهاءِ موسمِ الأمطارِ، لكنَّ جسمَهَا الضّعيفَ رفضَ أنْ يمتلئَ مجدّداً.

إنّني أكبرُ في السّنِّ. هذا أمرٌ طبيعيٌّ، كمَا أنّ بايبي كُبرَ كثيراً...

Twitter: @alqareah

ازدادَتْ إبساك قوةً بالرّغمِ مِنْ نحافتِهَا. وتمكّنَتْ عيناهَا حادّتَا النّظرِ مِنْ تمييزِ الحركاتِ في الظّلامِ، كمَا أنّ منقارَهَا صارَ صلباً ومخالبَهَا صارَتْ حادّةً.

لم تكنْ إبساك و*الرّأسُ الأخضرُ* يمكثانِ في المكانِ ذاتِهِ ليلتَينِ متتاليَتَينِ، كمَا كانَتْ إبساك عادةً تتمكّنُ مِنْ مراقبةِ ابنِ عُرسٍ وهوَ يعودُ خائبَ الأملِ.

كانَتْ حياةُ التّنقلِ الدّائمِ والتّجوالِ قاسيةً، لكنّها بالرّغمِ مِنْ ذلكَ مضطرّةٌ إلى تحمّلِهَا. أمّا الأمرُ الأصعبُ بالنّسبةِ إليهَا فكانَ رؤيةُ *الرّأسِ الأخضرِ* مكتئباً وغارقاً في أفكارِهِ. كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* غالباً ما يجلسُ متأمّلاً بعدَ الزّيارةِ الّتي قامَ بهَا رئيسُ البطِّ. وازدادَتْ كآبتُهُ هذهِ بعدَ أنْ تغيّرَ لونُ ريشِهِ. شعرَتْ إبساك بالإحباطِ لأنّ *الرّأسَ الأخضرَ* لا يشاركُهَا أفكارَهُ حتّى عندمَا تسألُهُ.

توقّفَ هطولُ المطرِ، وتألّقَتِ النّجومُ بأنوارِهَا، فبقيَ ريشُ إبساك جافًّا. كانَ الطّقسُ مناسباً للنّومِ في حقلِ القصبِ، لكنّ إبساك توجّهَتْ مَعَ *الرّأسِ الأخضرِ* إلى أعلى التّلّةِ، واختبأَتْ في فجوةٍ قربَ صخرةٍ ناتئةٍ في وسطِ المنحدرِ. سبقَ لهُمَا أنْ أمضَيا هُنَا ليالِيَ عدّةً خلالَ موسمِ الأمطارِ، لكنّ *الرّأسَ الأخضرَ* لم يحبَّ هذا المكانَ لأنّهُ بعيدٌ عَنِ البركةِ، ولأنّهُ يقعُ في مكانٍ مرتفعٍ.

قالَتْ إبساك: "لم نرَ الصّيّادَ منذُ يومَينِ، لكنّهُ سوفَ يأتي. إنّني متأكّدةٌ مِنْ أنّهُ سوفَ يتسلّلُ إلى حقولِ القصبِ بحثاً عنْ أيِّ

Twitter: @alqareah

كائنٍ حيٍّ يمكنُهُ إيجادُهُ، حتّى لوْ كانَ صغيرَ الحجمِ كطيورِ القصبِ المغرّدةِ".

لم يصغِ *الرّأسُ الأخضرُ* إلى كلامِ إبساك إلاّ قليلاً، لكنّهُ توجّهَ إلى بقعةٍ تحتوي علَى الزّهراتِ النّجميّةِ، وحدّقَ إلى البركةِ. بدا غارقاً في أفكارِهِ مجدّداً؛ وهوَ الأمرُ الّذي جعلَ إبساك تشعرُ بالقلقِ.

جثمَتْ إبساك في الفجوَةِ أسفلَ الصّخرةِ، وحدّقَتْ إلى *الرّأسِ الأخضرِ* مِنَ الخلفِ. لم يعدْ صغيراً الآنَ، وجعلَتْهَا هذهِ الفكرةُ تشعرُ بالحزنِ. فهيَ لم تحصلْ علَى أجوبةٍ مقنعةٍ عَنِ الأسئلةِ الّتي طرحَتْهَا عليهِ.

إنّهُ مثلُ المتشرّدِ تماماً.

شعرَتْ إبساك بالقلقِ علَى *الرّأسِ الأخضرِ*، وخافَتْ أنْ يتعرّضَ للأذَى مِنَ ابنِ عُرسٍ؛ أيْ كمَا حصلَ مَعْ فرخِ البطِّ البرّيِّ. فعندمَا يغرقُ أيٌّ كانَ في أفكارٍ كهذِهِ يصبحُ عرضةً لخطرٍ كبيرٍ.

أرادَتْ إبساك أنْ تناديَ *الرّأسَ الأخضرَ* كي يأتيَ إلى جانبِهَا. لذا خرجَتْ مِنَ الفجوةِ، لكنّهَا ما إنْ فعلَتْ ذلكَ حتّى قفزَ ظلٌّ داكنٌّ مِنْ أعلى الصّخرةِ. كانَ الصّوتُ أشبهَ بصوتِ الرّيحِ، لكنّ الرّياحَ لم تهبَّ في تلكَ اللّحظةِ.

شهقَتْ إبساك وكادَ قلبُهَا أنْ يتوقّفَ.

كانَ ذلكَ ابنَ عُرسٍ.

Twitter: @alqareah

يا الله، لا!

كيفَ ارتكبَتْ غلطةً كهذِهِ؟ اختارَتِ المكانَ غيرَ المناسبِ، وهيَ الّتي نجحَتْ حتّى الآنَ في تجنّبِ ابنِ عُرسٍ، لكنّهُ تفوّقَ عليهَا هذهِ المرّةَ.

كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* غارقاً في أفكارِهِ، فلمْ ينتبهْ إلى اقترابِ ابنِ عُرسٍ. وبالكادِ تمكّنَتْ إبساك مِنَ استجماعِ أفكارِهَا.

كوني هادئةً، فأنتِ أمٌّ.

لا يمكنُهَا أنْ تسمحَ بأنْ يحدثَ ذلكَ. تنفّسَتْ بعمقٍ، وانطلقَتْ إلى أسفلِ المنحدرِ كالسّهمِ.

صاحَتْ إبساك وهيَ تصفّقُ بجناحَيهَا: "كوكْ، كوكْ، ابقَ بعيداً عنهُ".

نظرَ ابنُ عُرسٍ خلفَهُ، ورمَاهَا بنظرةٍ حاقدةٍ، فيمَا صفّقَ *الرّأسُ الأخضرُ* بجناحَيهِ وصرخَ مرتعباً. فوجئَ ابنُ عُرسٍ، وراحَ ينقّلُ نظرَهُ بينَ إبساك و*الرّأسِ الأخضرِ* الّذي بدا أكبرَ وأسرعَ مِنْ ذي قبلُ، لكنْ، لم يكنْ بوسعِ إبساك أنْ تتراجعَ.

ارتعبَ *الرّأسُ الأخضرُ* واستمرَّ يصفّقُ بجناحَيهِ. أظهرَتْ إبساك مخالبَهَا ونفشَتْ ريشَهَا. التقَتْ عينَاهَا عينَيِ ابنِ عُرسٍ.

قالَتْ إبساك بلهجةٍ تحدٍّ تدلُّ علَى استعدادِهَا لمواجهةِ الموتِ: "كوكْ، كوكْ، لنْ أسمحَ لكَ بالإمساكِ بهِ".

Twitter: @alqareah

هزّ ابنُ عُرسٍ رأسَهُ ببطءٍ، وركّزَ عينَيهِ علَى إبساك.

قالَ بصوتٍ مريعٍ: "لا تتدخّلي".

كانَ هدفُهُ هوَ *الرّأسَ الأخضرَ*، ولهذا لم يكنْ مهتمًّا بهَا.

حملقَتْ إبساك إلى ابنِ عُرسٍ: "اتركْهُ وشأنَهُ".

نظرَ ابنُ عُرسٍ نحوَهَا باحتقارٍ واستهجانٍ، وشعرَتْ إبساك أنّ جسمَهَا يغلي بالكاملِ، وكانَ قلبُهَا ينبضُ بسرعةٍ إلى حدٍّ أنّها شعرَتْ بأنّهُ سوفَ ينفجرُ. دفعَهَا غضبُهَا إلى نسيانِ خوفِهَا مِنْ نظرةِ ابنِ عُرسٍ.

وما إنْ أدارَ ابنُ عُرسٍ ظهرَهُ لإبساك حتّى اندفعَتْ نحوَهُ كالسّهمِ، أوْ مثلَمَا تندفعُ الفراشةُ نحوَ اللّهبِ، ونقرَتْهُ بشراسةٍ.

زمجرَ ابنُ عُرسٍ، وهجمَ باتجاهِ *الرّأسِ الأخضرِ*.

كانَ منقارُ إبساك مطبقاً علَى ابنِ عُرسٍ بشدّةٍ، ولهذا سحبَهَا معهُ. سمعَتِ *الرّأسَ الأخضرَ* وهوَ يصرخُ، لكنّها تدحرجَتْ مَعَ ابنِ عُرسٍ إلى أسفلِ المنحدرِ. في هذهِ الأثناءِ، خدشَتْ مخالبُ ابنُ عُرسٍ بطنَهَا، ولكنّهُ لم يسقطْ بعيداً عنهَا إلاّ بعدَ أنِ اصطدمَ بصخرةٍ، وما لبثَتْ إبساك أنْ استلقَتْ ساكنةً.

تمتمَتْ بصوتٍ ضعيفٍ، وهيَ علَى وشكِ أنْ تفقدَ وعيَهَا: "اهربْ يا بابيي".

Twitter: @alqareah

عجزَتْ إبساك عنِ التّحرّكِ أوْ رؤيةِ أيِّ شيءٍ عندمَا فتحَتْ عينَيهَا. أحسَّتْ بوجودِ شيءٍ ما في منقارِها فبصقَتْهُ. كانَتْ تلكَ كتلةً مِنَ اللّحمِ. فلقدْ أمسكَتْ إبساك بابنِ عُرسٍ بقوّةٍ، فعلقَتْ قطعةٌ مِنْ لحمِهِ بمنقارِهَا.

نظرَتْ إبساك حولَهَا باحثةً عَنِ *الرّأسِ الأخضرِ*: "بايـــي! بايـــي!".

كانَ الهدوءُ مخيّماً علَى المكانِ. هلْ تمكّنَ ابنُ عُـــرسٍ مِـــنْ أخذِهِ؟ هلْ ماتَ *الرّأسُ الأخضرُ* فعلاً؟ سالَتِ الدّموعُ مِنْ عينَي إبساك. كانَتْ معرفتُهَا بنهايةِ *الرّأسِ الأخضرِ* أشدَّ إيلاماً لَهَا بكثيرٍ مِنَ الأوجاعِ الّتي أحسَّتْ بِهَا نتيجةَ جروحِهَا.

"أيّها الشّريرُ. كانَ عليكَ أنْ تأكلَني بدلاً مِنْ بايـــي الّذي ما زالَ صغيراً...".

أغمضَتْ إبساك عينَيهَا مجدّداً. شعرَتْ بالضّعفِ ذاتِهِ الّذي شعرَتْ بِهِ عندمَا رُميَتْ في حفرةِ الموتِ.

وفجأةً، سمعَتْ صوتاً يناديهَا.

"أمّي، استيقظِي".

داعبَتْ نسمةُ هواءٍ رأسَ إبساك، ثُمّ سمعَتْ صوتَ *الـــرّأسِ الأخضرِ*. رمشَتْ بعينَيهَا، وقدْ صعُبَ عليهَا تصديقَ مـــا تـــراهُ. رأَتِ *الرّأسَ الأخضرَ* طائراً في الجوِّ. كانَ بالكادِ يرفرفُ بجناحَيهِ، لكنّهُ كانَ يطيرُ بكلِّ تأكيدٍ.

"يا الله! ماذا حدثَ لجناحَيكَ؟".

Twitter: @alqareah

صرخَ *الرّأسُ الأخضرُ* بصوتٍ مثيرٍ: "أليسَ هـذا عظيمـاً؟ كنْتُ أفكّرُ في الهروبِ فقطْ، لكنَّ جسمِي بدأَ بالارتفاعِ. إنّـني أستطيعُ أنْ أطيرَ".

عجزَتْ إبساك عَنِ الكلامِ لأنّها أحسَّتْ بوجودِ شيءٍ ما في حنجرَتِهَا، لذلكَ اكتفَتْ بالابتسامِ.

إنّها أعجوبةٌ.

كانَتْ هذهِ ثالثَ أعجوبةٍ تحصلُ معهَا. كانَتِ الأعجوبـةُ الأولى هيَ التّحررَ مِنَ القفصِ والجلوسَ تحتَ شجرةِ الخرنـوبِ الأسودِ. أمّا الثّانيةُ فكانَتِ احتضانَ البيضةِ. كانَـتْ مسـرورةً بتينّكَ الأعجوبتَينِ، وها هيَ تشهدُ الآنَ أعجوبةً أخرى. فشـلَ ابنُ عُرسٍ في مسعاهُ بعـدَ أنْ تمكّـنَ *الـرّأسُ الأخضـرُ* مِـنَ الطّيرانِ.

"أمّي. دعيني أرى. هلْ تأذّيتِ؟".

نشرَ *الرّأسُ الأخضرُ* جناحَيهِ، واحتضَنَ إبساك الّتي أُصيبَتْ بجروحٍ. تأثّرَتْ بعنايتِهِ بهَا، وأحسَّتْ مجدّداً بوجودِ تلكَ الغصّةِ في حنجرتِهَا. أطبقَتْ منقارَهَا بشدّةٍ كيْ لا تبكيَ، لكنّها لم تتمكّنْ مِنْ ذلكَ في هذا اليومِ.

انتهى الصّيفُ وهبَّتِ الرّياحُ الجافّةُ. كانَتْ أشعّةُ الشّـمسِ قويةً، بينمَا كانَتْ أزهارُ القصبِ تذوِي.

Twitter: @alqareah

مرَّتْ عدّةُ أيّامٍ شعرَتْ فيها إبساك أنّها وحيدةٌ. كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* منشغلاً بالطّيرانِ، ويُمضي يومَهُ بكاملِهِ عندَ البركةِ، وهكذَا كانَتْ إبساك تتجوّلُ في حقلِ القصبِ، أوْ تتسلّقُ التّلّةَ لتشاهدَهُ وهوَ يسبحُ ويطيرُ.

مرَّتْ مدّةٌ لم تشاهدْ فيها ابنَ عُرسٍ. يُحتملُ أنّهُ كانَ قربَ القنِّ محاولاً الإمساكَ بالفراخِ، أوْ كانَ يترصّدُ قربَ حفرةِ الموتِ منتظراً الدّجاجاتِ الّتي لم تمتْ بعدُ. كيفَ تجرّأَ علَى النّظرِ إلى فرخِ بطٍّ بريٍّ يتمكّنُ مِنَ التّحليقِ في السّماءِ بكلِّ حريّةٍ وكأنّهُ يتجوّلُ في الباحةِ الخاصّةِ بِهِ؟

كانَتِ القدرةُ علَى الطّيرانِ أمراً عظيماً، كمَا ترافقَتْ هذهِ القدرةُ مَعْ فوائدَ عديدةٍ؛ أهمُّها التّحرّرُ مِنَ الخوفِ مِنَ ابنِ عُرسٍ. كانَ باستطاعةِ *الرّأسِ الأخضرِ* أنْ يطيرَ فوقَ البركةِ بأكملِهَا في وقتٍ قصيرٍ جدًّا، كمَا تمكّنَ مِنَ البحثِ في حقلِ القصبِ عنْ مكانٍ آمنٍ لينامَ فيهِ.

تعيشُ فراخُ الدّجاجِ وهيَ تنكُشُ التّرابَ بمخالبِهَا، لكنَّ فراخَ البطِّ البرّيّةَ لا تفعلُ ذلكَ لأنَّ عالمَهَا الماءُ والسّماءُ. نظرَتْ إبساك إلى *الرّأسِ الأخضرِ*، وشعرَتْ بالوحدةِ والغيرةِ في الوقتِ ذاتِهِ. كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* ابنَهَا، لكنّهُ مَعْ ذلكَ فرخُ بطٍّ بريٍّ.

تخلّتِ الدّجاجاتُ عَنِ الطّيرانِ. لماذا لا نتذكّرُ سوى أنّنا مِنْ فصيلةِ الطّيورِ ذاتِ الأعرافِ؟ لا تستطيعُ الأعرافُ صدَّ الصّيادِ.

Twitter: @alqareah

كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* غافلاً عَنِ الوحدةِ الّتي تحسُّ بِهَا إبساك، لكنّهُ كانَ وحيداً أيضاً. فقدْ كانَتْ أمُّهُ دجاجةً، لكنّهُ عاجزٌ عَنِ القوقأةِ. كمَا كانَ شبيهاً بالبطّاتِ في المزرعةِ مِنْ نــواحٍ عــدّةٍ، ولكنّ هذهِ البطّاتِ كانَتْ تحسدُهُ، حتّى إنّها لم تكنْ تنظرُ إليهِ، وتجنّبَتِ الاقترابَ منهُ.

أمّا اللّيلُ - أيْ عندمَا كانَ الفرخُ والدّجاجةُ ينامانِ قــربَ بعضهمَا - فكانَ أكثرَ الأوقاتِ الّتي يشعرانِ خلالهَا بالرّاحــةِ. فكرَتْ إبساك في فرخِ البطِّ البرّيِّ عندمَا كانَتْ تأكلُ الأسمــاكَ الّتي جلبَهَا لهَا *الرّأسُ الأخضرُ* قبلَ أنْ تنامَ. كانَتْ تتذكّرُهُ أكثــرَ عندمَا يلمعُ ريشُ *الرّأسِ الأخضرِ* تحتَ ضوءِ القمرِ.

نصحَتْهُ إبساك بالقولِ: "بايبــي. أصغِ السّمعَ جيداً في كلِّ الأوقاتِ، حتّى عندمَا تنامُ، لأنَّ الصّيادَ يجولُ طوالَ اللّيلِ. وسيأتي مجدّداً بالتّأكيدِ، فهوَ لا يستسلمُ أبداً".

"لا تقلقي بشأني. إنّني قلقٌ عليكِ كثيراً، فأنتِ لا تُجيدينَ الطّيرانَ ولا السّباحةَ".

قالَتْ إبساك وهِيَ تبتسمُ: "إنّني لا أزالُ قويةً، كمَا أنّ ابنَ عُرسٍ لا يكترثُ بــي علَى أيِّ حالٍ. وليسَ بإمكانِهِ وضعَ شفتَيهِ عليَّ".

شعرَتْ إبســاك بــالفخرِ لأنّ *الــرّأسَ الأخضــرَ* يهــتمُّ لأمرِهَا.

تردّدَ *الرّأسُ الأخضرُ* لبرهةٍ، ثُمّ تكلّمَ بصعوبةٍ.

Twitter: @alqareah

"كنْتُ أفكّرُ يا أمّي". صمَتَ بعدَ ذلكَ لفترةٍ طويلةٍ، فشعرَتْ إبساك بالقلقِ.

"لماذا لا نذهبُ إلى المزرعةِ؟ لا أحبُّ أنْ أستمرَّ بالعيشِ هُنَا كغريبٍ".

شعرَتْ إبساك بالأسى علَى ابنهَا في أعماقِهَا. كانَتْ هذهِ هيَ المرّةَ الأولى الّتي يذكرُ فيهَا المزرعةَ؛ ممَّا يعني أنّهُ يفكّرُ في هذا الأمرِ منذُ بعضِ الوقتِ.

ردّدَتْ إبساك متعجّبةً: "نذهبُ إلى المزرعةِ!".

"إنّني مِنَ البطِّ، ويُفترضُ بي أنْ أبطبطَ".

"يُحتملُ أنّنا مختلفانِ، لكنْ بإمكانِنَا أنْ نحبَّ بعضَنَا. وأنا أحبُّكَ كثيراً". أخبرَتْهُ إبساك بمَا قالَهُ فرخُ البطِّ البرّيُّ ذاتَ مرّةٍ. فهِمَتْ إبساك معنَى كلامِهِ، لكنّها أرادَتْ أنْ يفهمَ *الرّأسُ الأخضرُ* ذلكَ أيضاً. لكنَّ *الرّأسَ الأخضرَ* اكتفَى بهزِّ رأسِهِ.

"كلاّ يا أمّي. أنا لا أفهمُ. أخشى ألاّ تتقبّلَني بطّاتُ المزرعةِ أبداً. أريدُ أنْ أكونَ جزءاً مِنْ مجموعتِهَا". بدأَ *الرّأسُ الأخضرُ* بالبكاءِ.

حارَتْ إبساك بمَا عساهَا تفعلُ، فربّتَتْ علَى ريشِهِ قائلةً:

"إنَّنا نعيشُ علَى ما يرامُ حتّى الآنَ يا بابيي. أنتَ ذكيٌّ جدًّا، ولقدْ علّمْتَ نفسَكَ كلَّ شيءٍ، بدءاً مِنَ السّباحةِ وحتّى الطّيرانِ".

Twitter: @alqareah

أدركَتْ إبساك وهيَ تتكلّمُ أنّ كلماتِهَا لم تواسِهِ. يُحتمـــلُ أنّهُ كانَ مِنَ الأفضلِ لوْ تظاهرَتْ أنّها لم تسمعْ ما قالَهُ المـــزارعُ وزوجتُهُ. فلوْ ظلّتْ هناكَ لقُصَّ جناحَا *الرّأسِ الأخضرِ*، ولكـــنْ كانَ باستطاعتِهِ عندَهَا أنْ يعيشَ كواحدٍ مِنَ البطِّ في المزرعـــةِ. يُحتملُ كذلكَ أنّهُ كانَ مِنَ الأفضلِ لوْ أنّها سمحَـــتْ لبابيـــــي بالذّهابِ مَعْ رئيسِ البطِّ.

"أعرفُ أنّكِ تحبينَني يا أمّي. لكنّنا مختلفانِ".

"إنّنا نبدُو مختلفَينِ، لكنّني سعيدةٌ لأنّني معَكَ. إنّكَ تظلُّ ابني أنا مهمَا قيلَ".

جلسَ *الرّأسُ الأخضرُ* بعيداً عنْ إبساك بالرّغمِ مِنَ الأســـى الّذي شعرَتْ بهِ في قلبِهَا. قالَ بعدَ ذلكَ بكلِّ إصـــرارٍ: "أمّـــي، اذهبـــي إلى المزرعةِ. أمّا أنا فسوفَ أنضمُّ إلى سربـــي".

تمتمَتْ إبساك: "إلى القنِّ...".

شعرَتْ إبساك وكأنّ قلبَهَا يتمزّقُ، لكنّهَـــا لم ترغـــبْ في توبيخِ *الرّأسِ الأخضرِ*، وهيَ الّتي أدركَتْ منذُ زمـــنٍ طويـــلٍ أنّ *الرّأسَ الأخضرَ* يختلفُ عنهَا؛ وذلكَ منذُ أنْ طارَ فوقَ الزّنابقِ مِنْ دونِ أنْ يخافَ، ومنذُ أنْ سقطَ في الماءِ وبدأَ بالسّباحةِ. كانَ ذلكَ هوَ السّببَ الّذي دفعَهَا لكيْ تشعرَ بالقلقِ والفراغِ مِنْ قلبِهَا.

"كنْتُ دجاجةً داجنةً يا بابيـــي، وكانَ يُفترضُ بـــــي أنْ أبقَى في القفصِ، وأنْ أكتفيَ بوضعِ البيضِ. لم أجثمْ علَى بيضِي أنا قطُّ؛ بالرّغمِ مِنْ أنّ ذلكَ كانَ أعظمَ أمنياتي. وعندمَا عجزْتُ

Twitter: @alqareah

عنْ وضعِ البيضِ تماماً أُخرِجْتُ مِنَ القفصِ. كانَ مِنَ المفترضِ أنْ تنتهيَ حياتي". قالَتْ إبساك ذلكَ بكلِّ لطفٍ وهيَ تنظرُ إلى *الرّأسِ الأخضرِ*. "لكنّني التقَيْتُكَ وأصبحْتُ أمًّا".

جلسَ *الرّأسُ الأخضرُ*، ووضعَ رأسَهُ تحتَ جناحِهِ مِنْ دونِ أنْ يتحرّكَ. كانَ نورُ القمرِ يلمعُ علَى موجاتِ الماءِ.

"إنّنا لا نمتلِكُ يا صغيري أيَّ سببٍ للعودةِ إلى المزرعةِ. فأنا دجاجةٌ لا فائدةَ تُرجَى منِّي، أمّا أنتَ فتتفوّقُ علَى كلِّ الطّيورِ الموجودةِ هناكَ".

اقتربَتْ إبساك مِنَ *الرّأسِ الأخضرِ* محاولةً التقرّبَ منهُ ومواساتَهُ، فتظاهرَ بأنّهُ نائمٌ رغمَ أنّهُ سمعَهَا، ولمْ يفتحْ عينَيهِ. كبُرَ الفرخُ كثيراً حيثُ إنّ أبساك لم يعدْ بإمكانِها الإمساكُ بِهِ، حتّى لوْ فتحَتْ جناحَيهَا إلى أقصَى مدًى. كبُرَ صغيرُهَا بسرعةٍ كبيرةٍ.

ماذا أستطيعُ أنْ أفعلَ مِنْ أجلِهِ؟ لا أحدَ يلاحقُنَا الآنَ؛ حتّى الصّيادُ. اكتملَ نموُّ الرّأسِ الأخضرِ، وهَا هوَ يستطيعُ الطّيرانَ مبتعداً عنّي.

شعرَتْ إبساك بالوحدةِ فظلَّتْ تتقلّبُ طوالَ اللّيلِ. لم تتمكّنْ مِنَ الاستسلامِ للنّومِ، لكنّها لم ترفعْ رأسَهَا عندمَا توجّهَ *الرّأسُ الأخضرُ* إلى البركةِ في الصّباحِ الباكرِ، وذلكَ لأنّهَا كانَتْ تخشى أنْ يقولَ لها مجدّداً إنّهُ سوفَ ينضمُّ إلى بطّاتِ المزرعةِ.

وقفَتْ إبساك علَى التّلّةِ، ونظرَتْ إلى الأسفلِ نحوَ *الرّأسِ الأخضرِ* بينمَا كانَ يتجوّلُ مَعْ بطّاتِ المزرعةِ الّتي تصرّفَتْ معهُ

Twitter: @alqareah

بكلِّ احتقارٍ. قالَتْ لَهُ البطّاتُ كلماتٍ مهينةً، كمَا أنّ رئيسَ البطِّ هاجمَهُ. بقيَ *الرّأسُ الأخضرُ* مَع السّربِ رغمَ ذلكَ، ورغمَ تعرّضِهِ للنّقرِ.

قادَ رئيسُ البطِّ سربَهُ عندَ الغسقِ عائداً بهِ إلى المزرعةِ، بينمَا تبعَهُ *الرّأسُ الأخضرُ* مِنْ مسافةٍ قريبةٍ. كانَ الأمرُ يشبهُ رؤيةَ فرخِ البطِّ البرّيِّ مجدّداً.

"كوكْ، كوكْ. عُدْ إلى هُنَا يا بابيي".

أرادَتْ إبساك أنْ تُوقِفَ *الرّأسَ الأخضرَ*. رفعَتْ صوتَهَا وناداتْهُ، غيرَ أنّهُ لم يلتفِتْ إليهَا.

"ستكونُ وحيداً في المزرعةِ. أنتَ مميّزٌ، لكنَّ حيواناتِ باحةِ الحظيرةِ لنْ تقبلَ بكَ".

وحينَ لم يكترثْ لكلامِهَا، لحقَتْ بِهِ عنْ بُعدٍ.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل التّاسع

ابنُ عُرسٍ يجولُ قربَ البركةِ

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

مكثَتْ إبساك فوقَ تلّةٍ لتتمكّنَ مِنْ رؤيةِ المزرعةِ.

بقيَ كلُّ شيءٍ علَى حالِهِ: الضّوءُ الخافتُ الّذي يتسلّلُ مِنَ القنِّ، وضجيجُ الدّجاجاتِ، وعربةُ اليدِ، والحظيرةُ، وطيورُ باحةِ الحظيرةِ. كانَ الشّيءُ الوحيدُ الّذي تغيّرَ وجودَ ديكٍ آخرَ، لكنّهُ كانَ أصغرَ مِنَ الدّيكِ الّذي تعرفُهُ. كانَ ذاكَ هوَ الدّيكَ الّذي لم يتمكّنِ ابنُ عُرسٍ مِنَ الإمساكِ بِهِ.

لم تتمكّنْ إبساك مِنْ رؤيةِ ما يدورُ في الحظيرةِ، لكنّهَا تمكّنَتْ مِنَ التّخمينِ، ولا بدَّ مِنْ أنَّ وصولَ *الرّأسِ الأخضرِ* قدْ أحدثَ نوعاً مِنَ الفوضَى. ويُحتملُ أنّهُ طُردَ لأنَّ رئيسَ البطِّ لم يكنْ مسروراً منهُ.

"يا لصغيري المسكينِ!".

تمنّتْ أنْ يحدثَ ذلكَ، فقدْ أرادَتْ أنْ تعودَ *بالرّأسِ الأخضرِ* إلى البركةِ مجدّداً. كانَتْ تعرفُ أنّهُ سوفَ يكونُ وحيداً معهَا، لكنَّ أحداً لنْ يهزأَ بِهِ هناكَ. يُضافُ إلى ذلكَ أنّهُ يستطيعُ الطّيرانَ ساعةَ يشاءُ.

مضَى اللّيلُ و لمْ يُطرَدِ *الرّأسُ الأخضرُ*. أخفَتِ البطّاتُ رؤوسَهَا في وعاءِ الطّعامِ وانهمكَتْ في ابتلاعِهِ، لكنّ *الرّأسَ الأخضرَ* تناولَ الطّعامَ وحدَهُ مِنَ الإناءِ الصّغيرِ الّذي قدمَتْهُ لَهُ زوجةُ المزارعِ.

Twitter: @alqareah

كانَ مِنَ الواضحِ أنَّ زوجةَ المزارعِ أحبَّتْ *الرّأسَ الأخضرَ*، وليسَ مِنَ العجبِ أنْ يرغبَ فيهِ الجميعُ نظراً إلى ريشِهِ اللامعِ وشكلِهِ الحسنِ. ولكنْ، إذا أحبَّتْ زوجةُ المزارعِ *الرّأسَ الأخضرَ* فإنَّ رئيسَ البطِّ والدّيكَ سيضطرّانِ إلى التّنازلِ لَهُ عنْ زاويةٍ مِنَ الحظيرةِ.

خرجَتِ البطّاتُ للتّنزّهِ بعدَ الانتهاءِ مِنْ تناولِ طعامِ الفطورِ. كانَ رئيسُ البطِّ يسيرُ في المقدّمةِ، بينمَا سارَتْ خلفَهُ البطّاتُ الأصغرُ سنًّا. حاولَ *الرّأسُ الأخضرُ* أنْ يسيرَ في آخرِ الصّفِّ، لكنّ زوجةَ المزارعِ أمسكَتْ بِهِ ورفعَتْهُ بيديهَا.

راحَ *الرّأسُ الأخضرُ* يصفّقُ بجناحَيهِ ويصيحُ مذهولاً: "كواكْ، كواكْ".

قفزَتْ إبساك مِنْ مكانِهَا.

"كواكْ، كواكْ".

راحَتْ إبساك تجولُ فوقَ التّلّةِ ذهاباً وإياباً وهيَ تشعرُ بالقلقِ. لم تكترثْ بطّاتُ المزرعةِ *للرّأسِ الأخضرِ*، وتوجّهَتْ إلى البركةِ، فيمَا ظلَّ *الرّأسُ الأخضرُ* في الحظيرةِ مربوطاً إلى عمودٍ بجانبِ القنِّ، وبذلَ مجهوداً كبيراً كيْ يتخلّصَ مِنَ القيدِ، ولكنْ مِنْ دونِ جدوى، فانفجرَ بالبكاءِ وبكَتْ إبساك معَهُ.

بقيَ كلبُ الحراسةِ يدورُ حولَ *الرّأسِ الأخضرِ* طيلةَ النّهارِ. ولمْ يتمكّنْ هذا الأخيرُ مِنَ الإفلاتِ مِنَ الحبلِ الّذي يقيّدُهُ مهمَا حاولَ جذبَهُ.

Twitter: @alqareah

"كانَ يجبُ عليَّ أنْ أقولَ لَهُ إنّنا غادَرْنَا المزرعةَ لأنَّ المزارعَ وزوجتَهُ كانَا يرغبانِ في قصِّ جناحَيهِ. لم يكنْ لِيذهبَ إلى هناكَ لوْ أخبرْتُهُ بذلكَ. ماذا يُفترضُ بـــي أنْ أفعلَ الآنَ؟".

تململَتْ إبساك بقلق. كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* يقاومُ ويرفضُ أنْ يتناولَ الطّعامَ، بينمَا توجّهَ الدّيكُ مَعْ عائلتِهِ للقيامِ بنـــــزهةٍ في حديقةِ الخضارِ. أمّا الكلبُ العجوزُ فغفَا. عادَتِ البطّاتُ عنـــدَ المساءِ، وتوجّهَتْ إلى الحظيرةِ، وهكذَا مضى النّهارُ.

تجوّلَتْ إبساك خارجَ باحةِ الحظيرةِ، وتساءلَتْ عمّا يمكنُهَا أنْ تفعلَهُ. أرادَتْ أنْ تقتربَ مِنَ *الرّأسِ الأخضرِ*، وأنْ تواسيَهُ علَى أقلِّ تقديرٍ، غيرَ أنَّ الكلبَ كشّرَ عنْ أنيابِهِ عندمَا لمحَ إبســـاك، وقالَ لَهَا: "هلْ ما زلتِ حيّةً؟ يا لكِ مِنْ دجاجةٍ شرّيرةٍ!".

حملقَتْ إبساك إليهِ، وكأنّها تريدُ أنْ تنقرَ خطمَهُ عندَ أقـــلِّ استفزازٍ.

"أتعتقدُ أنّني بقيتُ حيّةً صدفةً؟ لقدْ قاسيْتُ مـــا يكفـــي. أنصحُكَ ألاَّ تلمسَني".

"هممم، صوتُكِ عالٍ جدًّا. أعرفُ أنّكِ قمْتِ بتربيةِ فـــرخِ بطٍّ، ولكنْ، إيّاكِ أنْ تفكّري في العودةِ إلى باحةِ الحظيرةِ. إنّـــني حارسٌ لا غبارَ عليهِ. يُحتملُ أنْ أعضَّكِ مِـــنْ دونِ أنْ أقصـــدَ ذلكَ". توجّهَ الكلبُ إلى وجارِهِ ببطءٍ.

نادَتْ إبساك مِنْ تحتِ شجرةِ الخرنوبِ: "أنا هُنَا يا بابيـــي. لا تبكِ. دعْنَا نفكّرُ في ما يمكنُنَا فعلُهُ".

Twitter: @alqareah

"لا تتركيني هُنَا يا أمّي. إنّ رجلي تؤلـــمُني".

شعرَتْ إبساك بالإحباطِ وهيَ تتجوّلُ حولَ باحةِ الحظـــيرةِ مفكّرةً في حلٍّ لمشكلتِهَا. أدركَتْ أنَّ أحداً لنْ يستطيعَ فكَّ الحبلِ غيرَ المزارعِ أوْ زوجتِهِ.

جهدَتْ إبساك كثيراً في التّفكيرِ في حلٍّ. وفجأةً، اكتشفَتْ أنّها وصلَتْ إلى حفرةِ الموتِ مِنْ دونِ أنْ تقصدَ ذلكَ.

شعرَتْ إبساك بموجةٍ مفاجئةٍ مِنَ الخوفِ تخترقُ جسمَهَا. لم يكنْ ذلكَ غريباً لأنّ عيناً كانَتْ تلمعُ وهيَ تنظرُ نحوَهَا. أدركَتْ فطريًّا أنَّ ابنَ عُرسٍ يراقبُهَا، ولا بدّ مِنْ أنّهُ أغمضَ إحدى عينَيـــهِ لسببٍ ما، وذلكَ لأنّ عيناً واحدةً كانَتْ تحملقُ إليهَا.

اقشعرّ ريشُ رقبتِهَا، وضمَّتْ مخالبَهَا بقوّةٍ، وبدأَتِ الـــدّماءُ تغلي في عروقِهَا. كانَتْ علَى أتمِّ الاستعدادِ للقفزِ نحوَهُ.

كانَ فكّا ابنِ عُرسٍ مُطبقَينِ علَى دجاجةٍ، لكنّها كانَـــتْ لا تزالُ حيّةً. تمكّنَتْ إبساك مِنْ رؤيةِ جناحَيِ الدّجاجةِ وهمَا يهتزّانِ بينَ حينٍ وآخرَ بالرّغمِ مِنَ الظلامِ الّذي بدأَ يخيّمُ علَى المكانِ. بدأَ ابنُ عُرسٍ بالتّقدّمِ نحوَهَا ببطءٍ، غيرَ أنّها لم تهربْ لأنّهُ حصلَ علَى فريستِهِ، ولذلكَ لنْ يؤذيَهَا.

وضعَ ابنُ عُرسٍ الدّجاجةَ الّتي لم تعدْ حيّةً علَى الأرضِ. لم يكنْ عدائيًّا تجاهَهَا، لكنَّ إبساك نفشَتْ ريشَهَا وحملقَتْ إليهِ.

"إنَّ فرخَكِ شهيٌّ، وأنا سوفَ ألتهمُهُ قريباً". ضحكَ ابـــنُ عُرسٍ ضحكةً ماكرةً.

Twitter: @alqareah

ردَّتْ إبساك باستهزاءٍ: "هراءٌ. إنّ الأمرَ ليسَ بهذهِ السّهولةِ إطلاقاً".

"أتعتقدينَ ذلكَ؟ وحتّى مَع كونهِ مُقيَّداً؟ سوفَ يسمنُ بعدَ وقتٍ قصيرٍ، وعندَهَا لنْ يتمكّنَ مِنَ الطّيرانِ، وهكذَا سيصبحُ داجناً".

فهمَتْ إبساك أخيراً السّببَ الّذي جعلَ زوجةَ المزارعِ تقومُ بربطِ *الرّأسِ الأخضرِ*. كانَ جناحُ المتشرّدِ مكسوراً، ولذلكَ لم يتمكّنْ مِنَ الطّيرانِ بعيداً.

صرخَ بهَا فجأةً: "وأنتِ؟ كيفَ تجرّأْتِ علَى اقتلاعِ عيني!؟ ستدفعانِ الثّمنَ، كلاكُمَا ستدفعانِ الثّمنَ، وقريباً جدًّا".

فوجئَتْ إبساك بمَا سمعَتْهُ. تذكرَتْ قطعةَ اللّحمِ الّتي علِقَتْ بمنقارِهَا في ذلكَ اليومِ، لقدْ كانَتْ عينَ ابنِ عُرسٍ.

صاحَتْ إبساك علَى الفورِ: "أفضّلُ الغرقَ في البركةِ علَى أنْ تأكلَني".

ردَّ ابنُ عُرسٍ: "آهٍ، كلاّ. لا يناسبُني ذلكَ. إنّني لا آكلُ الحيواناتِ الميتةَ. احرصِي علَى أنْ تظلّي حيّةً، وراقبِي جيّداً ما سأفعلُهُ بصغيركِ فرخِ البطِّ البرّيِّ".

ضحكَ ابنُ عُرسٍ مرّةً أخرى، ثُمّ اختفى بعدَ ذلكَ في الظّلمةِ حاملاً بينَ فكّيهِ تلكَ الدّجاجةَ الهزيلةَ. حدّقَتْ إبساك إلى ابنِ عُرسٍ، وشعرَتْ بأنّها ترتجفُ. فقدْ رسمَ لهَا ابنُ عُرسٍ صورةً عنْ مصيرِهَا المشؤومِ.

Twitter: @alqareah

كرّرَتْ إبساك: "قريباً جدًّا...".

استجمعَتْ إبساك قواهَا وغادرَتْ حفرةَ الموتِ، فيمَا بقيَتْ كلماتُ ابنِ عُرسٍ تتردّدُ في أذنَيهَا.

"هلْ سيذهَبُ إلى باحةِ الحظيرةِ؟ حتّى مَع وجودِ حارسٍ هناكَ؟ سينبحُ الكلبُ ما إنْ يرى ابنَ عُرسٍ ويطاردُهُ، وستصرخُ طيورُ باحةِ الحظيرةِ أيضاً. سيتوجّهُ نحوَ بابيي مباشرةً، لكنّهُ لنْ يتمكّنَ مِنْ أخذِ بابيي بعيداً لأنّهُ مربوطٌ".

فكّرَتْ إبساك في الأمرِ مرّةً بعدَ أخرى. آهٍ! سيتمكّنُ *الرّأسُ الأخضرُ* مِنَ الفرارِ إذا فكّتْ زوجةُ المزارعِ الحبلَ؛ ولوْ للحظةٍ واحدةٍ.

"سينتظرُ اللّحظةَ المناسبةَ لَهُ، أيْ عندمَا يصبحُ *الرّأسُ الأخضرُ* سميناً جدًّا ولا يتمكّنُ مِنَ الطّيرانِ".

ظهرَ ابنُ عُرسٍ في اللّيلةِ التّاليةِ عندَ حفرةِ الموتِ. يبدُو أنّهُ فشلَ في العثورِ علَى أيِّ فريسةٍ، لذلكَ تسلّلَ إلى باحةِ الحظيرةِ. كانَ الدّيكُ مشغولاً بالنّكشِ في كومةِ السّمادِ.

راقبَتْ إبساك عنْ قربٍ ابنَ عُرسٍ الّذي عرفَ أنّها تراقبُهُ، فنظرَ خلفَهُ بمكرٍ، وكأنّهُ يريدُ أنْ يقولَ لَها: "راقبيني جيّداً".

جمُدَتْ إبساك في مكانهَا.

إنّهُ يريدُ الإمساكَ بالدّيكِ.

أرادَتْ أنْ تصيحَ ليتمكّنَ الدّيكُ الصّغيرُ مِنَ الهربِ، لكنّهَا عجزَتْ لسببٍ مَا عنْ إصدارِ أيِّ صوتٍ. كانَ الكلبُ غافلاً عمَّا

Twitter: @alqareah

يجري لأنّهُ كبُرَ في السّنِّ حيثُ لم يعدْ يتمكّنُ مِنْ شمِّ أوْ سماعِ أيِّ شيءٍ.

إنّهُ يحاولُ أنْ يخيفَني.

في هذهِ اللّحظةِ، أطلقَ *الرّأسُ الأخضرُ* صيحةَ إنذارٍ. كانَ سمعُهُ قويًّا، وأحسَّ بالخطرِ قبلَ أنْ يشعرَ الكلبُ بذلكَ. بعدَ ذلكَ، حدثَ كلُّ شيءٍ بسرعةٍ. فقدْ نبحَ الكلبُ، لكنَّ ابنَ عُرسٍ عبرَ الباحةَ مثلَ السّهمِ بينمَا أطلقَ الدّيكُ صرخةَ الموتِ الأخيرةَ.

نبحَ الكلبُ بشراسةٍ، ولحقَ بذلكَ الشّبحِ الدّاكنِ، بينمَا خرجَتْ طيورُ المزرعةِ مِنَ الحظيرةِ. كانَ المزارعُ وزوجتُهُ آخرَ مَنْ خرجَ.

اختفَى الدّيكُ الصّغيرُ، بينمَا أخذَ الدّيكُ ودجاجتُهُ بالقوقأةِ مِنْ دونِ توقّفٍ بحثاً عنْ صغيرهِمَا. وبطبطَتْ البطّاتُ جميعُهَا *والرّأسُ الأخضرُ* مذهولةً في الوقتِ نفسهِ، وهكذَا امتلأَتِ المزرعةُ بضجيجِ الطّيورِ.

قالَ المزارعُ: "اللّعنةَ. يتسبّبُ لنا ابنُ عُرسٍ بالمتاعبِ".

انشغلَتِ الزّوجةُ بإرجاعِ القطيعِ إلى الحظيرةِ، لكنّهَا ردَّتْ: "إنّنا نحتاجُ إلى كلبٍ قويٍّ، لأنّ كلبَنَا قدْ كبُرَ في السّنِّ. سنخسرُ كلَّ فراخِ المزرعةِ إذا استمرَّ الحالُ هكذَا".

"إنّكِ تتوسّلينَ إلى ابنِ عُرسٍ كيْ يأتيَ ليأخذَ فرخَ البطِّ البرّيَّ لأنّكِ تضعينَهُ أمامَهُ هكذَا. يبدُو الأمرُ وكأنّكِ تضعينَ لَهُ

Twitter: @alqareah

الطّعامَ. أعيدِي فرخَ البطِّ البرّيَّ إلى الحظيرةِ". كانَ المزارعُ غاضباً وهوَ يعودُ إلى داخلِ المنـــزلِ.

لعنَتْ زوجةُ المزارعِ الكلبَ العجوزَ بينمَا كانَتْ تتقدّمُ نحوَ *الرّأسِ الأخضرِ*. راحَتْ إبساك تجولُ في المكانِ ذهابـــاً وإيابـــاً، وانشغلَتْ في مراقبةِ زوجةِ المزارعِ عندمَا بدأَتْ هذهِ الأخيرةُ في فكِّ الحبلِ عَنِ العمودِ.

"كواكْ، كواكْ". كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* مربوطاً مِنْ رجـــلٍ واحدةٍ، وبدأَ بالتّعثّرِ عندمَا سحبَتْهُ زوجةُ المزارعِ وراءَهَا. كـــانَ مِنَ المستحيلِ بالنّسبةِ إلى إبساك رؤيتُهُ مجدّداً إذا بقـــيَ مربوطـــاً داخلَ الحظيرةِ، ومِنَ الصّعبِ عليهَا أنْ تتحمّلَ ذلكَ.

قفزَتْ إبساك مِنْ مكانِهَا وقالَتْ بشراسةٍ: "كوكْ، كـــوكْ، كوكْ. اتركيهِ وشأنَهُ".

فتحَتْ زوجةُ المزارعِ عينَيهَا علَى وســـعِهِمَا مِـــنْ فـــرطِ المفاجأةِ، وصُدِمَتْ بهذا الهجومِ المفاجئِ مِنَ الدّجاجةِ الّتي صفّقَتْ بجناحَيهَا واندفعَتْ نحوَهَا. حرّكَتْ إبساك جناحَيهَا وكأنّها ديكُ مبارزةٍ، ونقرَتْ زوجةَ المزارعِ بكلِّ وحشيّةٍ.

زعقَتْ زوجةُ المزارعِ: "آخ، آخ! ستقتلُني هذهِ الدّجاجةُ".

عادَتْ البطّاتُ الّتي دخلَتِ الحظيرةَ جميعُها وبدأَتْ تبطبطُ، وخيّمَتِ الفوضَى علَى باحةِ الحظيرةِ مجدّداً. حاولَـــتْ زوجـــةُ المزارعِ إبعادَ إبساك عنْهَا، ولذلكَ أفلتَتِ الحبلَ الّذي يُقيّدُ *الرّأسَ الأخضرَ*.

Twitter: @alqareah

صرخَتْ إبساك: "طِرْ يا بايـــي". وسرعانَ مَا طارَ *الرّأسُ الأخضرُ* بالسّرعةِ الّتي سمحَ لَهُ بِهَا جناحَاهُ القويّانِ.

اختفى سريعاً وراءَ الجبلِ، وكانَ الحبلُ لا يزالُ متدلّياً مِـــنْ رجلِهِ. حدّقَتْ إليهِ بطّاتُ المزرعةِ الّتي عجزَتْ عنِ القيامِ بـــالأمرِ ذاتِهِ بذهولٍ.

أسرعَتْ إبساك إلى خارجِ باحةِ الحظـــيرةِ، لكـــنّ زوجـــةَ المزارعِ كانَتْ تلوّحُ بمكنسةٍ وكادَتْ أنْ تقتلَهَا.

كانَتِ الطّريقُ إلى البركةِ بعيدةً ومظلمةً، لكنْ لم يكنْ هناكَ أيُّ شيءٍ يدعو للقلقِ. دندنَتْ إبساك بحبورٍ بعدَ أنْ تحرّرَتْ مِـــنْ كلِّ شيءٍ يدعو للخوفِ. فقدْ ملأَ الدّيكُ الصّغيرُ المسكينُ معدةَ ابنِ عُرسٍ، كمَا أنّ *الرّأسَ الأخضرَ* ضجرَ في هذا الوقتِ مِنْ طيورِ باحةِ الحظيرةِ.

"يترافقُ الشّبابُ مَع قلّةِ الخبرةِ؛ لقدْ تعلّمْتَ شـــيئًا إضـــافيًا يا بايـــي. لنْ تحبَّكَ البطّاتُ لمجرّدِ أنّكَ مِنْ جنسِهَا، فمَا يهـــمُّ أكثرَ هوَ أنْ تفهمَكَ وتفهمَهَا. هذا هُوَ الحبُّ".

وثبَتْ إبساك بحبورٍ وهيَ تقوقئُ بصوتٍ عالٍ.

أصبحَتْ إبساك أكثرَ هزالاً مِنْ أيِّ وقتٍ مضى. فقدْ كانَتْ تأكلُ ما يُشبعُ جوعَهَا فقطْ، لكنّهَا أحسَّتْ الآنَ بأنّها أصبحَتْ صغيرةً مثلَ طيورِ القصبِ المغرّدةِ. كانَ هزالُهَا يرجعُ جزئيًّـــا إلى أنّها استخدمَتْ معظمَ طاقتِهَا في محاولةِ العثـــورِ علَـــى *الـــرّأسِ الأخضرِ*.

Twitter: @alqareah

كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* ينامُ وحيداً منذُ أنْ طارَ بعيداً عَنِ المزرعةِ. ولَمْ يعدْ إلى إبساك خلالَ اللّيلِ، وظلَّ يسبحُ في البركةِ حيثُ كانَ باستطاعتِهَا مراقبتُهُ عنْ بُعدٍ، لكنْ، صعُبَ عليهَا العثورُ علَى المكانِ الّذي ينامُ فيهِ.

كلُّ مَا تمكّنَتْ مِنْ فعلِهِ عندمَا عثرَتْ علَى مكانِ نومِهِ إطلاقُ تنهيدةِ ارتياحٍ. غيرَ أنَّها لم تقتربْ منهُ لاحتضانهِ عندمَا ينامُ، أوْ للتحدّثِ إليهِ كمَا اعتادَا في السّابقِ. وكانَ كلُّ ما تفعلُهُ هوَ التّأكّدَ مِنْ أنَّهُ ينامُ جيّداً، ومراقبتَهُ وهوَ ينمو. شعرَتْ في بعضِ الأحيانِ بأنّها حزينةٌ ووحيدةٌ، لكنْ لم يكنْ في وسعِهَا أنْ تفعلَ شيئاً في هذا الموضوعِ.

لا بدّ أنّهُ يستصعبُ تقبّلَ الأمرِ، أيْ إنّنا نختلفُ عنْ بعضِنَا.

أرادَتْ علَى الأقلِّ أنْ تساعدَهُ علَى التّخلّصِ مِنَ الحبلِ الّذي يقيّدُ رجلَهُ. فقدْ كانَ ذلكَ الحبلُ يلاحقُهُ في كلِّ مرّةٍ يطيرُ فيهَا أوْ يسبحُ. كانَ ذلكَ منظراً محزناً، وكأنَّ *الرّأسَ الأخضرَ* يجرُّ حزنَهُ وراءَهُ.

لم يرغبِ *الرّأسُ الأخضرُ* في أنْ تقتربَ منهُ، لكنّها أصرَّتْ رغمَ ذلكَ علَى أنْ تنامَ في مكانٍ تتمكّنُ فيهِ مِنْ رؤيتِهِ. فقدْ كانَتْ تحسُّ بالارتياحِ عندَ ذلكَ فقطْ.

كانَ ابنُ عُرس يخرجُ متجوّلاً في بعضِ الأحيانِ، مِنْ دونِ أنْ يحدثَ أيُّ شيءٍ مأساويٍّ. فقدْ كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* يمتلكُ سمعاً

Twitter: @alqareah

مرهفاً، ولذلكَ كانَ يحسُّ علَى الدّوامِ بشبحِ ابنِ عُرسٍ الزّاحفِ إليهِ قبلَ وصولِهِ. وكانَ الأمرُ ذاتُهُ يحصلُ مَعْ إبساك.

مرَّ الخريفُ علَى هذا النّحوِ.

لاحظَتْ إبساك في حقلِ القصبِ مجموعةً مِنْ حشراتِ "أبو مغزلٍ" وهيَ تتمسّكُ بالحياةِ. تمسّكَتْ هذهِ الحشراتُ بالنّباتاتِ المائيّةِ بعدَ أنْ أكملَتْ آخرَ رحلةِ طيرانٍ لَها مستعينةً بالقدرِ القليلِ مِنَ القوّةِ الّتي بقيَتْ لديهَا بعدَ أنْ وضعَتْ بيوضَهَا.

كانَتْ عيونُ حشراتِ "أبو مغزلٍ" متيقظةً، لكنّهَا لم تُظهرِ الخوفَ مِنْ إبساك وهيَ تلتقطُهَا بمنقارِهَا. كانَتْ أجنحتُهَا متصلّبةً، بينمَا كانَتْ عيونُهَا مركّزةً علَى السّماءِ الزّرقاءِ. لم يكنْ أكلُ حشراتِ "أبو مغزلٍ" ببطونِهَا الهزيلةِ وعيونِهَا الكبيرةِ شهيًّا، لكنَّ إبساك كانَتْ تأكلُهَا عندمَا تضطرُّ إلى ذلكَ فقطْ.

بدأَ النّهارُ يقصرُ أكثرَ فأكثرَ، لذلكَ بدأَتْ بطّاتُ المزرعةِ بمغادرةِ البركةِ في وقتٍ أبكرَ. ولَمْ يكنْ يُسمعُ بعدَ مغادرتِهَا البركةَ سوى صوتِ صفيرِ الرّيحِ وحفيفِ الأعشابِ. وشيئاً فشيئاً، ازدادَتْ برودةُ ليالي الخريفِ، بينمَا كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* يجرُّ الحبلَ الطّويلَ وراءَهُ في حقلِ القصبِ الّذي كانَ يسبحُ فيهِ في وقتٍ متأخّرٍ. وكانَتْ إبساك تتبعُهُ ببطءٍ.

في الصّباحِ الباكرِ، هبَّتْ رياحٌ قويّةٌ، وتحرّكَ القصبُ بطريقةٍ تُنذرُ بالخطرِ. فارتجفَتْ إبساك عندمَا اخترقَتِ الرّيحُ الباردةُ ريشَهَا.

Twitter: @alqareah

"هلْ أنتَ بخيرٍ يا بابيـــي؟".

قلقَتْ إبساك علَى *الرّأسِ الأخضرِ* رغمَ أنّهُ كانَ علَى مسافةٍ قريبةٍ منهَا. وشعرَ *الرّأسُ الأخضرُ* بالقلقِ أيضاً فمدَّ رقبتَهُ لينظـــرَ حولَهُ، لكنّهُ أطلقَ صرخةَ إنذارٍ فجأةً وطارَ في الهواءِ.

صرخَ *الرّأسُ الأخضرُ*: "انتبهي يا أمّي".

شعرَتْ إبساك بالتّوتّرِ لأنَّ ابنَ عُرسٍ كانَ قريباً منهَا. بطبطَ *الرّأسُ الأخضرُ* بصوتٍ عالٍ، ودارَ فوقَ حقلِ القصبِ، ثُمّ صاحَ مندهشاً: "ليسَ وحدَهُ، هناكَ ثلاثةٌ. كلاّ، هناكَ واحدٌ آخرُ. لماذا تتجمّعُ هكذَا؟".

كانَتْ إبساك مضطربةً. فقدْ كانَ ابنُ عُرسٍ واحدٌ يشكّلُ ما يكفي مِنَ المتاعبِ، وها قدْ انضمّتْ إليهِ الآنَ ثلاثـــةُ حيوانـــاتٍ أخرى مِنْ فصيلَتِهِ.

خرجَتْ إبساك مِنْ حقلِ القصبِ وهيَ في أقصى حـــالاتِ الحذرِ. أطلقَتْ تنهيدةَ ارتياحٍ، لكنّ ابنَ عُرسٍ ذا العينِ الواحـــدةِ ظهرَ في تلكَ اللّحظةِ. ارتجفَتْ إبساك حينَ نظرَ إليهَا بـــازدراءٍ، وحدّقَتْ إلى عينِهِ الوحيدةِ.

قالَ ابنُ عُرسٍ: "لا أريدُكِ أنتِ، إلاّ إذا لم يتبقَّ هنـــاكَ أيُّ شيءٍ يصلحُ للأكلِ". وانصرفَ بعيداً عنـــهَا تاركـــاً ضـــحكتَهُ الشّريرةَ تتردّدُ وراءَهُ.

قالَتْ إبساك وهيَ تسخرُ منهُ: "الأمرُ كذلكَ بالنّســـبةِ إلى صغيرِي، لأنّكَ لنْ تستطيعَ أنْ تنالَ منهُ إلاّ إذا كنْـــتَ صـــيّاداً

Twitter: @alqareah

ماهراً. إنّهُ عبءٌ كبيرٌ بالنّسبةِ إلى صيّادٍ لا يمتلكُ سوى عينٍ واحدةٍ فقطْ. ولهذا أحضرْتَ معك ثلاثةً مِنْ فصيلتِكَ. لكنْ، انظرْ إليهِ. إنّهُ في الهواءِ. كانَ لا بدَّ أنْ تراهُ حتّى لوْ كنتَ ذا عينٍ واحدةٍ فقطْ".

شعرَ ابنُ عُرسٍ بغضبٍ شديدٍ فقوّسَ ظهرَهُ وكشّرَ عنْ أنيابِهِ، لكنّهُ لم يهاجمْهَا.

"إنّهُ موسمُ الصّيدِ، وسوفَ نحصلُ علَى ما كنّا ننتظرُهُ في النّهايةِ". انطلقَ ابنُ عُرسٍ في طريقِهِ مسرعاً مثلَ السّهمِ؛ تاركاً إبساك وسطَ حيرتِهَا.

كانَتِ السّماءُ ملبّدةً بالغيومِ، وانحَنَتِ القصباتُ عندَ هبوبِ الرّياحِ، ثُمّ انتصبَتْ ببطءٍ. كانَتِ الرّياحُ تتركُ آثاراً واضحةً في الأرضِ حيثُ ترتطمُ القصباتُ. وكانَتْ تلكَ إشارةً واضحةً إلى قربِ حدوثِ شيءٍ غيرِ عاديٍّ.

سمعَتْ إبساك *الرّأسَ الأخضرَ* وهوَ يناديهَا، فنادَتْهُ بصوتٍ عالٍ. طارَ *الرّأسُ الأخضرُ* حولَ البركةِ ثُمّ عادَ إليهَا. وقفَا معاً وحدّقَا إلى الماءِ، وذلكَ للمرّةِ الأولى منذُ وقتٍ طويلٍ.

"ماما، أشعرُ بشيءٍ غريبٍ. لم يسبقْ لي أنْ شعرْتُ هكذَا. لا بدّ أنّ شيئاً ما سوفَ يحدثُ".

سألَتْ إبساك: "أتخافُ مِنْ هذهِ الحيواناتِ المفترسةِ؟".

"كلاّ، ليسَ الأمرُ هكذَا".

"هلْ هوَ شيءٌ أسوأُ مِنْ ذلكَ؟".

Twitter: @alqareah

"ماما، إنّهُ أمرٌ مختلفٌ. إنّهُ يغطّي السّـــماءَ بأكملِهَـــا. ألاَ تشعرينَ بهِ؟".

"ماذَا تعني يا بابيـــي؟".

شعرَتْ إبساك بالإحباطِ. لم تعلمْ مـــا الّـــذي رآهُ *الـــرّأسُ الأخضرُ* بعينَيهِ المحدّقتَين، أوْ ما سمعَهُ.

صاحَ *الرّأسُ الأخضرُ*: "آه! استمعِي إلى ذلكَ الصّوتِ. إنّهُ صوتٌ قويٌّ. إنّهُ سربٌ كبيرٌ منَ الطّيورِ".

كانَ شيءٌ ما جديدٌ ومجهولٌ يقتربُ منهُمَا. شعرَتْ إبساك بالتّوتّرِ في أثناءِ محاولتِهَا سماعِ الصّوتِ الّذي تحدّثَ عنهُ *الـــرّأسُ الأخضرُ*.

وسرعانَ ما تردّدَ في الأجواءِ صوتٌ لم تسمَعْهُ إبساك مِـــنْ قبلُ، وكانَ صادراً مِنْ مكانٍ يقعُ بينَ جبلٍ بعيدٍ والسّماءِ. عـــلا الصّوتُ أكثرَ فأكثرَ، وظهرَتْ في الأفقِ بعدَ ذلكَ نقاطٌ سوداءُ. كانَتْ تلكَ النّقاطُ عبارةً عنْ طيورٍ.

غطّى السّماءَ عددٌ كبيرٌ مِنْ هذهِ الطّيورِ، فلمْ تتمكّنْ إبساك مِنْ سماعِ أيِّ شيءٍ آخرَ.

رفرفَ سربُ الطّيورِ فوقَ البركةِ، وحطَّ علَى الماءِ واحـــداً تلوَ الآخرِ. دُهشَتْ إبساك و*الرّأسُ الأخضرُ*، وراحَا يحدّقانِ إليهِ.

تمتمَتْ إبساك: "عادَتْ عائلتُكَ أيّها الجوّالُ".

لم يسبقْ لهَا أنْ رأَتْ هذهِ الطّيورَ مِنْ قبلُ، لكنّهَا أدركَـــتْ أنّها الطّيورُ الّتي كانَ فرخُ البطِّ البرّيُّ ينتظرُهَا. فقـــدْ اعتـــادَ أنْ

Twitter: @alqareah

يتسلّقَ التّلةَ ويحدّقَ بعيداً، ولا بدّ أنّهُ كانَ يشعرُ بالوحدةِ لأنّـهُ انفصلَ عنْ عائلةٍ كبيرةٍ كهذهِ.

"إنّ قلبـي ينبضُ بسرعةٍ يا ماما، لكنّني لا أعرفُ لمـاذا".

دسَّ *الرّأسُ الأخضرُ* جناحَهُ تحتَ جناحِ إبساك مثلَمَا اعتـادَ أنْ يفعلَ عندمَا كانَ صغيراً. كانَ يرتجفُ مِنَ الخوفِ أمـامَ هـذا المشهدِ غيرِ المتوقّعِ.

"ولِمَ لا؟ لم يسبقْ لكَ أنْ رأيتَ مثلَ هذا المنظرِ الجميلِ مِنْ قبلُ". استغربَتْ إبساك لأنّها تشعرُ بالطّمأنينةِ، حتّى إنّها ابتسمَتْ عندمَا فكّرَتْ في فرخِ البطِّ البرّيِّ.

فهمْتُ كلَّ شيءٍ الآنَ يا صديقي.

سبقَ لفرخِ البطِّ البرّيِّ أنْ أبلغَ إبساك بضرورةِ الذّهابِ إلى البركةِ مَع بابيـي. ظنَّتْ إبساك حينَهَا أنّها فهمَتْ ما يعنيهِ، لكنَّ ذلكَ لم يكنْ صحيحاً. لكنّهَا فهمَتْهُ أخيراً، والآنَ فقطْ. فقدْ أرادَ فرخُ البطِّ البرّيُّ أنْ يكبرَ صغيرُهُ ويطيرَ كيْ يلحقَ بعائلتِهِ.

نشرَتْ إبساك جناحَيهَا واحتضنَتِ *الرّأسَ الأخضرَ* الّـذي اكتملَ نموُّهُ. احتضنَتْهُ لفترةٍ طويلةٍ، ومسّدَتْ ريشَهُ النّاعمَ وشمَّتْ رائحتَهُ.

يُحتملُ أنّها لنْ تحصلَ علَى لحظةٍ أخرى كهذهِ، فالأشـياءُ القيّمةُ لا تبقَى طويلاً. كانَتْ إبساك تعرفُ ذلكَ، ولهذا كـانَ عليهَا أنْ تتذكّرَ كلَّ شيءٍ؛ لأنّ الذّكرياتِ وحدَها هيَ الّتي تبقى في النّهايةِ.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل العاشر

الإيقاعُ بالصيّادِ

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

كانَ ابنُ عُرسٍ ذو العينِ الواحدةِ أكبرَ وأسرعَ بكثيرٍ مِنْ العددِ الآخرِ من فصيلتِهِ. كمَا كانَ رشيقاً وماكراً جدًّا، وتمكّنَ مِنْ تشكيلِ فريقٍ للصّيدِ.

انتظرَتْ مجموعةُ ابنُ عُرسٍ الجائعةُ قربَ البركةِ أيَّ فرصةٍ تتيحُ لَهَا الحصولَ علَى ضحيةٍ، وهيَ الّتي كانَتْ تطاردُ طيورَ البطِّ البرّيِّ بطبيعةِ الحالِ. كانَتْ صغارُ البطِّ البرّيِّ الشّاردةُ عنْ سربِهَا، أوِ الّتي تقومُ بأولَى جولاتِهَا، هيَ الّتي تقعُ ضحيّةً لَهَا.

كانَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ تسبحُ في البركةِ كفريقٍ كبيرٍ واحدٍ، وتنامُ معاً في حقلِ القصبِ. كانَتْ تلكَ الطّيورُ تُحدِثُ ضجيجاً كبيراً عندمَا يطيرُ السّربُ بأكملِهِ وراءَ قائدِهِ.

تركَ *الرّأسُ الأخضرُ* إبساك وانضمَّ إلى السّرب، غيرَ أنَّ السّربَ رفضَ قبولَهُ. لكنْ، وبالرّغمِ مِنْ أنّهُ نشأَ في البرّيّةِ، إلاّ أنّهُ لم يكنْ يشبهُ بطّاتِ المزارعِ في شيءٍ. وقفَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ محترسةً منهُ بسببِ الحبلِ المربوطِ حولَ رجلِهِ. فقدْ أعطى ذلكَ الحبلُ انطباعاً بأنّهُ هربَ مِنَ البشرِ.

لم تغادرْ إبساك التّلّةَ، لأنَّ فريقَ ابنِ عُرسٍ كانَ يطاردُ طيورَ البطِّ البرّيِّ فقطْ، و لَمْ يكنْ أمامَهَا أيُّ مكانٍ أفضلَ مِنَ التّلّةِ للنّظرِ إلى حقلِ القصبِ.

Twitter: @alqareah

بذلَ *الرّأسُ الأخضرُ* أقصَى جهودِهِ ليصبحَ واحداً مِنَ المجموعةِ، كمَا ثابرَ علَى اللّحاقِ بطيورِ البطِّ البرّيِّ، ونامَ إلى جانبِهَا بالرّغمِ مِنْ أنَّ الطّيورَ تجنّبَتْهُ. ولَمْ يكترثْ كذلكَ حينَ اضطرَّ إلى النّومِ خارجَ منطقةِ تواجدِ السّربِ؛ حيثُ القدرُ الأكبرُ مِنَ الخطرِ.

أحسَّتْ إبساك بالإشفاقِ علَى *الرّأسِ الأخضرِ* الّذي كانَ يجلسُ بعيداً عنِ السّربِ، أوْ يسبحُ وحدَهُ، لكنّهَا لم تستطعْ فعلَ أيِّ شيءٍ لمساعدتِهِ.

كانَتْ إبساك تعتقدُ علَى الدّوامِ أنَّ *الرّأسَ الأخضرَ* طائرٌ مميّزٌ، وهوَ بالتّأكيدِ مميّزٌ عندَ مقارنتِهِ مَعْ بطّاتِ المزرعةِ. لكنَّ *الرّأسَ الأخضرَ* لم يتمكّنْ مِنَ الطّيرانِ بمثلِ مهارةِ طيورِ البطِّ البرّيِّ الأخرى. فقدْ كانَ أبطأَ منهَا، ولذلكَ كانَ يتأخرُ عنهَا في الرّحلاتِ الطّويلةِ.

كانَتْ إبساك تتمتمُ في كلِّ مرّةٍ كانَتْ تشعرُ فيهَا بالأسفِ: "إنّهُ هكذَا بسببِ الحبلِ. أتمنّى لوْ أتمكّنُ مِنْ تخليصِهِ منهُ".

اعتادَتْ إبساك علَى النّبشِ في أكوامِ القشِّ المنتشرةِ في حقولِ الأرزِّ الجافّةِ، وعلَى تناولِ الحبوبِ الّتي تساقطَتْ علَى الأرضِ. ثُمّ كانَتْ تعودُ بعدَ ذلكَ إلى الفجوةِ الّتي تقعُ وسطَ التّلةِ. شعرَتْ إبساك بالرّاحةِ في الفجوةِ، وتمكّنَتْ مِنَ النّومِ والشّعورِ بالدّفءِ حتّى عندمَا يتكوّنُ الجليدُ. كمَا تمكّنَتْ أيضاً مِنْ مراقبةِ بناتِ عُرسٍ في أثناءِ رواحِهَا ومجيئِهَا في حقلِ القصبِ.

Twitter: @alqareah

"إنّها تخطّطُ لفعلِ شيءٍ ما".

لم توفَّقْ بناتُ عُرسٍ كثيراً بعدَ تساقطِ الثّلجِ لأوّلِ مرّةٍ، وهيَ الّتي تمكّنَتْ مِنْ صيدِ معظمِ فراخِ البطِّ البرّيِّ الصّغيرةِ والضّعيفةِ منذُ بدايةِ فصلِ الشّتاءِ. غيرَ أنَّ اصطيادَ فراخِ البطِّ البرّيِّ القويّةِ سهلاً مطلقاً.

كانَتْ بناتُ عُرسٍ الجائعةُ تطاردُ فراخَ البطِّ البرّيِّ بسرعةٍ كبيرةٍ، لكنْ، كانَ مِنَ الصّعبِ عليهَا اصطيادُ طائرٍ واحدٍ. وعندمَا تنجحُ أخيراً في اصطيادِ أحدِهَا كانَتْ تصدرُ أصواتاً عاليةً وهيَ تتشاجرُ في ما بينهَا للحصولِ علَى حصّةٍ أكبرَ مِنَ الفريسةِ. غادرَ اثنانِ مِنْ بناتِ عُرسٍ بحثاً عنْ أرضٍ يتواجدُ فيهَا صيدٌ أكبرُ، لكنَّ ابنَ عُرسٍ ذا العينِ الواحدةِ ورفيقاً لَهُ بقيَا معاً.

كانَتْ إبساك قلقةً علَى *الرّأسِ الأخضرِ* دائماً؛ لأنّهُ ينامُ خارجَ المنطقةِ الّتي ينامُ فيها السّربُ. ممّا يعني أنّهُ يشكّلُ الهدفَ الأوّلَ عندمَا تبدأُ المطاردةُ. يُضافُ إلى ذلكَ أنَّ سحبَ الحبلِ الّذي كانَ يجرُّهُ وراءَهُ كانَ أمراً متعباً.

تمتمَتْ إبساك وكأنَّ *الرّأسَ الأخضرَ* يصغي إليهَا: "لا تستغرِقْ في النّومِ العميقِ يا بابيي هذهِ اللّيلةَ، لأنَّ ابنَ عُرسٍ يجولُ جائعاً منذُ يومين".

وقفَتْ إبساك علَى التّلّةِ، وراقبَتْ بعنايةٍ بينمَا كانَ ابنُ عُرسٍ ورفيقُهُ يختبئانِ وراءَ القصبِ. كانَتْ فراخُ البطِّ البرّيِّ لا تزالُ تسبحُ في البركةِ.

Twitter: @alqareah

بدأَ الثّلجُ بالتّساقطِ، لكنَّ إبساك جالَتْ ذهاباً وإياباً. غطّتْ تُدَفُ الثّلجِ حقلَ القصبِ، وكذلكَ العشبَ اليابسَ حيثُ يكمنُ ابنُ عُرسٍ. خرجَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ مِنَ البركةِ واحداً تلوَ الآخرِ، ونفضَتْ قطراتِ المياهِ عنْ ريشِهَا. طارَ قائدُ السّربِ أوّلاً، ثُمّ تبعَتْهُ بقيةُ أفرادِ السّربِ، أكملَ السّربُ دورةً حولَ البركةِ قبلَ أنْ يختفيَ وراءَ الجبلِ. كانَ السّربُ يعثرُ أحياناً علَى مكانٍ آخرَ لتمضيةِ اللّيلِ، لكنّهُ غالباً ما كانَ يعودُ إلى حقلِ القصبِ.

حدّقَتْ إبساك جيّداً باحثةً عَنِ *الرّأسِ الأخضرِ*، لكنَّ الثّلجَ كانَ يتساقطُ بغزارةٍ، لذلكَ لم تتمكّنْ مِنْ رؤيةِ ذلكَ الحبلِ الطّويلِ الّذي يتدلّى مِنْ رجلِهِ. وعجزَتْ عنْ تمييزِهِ عنْ بقيّةِ طيورِ البطِّ البرّيِّ الّتي لم تكنْ تجرُّ حبالاً وراءَهَا.

سُيبقِي أذنَيهِ مصغيَتين. إنّهُ يعرفُ ما يكفِي عنِ الصّيادِ.

حاولَتْ إبساك مواساةَ نفسِهَا، لكنّهَا لم تشعرْ بالاطمئنانِ. توجّهتْ إلى الفجوةِ وجثمَتْ فيهَا. تمنَّتْ أنْ يتمكّنَ السّربُ مِنَ العثورِ علَى مكانٍ آخرَ لتمضيةِ اللّيلِ، إمّا علَى الصّخورِ أوْ تحتَ أجماتِ الشّجيراتِ الصّغيرةِ الّتي تغطّي قسماً مِنَ الجبلِ.

شعرَتْ إبساك بالجوعِ، وهيَ الّتي لم تأكلْ أيَّ شيءٍ منذُ أنْ انشغلَتْ بمراقبةِ ابنِ عُرسٍ. لكنّهَا تمكّنَتْ مِنْ تحمّلِ الجوعِ، وذلكَ لأنّها اعتادَتْ علَى تناولِ القليلِ مِنَ الطّعامِ، أوْ لا شيءَ منهُ، منذُ أنْ بدأَتِ العيشَ في البرّيّةِ. ولقدْ ازدادَتْ نحولاً، وخسرَتْ بعضَ ريشِهَا، لكنْ كانَ بإمكانِهَا تحمّلُ ذلكَ.

Twitter: @alqareah

بدأَتْ نُدَفُ الثّلجِ تكبرُ شيئاً فشيئاً، وتراكمَ الثّلجُ عندَ مدخلِ الفجوةِ فلمْ يعدْ في وسعِ إبساك أنْ ترى أيَّ شيءٍ في الخارجِ. وبالرّغمِ مِنْ ذلكَ تمكّنَتْ مِنْ سماعِ ما يدورُ في الخارجِ.

"لا بدّ أنّ الجوعَ قدْ وصلَ بهِ إلى حافّةِ الجنونِ".

تذكّرَتْ إبساك أنّ المتشرّدَ كانَ يبقَى مستيقظاً طوالَ اللّيلِ وهوَ يرقُصُ ويصرُخُ. كانَ يفعلُ كلَّ ما في وسعِهِ لحمايةِ البيضةِ.

"إنّني أمٌّ، لذلكَ لنْ أسمحَ لَهُ بقتلِهِ".

شقّتْ إبساك طريقَها وسطَ الثّلوجِ.

رأَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ عائدةً؛ لا بدّ أنّها قرّرَتِ العودةَ إلى حقلِ القصبِ مجدّداً. سيستقرُّ السّربُ فوقَ بقعةٍ يغطّيها القصبُ بكثافةٍ كيْ يتجنّبَ الثّلجَ، لكنَّ حيوانَي ابنِ عُرسٍ كانَا يكمنانِ هناكَ بانتظارِ قدومِهَا.

كانَ السّربُ سيحطُّ في منطقةِ الكمينِ بالذّاتِ بعدَ أنْ يُكملَ دورةً في السّماءِ الرّماديّةِ. اضطرَّتْ إبساك إلى الإسراعِ. لكنْ، ما إنْ بدأَتْ بالرّكضِ حتّى ضربَتْهَا عاصفةٌ مفاجئةٌ وقويّةٌ. أغمضَتْ عينَيهَا بشدّةٍ، وما إنْ فتحَتْهُمَا مجدّداً حتّى رأَتِ *الرّأسَ الأخضرَ* واقفاً أمامَهَا.

شعرَتْ إبساك بسرورٍ عظيمٍ، ففتحَتْ جناحَيهَا مرحّبةً *بالرّأسِ الأخضرِ*: "بابيي".

بدا متعباً ومكتئباً، لكنَّ جناحَيهِ كانَا أقوى بكثيرٍ، ويكفيانِ لتكوينِ دوّامةٍ ثلجيّةٍ.

Twitter: @alqareah

سُمِعَتْ في هذهِ اللّحظةِ بالذّاتِ صرخةٌ مفاجئةٌ صادرةٌ مِنْ حقلِ القصبِ، وأسرعَ السّربُ بأكملِهِ إلى الطّيرانِ في الوقتِ ذاتِهِ. شعرَ *الرّأسُ الأخضرُ* بالقلقِ فتوجّهَ إلى طرفِ المنحدرِ ليستطلعَ الأمرَ.

"ابنُ عُرسٍ".

أصغَتْ إبساك و*الرّأسُ الأخضرُ* بصمتٍ إلى صرخةِ الرّعبِ القصيرةِ الّتي أتَتْ مِنْ بينِ الظّلمةِ. يعني ذلكَ أنَّ ابنَي عُرسٍ سوفَ ينعمانِ بمعدتَينِ مليئتَينِ هذهِ اللّيلةَ. كانَ طائرٌ مسكينٌ واحدٌ يوفّرُ للسّربِ بأكملِهِ ليلةً آمنةً. شكرَتْ إبساك اللهَ علَى سلامةِ *الرّأسِ الأخضرِ*.

قالَ *الرّأسُ الأخضرُ* عندمَا عادَ إلى إبساك وأسندَ رأسَهُ علَى جناحِهَا: "لا أستطيعُ أنْ أتحمّلَ هذا بعدَ الآنَ. أريدُ أنْ أعيشَ معكِ يا أمّي. تنامُ فراخُ البطِّ الّتي في مثلِ سنّي داخلَ دائرةٍ محاطةٍ بالطّيورِ الأكبرِ سنًّا. لكنْ، يتوجّبُ عليَّ أنا النّومُ في الخارجِ، وحتّى أبعدَ مِنَ الحارسِ. لا أعرفُ موضعِي عندمَا نطيرُ معاً، فإذا طرْتُ إلى جانبِ الطّيورِ الكبيرةِ في السّنِّ فهيَ تصرخُ بي وتقولُ إنّني وقحٌ. أمّا إذا طرْتُ في الخلفِ فإنّها تتحدّثُ عنّي بالسّوءِ".

أصغَتْ إبساك بتعاطفٍ إلى شكاوى *الرّأسِ الأخضرِ*.

"إنّني غريبٌ أينَمَا ذهبْتُ. هلْ سأستمرُّ بالعيشِ هكذَا؟ لا أرغبُ في هذا بعدَ الآنَ، ولقدْ أدركْتُ كمْ كنْتُ سعيداً عندمَا كنْتُ معكِ. هذهِ هيَ الأسبابُ الّتي جعلَتْني أعودُ يا أمّي".

Twitter: @alqareah

ازدادَ هزالُ *الرّأسِ الأخضرِ* بعدَ أنْ عانَى مِنْ أوقاتٍ صعبةٍ. لكنّ إبساك لاحظَتْ كذلكَ الثّلجَ الّذي أثارَهُ عندمَا حرّكَ جناحَيهِ، وطباعَ البطِّ البرّيِّ الّتي تميّزَ بهَا. أصغَتْ إليهِ بصمتٍ بالرّغمِ مِنْ أنّهُ اشتكى مثلَ طفلٍ.

دخلَ *الرّأسُ الأخضرُ* الفجوةَ أوّلاً، وهوَ يشعرُ بالإنهاكَ ويجرُّ وراءَهُ ذلكَ الحبلَ الطّويلَ. شعرَتْ إبساك بالأسى عندمَا نظرَتْ إلى الخطِّ الّذي تركَهُ الحبلُ الثّقيلُ علَى الثّلجِ.

همسَتْ إبساك في أذنِ *الرّأسِ الأخضرِ* عندمَا تعانقا: "يمكنُكَ أنْ تنامَ الآنَ نوماً عميقاً".

تراكمَ الثّلجُ وسدَّ مدخلَ الفجوةِ، وهوَ ما جعلهَا أكثرَ هدوءاً ودفئاً في الدّاخلِ. لم يتأخّرِ *الرّأسُ الأخضرُ* عَنِ الاستسلامِ للنّومِ، وعزمَتْ إبساك علَى تحريرِهِ مِنَ الحبلِ الّذي يلتفُّ حولَ رجلِهِ.

ظلَّتْ إبساك تنقرُ الحبلَ طوالَ اللّيلِ، وشعرَتْ عندَ طلوعِ الفجرِ بأنَّ منقارَهَا قدْ تخدَّرَ، حيثُ إنَّها عجزَتْ عنْ فتحِهِ. شعرَتْ كذلكَ بدوارٍ شديدٍ، لكنَّ الحبلَ تمزّقَ وباتَ بالإمكانِ قطعُهُ إنْ بذلَتْ مجهوداً إضافيًّا بسيطاً.

اغرورقَتْ عينا *الرّأسِ الأخضرِ* بالدّموعِ عندمَا استيقظَ ورأى ما حدثَ للحبلِ. أمسكَتْ إبساك طرفَ الحبلِ بينمَا شدَّ *الرّأسُ الأخضرُ* رجلَهُ، وهكذَا انقطعَ الحبلُ. لم تتمكّنْ إبساك مِنْ قطعِ العقدةِ، ولذلكَ بقيَتْ وكأنّها سوارٌ حولَ رجلِهِ، لكنّها لم تعدْ مشكلةً بعدَ الآنَ.

Twitter: @alqareah

كانَتْ إبساك متعبةً جدًّا وعجزَتْ عنِ الوقوفِ. بقيَ *الرّأسُ الأخضرُ* إلى جانبِهَا صامتاً لفترةٍ، لكنّهُ شقَّ طريقَهُ بعدَ ذلكَ وسطَ الثّلجِ وخرجَ مِنَ الفجوةِ. استسلمَتْ إبساك للنّومِ وهيَ تراقبُ *الرّأسَ الأخضرَ* يطيرُ بعيداً عنهَا.

كمْ مضى مِنَ الوقتِ؟

هزَّهَا *الرّأسُ الأخضرُ* كيْ يوقظَهَا: "ماما، استيقظِي. لا يُفترضُ بكِ أنْ تنامِي الآنَ".

فتحَتْ إبساك عينَيهَا بصعوبةٍ لترى سمكةً لذيذةً أمامَها.

قالَ *الرّأسُ الأخضرُ* بعدَ أنْ فتحَ عينَيهِ علَى وسعِهِمَا: "أتعلمينَ ما الّذي اصطادَهُ ابنا عُرسٍ اللّيلةَ الماضيةَ؟ حصلا علَى فريستَينِ. كانَ أحدُهُما المرشدَ الّذي يفتّشُ عنْ مكانٍ للمبيتِ في اللّيلِ، أمّا الآخرُ فكانَ الحارسَ".

ففي اللّيلةِ الماضيةِ، كانَ ابنا عُرسٍ يائسَين، ممّا دفعَهُما إلى القفزِ بشراسةٍ علَى المرشدِ والحارسِ اللّذَينِ حَطَّا أوّلاً كالمعتادِ.

نقرَتْ إبساك السّمكةَ. كانَتْ وليمةً رائعةً و لَمْ تكنْ لتحصلَ عليهَا لولاَ *الرّأسُ الأخضرُ*.

قالَتْ إبساك: "شكراً لكَ. كانَتْ لذيذةً جدًّا".

ابتسمَ *الرّأسُ الأخضرُ* ابتسامةً عريضةً. وابتسمَتْ إبساك أيضاً، لكنّ قلبهَا كانَ حزيناً.

"هلْ تريدينَ أنْ أغادرَ هذا المكانَ يا أمّي؟".

نظرَتْ إبساك إلى عينَي *الرّأسِ الأخضرِ* مباشرةً وأومأَتْ.

Twitter: @alqareah

"بالطّبعِ، يجبُ عليكَ أنْ تغادرَ. ألاَ تعتقدُ أنّهُ يجبُ عليكَ أنْ تكونَ مَعْ عائلتِكِ كَيْ ترى ما يجري وسطَها؟ أمّا أنا فلنْ أبقى هُنَا لوْ كانَ بإمكاني الطّيرانُ. لا أعرفُ يا بابي كيفَ أعيشُ مِنْ دونكَ، لكنْ مِنَ المناسبِ لكَ أنْ تغادرَ. اذهبْ لتكونَ حارسَ السّربِ لأنّهُ ما مِنْ طائرٍ آخرَ يمتلكُ سمعاً مرهفاً كسمعِكَ".

دسَّ *الرّأسُ الأخضرُ* رأسَهُ تحتَ جناحِ إبساك، وكادَتْ دموعُهُ أنْ تتساقطَ وهوَ يقولُ لَهَا: "لكنّني لا أريدُ أنْ أغادرَ".

"يجبُ عليكَ أنْ تتصرفَ حسبمَا تتمنّى بالفعلِ. اسألْ نفسَكَ عمّا ترغبُ فيهِ".

"ستكونينَ وحدَكِ لأنّكِ لا تستطيعينَ العودةَ إلى المزرعةِ".

"سأكونُ بخيرٍ. إنّني أتذكّرُ أشياءَ كثيرةً حيثُ إنّني لنْ أكونَ وحيدةً".

خنقَ *الرّأسُ الأخضرُ* عَبراتِهِ وسطَ ريشِ إبساك عندمَا أجهشَ بالبكاء. ومسّدَتْ إبساك ريشَهُ بلطفٍ. أرادَتْ أنْ تنصحَهُ بأنْ يكونَ لطيفاً مَعَ الطّيورِ الأخرى كيْ لا تتجنّبَهُ بعدَ الآنَ، لكنّها شعرَتْ بالأسى ولمْ تتمكّنْ مِنْ قولِ أيِّ شيءٍ.

"يمكنُنَا أنْ نغيّرَ مكانَ مبيتِنَا بسببِ ابنِ عُرسٍ. سمعْتُ أنّهُ يُحتملُ أنْ نعبرَ البركةَ في طريقِنَا إلى الجبلِ، وهكذَا سأتمكّنُ مِنْ رؤيتِكِ لفترةٍ".

أصغَتْ إبساك بهدوءٍ إلى الكلماتِ الّتي تلعثمَ *الرّأسُ الأخضرُ* وهوَ يقولُها. كانَتْ تعرفُ ذلكَ، لكنَّ التّيقنَ مِنْ أنَّ ذهنَهُ ما زالَ

Twitter: @alqareah

متعلّقاً بالسّرب جعلَهَا تشعرُ بالكآبةِ. كانَ مجردُ وقوفِهَا علَى رجلَيهَا أمراً لا يُحتملُ.

"تبدينَ مختلفةً عنّي، لكنّني أحبّكِ يا أمّي".

أسرعَ *الرّأسُ الأخضرُ* بالخروجِ مِنَ الفجوةِ بعدَ أنْ قالَ هذهِ الكلماتِ. وبقيَتْ إبساك مكانَها لأنّها كانَتْ عاجزةً عنِ الحركةِ. التفتَ ونظرَ إلى الخلفِ نحوَهَا مجدّداً. أسرعَتْ وراءَهُ، لكنّهُ كانَ قدْ طارَ. دارَ حولَ الفجوةِ مرةً واحدةً ثُمّ توجّهَ نحوَ البركةِ.

وقفَتْ إبساك فوقَ التّلّةِ، وراقبَتْهُ وهوَ ينضمُّ إلى طيورِ البطِّ البرّيِّ، وشعرَتْ بفراغٍ كبيرٍ في قلبِهَا.

اقتربَ فصلُ الشّتاءِ مِنْ نهايتِهِ. وبقيَ بعضُ الثّلجِ غيرُ الذّائبِ في الأماكنِ الظّليلةِ، بينمَا بدأَتْ بعضُ النّباتاتِ والزّهراتِ النّحميّةِ بالظّهورِ في الأماكنِ الّتي تصلُهَا أشعّةُ الشّمسِ. كانَ تناولُ بعضِ الخضارِ بعدَ مرورِ هذا الوقتِ الطّويلِ أمراً منعشاً جدًّا؛ وإنْ كانَتْ متجمّدةً قليلاً.

عاشَتْ إبساك حياتَها خلالَ فصلِ الشّتاءِ متنقّلةً. ولَمْ يتوفّرْ لَهَا الطّعامُ في ذلكَ الحقلِ الباردِ، كمَا أنَّ ابنَ عُرسٍ كانَ أكثرَ إزعاجاً مِنْ أيِّ وقتٍ مضى. اضطرّتْ إبساك إلى أنْ تكونَ حذرةً جدًّا كيْ لا تواجهَهُ عندمَا تتنقلُ بينَ حقلِ القصبِ، والفجوةِ، وتحتَ شجرةٍ مقطوعةٍ علَى الأرضِ، وداخلَ كومةِ قشٍّ في حقلِ

Twitter: @alqareah

الأرزِّ، وداخلَ قاربٍ مهترئ. كانَتْ كومةُ قشِّ الأرزِّ أفضلَ مكانٍ للنّومِ لأنَّ الطّعامَ متوافرٌ فيهَا، لكنّ العددَ الكبيرَ مِنْ فئرانِ الحقلِ والبراغيثِ جعلَ المكوثَ فيهَا لوقتٍ أطولَ أمراً صعباً.

كانَ ابنُ عُرسٍ أيضاً يعيشُ حياةً غيرَ مستقرّةٍ وازدادَ جوعُهُ كثيراً بسببِ الكلبِ الجديدِ الّذي يحرسُ القنَّ. وكانَ رفيقُهُ قدْ غادرَ الحقلَ بسببِ نُدرةِ الطّعامِ، لكنّ ابنَ عُرسٍ ذا العينِ الواحدةِ بقيَ فيهِ. كانَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ تأتي أحياناً إلى حقلِ القصبِ حتّى بعدَ أنْ خسرَتِ المرشدَ والحارسَ. وكانَ ابنُ عُرسٍ الّذي يتجوّلُ في البرّيّةِ المغطّاةِ بالثّلوجِ يعتبرُ طيورَ البطِّ البرّيِّ فريسةً غيرَ سهلةٍ.

بقيَ ابنُ عُرسٍ يطاردُ *الرّأسَ الأخضرَ*. فقدْ كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* الحارسَ في أثناءِ اللّيلِ، ولَمْ يتمكّنِ ابنُ عُرسٍ مِنْ إبعادِهِ عَنْ طريقِهِ، لذلكَ لم يتمكّنْ مِنَ الإمساكِ بطيورِ البطِّ البرّيِّ الأخرى.

تحوّلَ *الرّأسُ الأخضرُ* إلى حارسٍ محترمٍ بصوتِهِ العالي وجناحَيهِ القويَّين، وهكذَا كانَ عضواً حقيقيًّا في السّربِ.

وعندمَا كانَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ تتأخّرُ عَنِ الظهورِ، كانَ ابنُ عُرسٍ يلاحقُ إبساكَ بحماسةٍ. لم يجدْ ابنُ عُرسٍ ما هوَ أشهَى منهَا ليأكلَهُ؛ بالرّغمِ مِنْ أنَّ عدداً كبيراً مِنْ ريشِهَا قدْ تساقَطَ، وكانَتْ هزيلةً. لكنّهُ كانَ يفشلُ دائماً في الإمساكِ بِهَا، وهوَ لم يعدْ سريعاً كمَا كانَ مِنْ قبلُ.

Twitter: @alqareah

هبَّ النّسيمُ الدّافئُ، فتمكّنَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ مِنَ السّباحةِ بسهولةٍ أكبرَ مَعْ ذوبانِ الجليدِ على سطحِ البركةِ. كانَتْ إبساك تتجوّلُ بمحاذاةِ حافّةِ البركةِ علَى أملِ أنْ تتمكّنَ مِنْ لمحِ *الرّأسِ الأخضرِ* عنْ قربٍ.

بدأَتْ بطّاتُ المزرعةِ بالخروجِ مِنَ الحظيرةِ للتّنزّهِ. ولأنّها لم تتمكّنْ مِنَ السّباحةِ طوالَ الشّتاءِ، أسرعَتْ إلى الماءِ علَى الفورِ. شاهدَ رئيسُ البطِّ إبساك فألقَى عليهَا التّحيةَ بكلِّ لطفٍ.

قالَ لَهَا بصوتٍ حادٍّ: "لا بدَّ أنَّ الشّتاءَ كانَ قاسياً بالنّسبةِ إليكِ".

ردَّتْ إبساك علَى تحيّتِهِ بابتسامةٍ عذبةٍ. فهيَ لم تشعرْ بالغيرةِ مِنَ البطّاتِ الّتي ازدادَتْ سمنةً في الحظيرةِ طوالَ الشّتاءِ، لم تشعرْ ولوْ بقدرٍ بسيطٍ مِنَ الغيرةِ.

أضافَ رئيسُ البطِّ بكلِّ لطفٍ: "لكنّكِ تبدينَ بخيرٍ. لا أعني مظهرَكِ، لكنَّ هناكَ أمراً...". حرّكَ جناحَيهِ لأنّهُ وجدَ صعوبةً في الشّرحِ. "فأنتِ مختلفةٌ عنْ دجاجةِ باحةِ الحظيرةِ. تبدينَ أكثرَ ثقةً بنفسكِ، وأكثرَ مهابةً. يا لغرابةِ ذلكَ لأنَّ ريشَكِ قدْ تساقطَ، لكنَّ مظهرَكِ يبدُو أفضلَ".

بدا كلامُهُ وكأنّهُ مجاملةٌ.

رتّبَ ريشَهُ قبلَ القفزِ في المياهِ وسألَ إبساك: "ماذا عنْ صغيرِكِ؟ إنّني لا أراهُ... أيُحتملُ...". كانَ رئيسُ البطِّ يتساءلُ إنْ كانَ *الرّأسُ الأخضرُ* قدْ ماتَ.

Twitter: @alqareah

ميّزَتْ إبساك *الرّأسَ الأخضرَ* لأنّهُ صدفَ أنّهُ كانَ يطيرُ بقوّةٍ كبيرةٍ فوقَهُما في تلكَ الأثناءِ. حدّقَ رئيسُ البطِّ بتركيزٍ إلى *الرّأسِ الأخضرِ* وهوَ يشعرُ بالسّرورِ، وأومأَ نحوَ إبساك كَيْ يُظهرَ احترامَهُ.

سارَتْ إبساك متبخترةً ومسرورةً مِنْ دونِ أنْ تقصدَ مكاناً محدّداً، وهكذَا قادتْها رجلاها إلى مكانٍ يبعدُ قليلاً عنْ حقلِ القصبِ. لكنّها عندمَا مرَّتْ أمامَ شجرةِ صفصافٍ كبيرةٍ سمعَتْ ضجيجاً عالياً صادراً مِنْ بقعةٍ مِنَ العشبِ الطّويلِ. كانَ ذلكَ صوتَ بكاءِ حيواناتٍ صغيرةٍ.

نظرَتْ إبساك مِنْ بينِ العشبِ اليابسِ. كانَ المكانُ مظلماً في الدّاخلِ، ولهذا لم تتمكّنْ مِنْ رؤيةِ أيِّ شيءٍ في البدايةِ، لكنَّ عينَيهَا تعوّدَتَا بسرعةٍ علَى الظّلامِ، وأدركَتْ أنَّ المكانَ فجوةٌ غيرُ مكشوفةٍ. تمكّنَتْ وسطَ الضّوءِ الخافتِ مِنْ رؤيةِ مخلوقاتٍ صغيرةٍ لم تكنْ قدْ فتحَتْ عيونَهَا بعدُ، وهيَ تتحرّكُ وتصطدمُ ببعضِهَا.

بدأَ قلبُ إبساك ينبضُ بسرعةٍ عندمَا رأَتْ مخلوقاتٍ ذاتَ أربعِ قوائمَ.

سارعَتْ إبساك بالخروجِ مِنَ الفجوةِ بعدَ أنْ أدركَتْ أنّها سوفَ تتعرّضُ لخطرٍ كبيرٍ لا تستحقُّهُ إذا شكَّ أحدُهُم في أنّها تحاولُ أذيّتَهَا. لكنّها كانَتْ فضوليةً في الوقتِ ذاتِهِ. لماذا تُترَكُ هذِهِ الحيواناتُ الصّغيرةُ الّتي لم تفتحْ عيونَها بعدُ وحيدةً؟! أَلَنْ

Twitter: @alqareah

تموتَ إذا تُركَتْ مِنْ دونِ رعايةٍ؟ كانَتْ إبساك تعرفُ جيّداً أنَّ الحيواناتِ حديثةَ الولادةِ تموتُ بسهولةٍ إذا حُرِمَتْ مِنْ أمِّها.

تسلقَتْ إبساك التّلةَ، وانتظرَتْ عودةَ الأمِّ إلى هذِهِ الحفرةِ السّرّيةِ. لم يأتِ أحدٌ. لم تعدْ أيُّ أمٍّ إلى الحفرةِ؛ حتّى عندمَا بدأَ الظلامُ يحلُّ علَى المكانِ، وحتّى عندمَا غادرَتْ بطّاتُ المزرعةِ البركةَ، وكذلكَ عندمَا طارَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ جميعُها مرّةً واحدةً.

قلقَتْ إبساك بشأنِ هذهِ الحيواناتِ الصّغيرةِ. هلْ يُحتملُ أنَّ أمَّها قدْ ماتَتْ؟ أَلا يُفترضُ أنْ يعتنيَ بِهَا أحدٌ؟

أفاقَتْ إبساك مِنْ تساؤلاتِهَا عندمَا سمعَتْ أصواتَ طيورِ البطِّ البرّيِّ آتيةً مِنْ فوقِ الجبلِ.

"مرَّ وقتٌ طويلٌ منذُ آخرِ مرّةٍ أمضَتِ اللّيلَ في هذا المكانِ".

نظرَتْ إبساك نحوَ حقلِ القصبِ لأنّها أرادَتْ أنْ ترى *الرّأسَ الأخضرَ*.

وفوجئَتْ عندمَا لاحظَتْ أنَّ ابنَ عُرسٍ كانَ ينتظرُ السّربَ. كانَ ابنُ عُرسٍ مختبئاً تحتَ الأعشابِ الكثيفةِ منتظراً السّربَ، أيْ مثلَمَا فعلَ عندمَا اصطادَ مرشدَ السّربِ وحارسَهُ.

شعرَتْ إبساك بالقلقِ. كانَ المرشدُ والحارسُ يهبطانِ قبلَ بقيّةِ الطّيورِ، ممّا يعني أنّ *الرّأسَ الأخضرَ* هوَ الهدفُ.

"لم أرَ ابنَ عُرسٍ منذُ فترةٍ طويلةٍ. وإذا كانَ جائعاً طوالَ تلكَ الفترةِ فلا بدَّ أنّهُ يائسٌ جدًّا".

Twitter: @alqareah

كانَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ تدورُ حولَ البركةِ، و لَمْ تمتلكْ إبساك أيَّ لحظةٍ لتضيّعَهَا.

أسرعَتْ إبساك بالنّزولِ عَنِ التّلّةِ وهيَ تصفّقُ بجناحَيهَا. وتمنّتْ لوْ كانَ باستطاعتِهَا أنْ تطيرَ بدلاً مِنَ استخدامِ رجلَيهَا القصيرتَينِ. يا لهذَينِ الجناحَينِ عديمَي النّفعِ!

"أيُّها الوغدُ".

تعثرَتْ إبساك وهيَ تتّجهُ إلى أسفلِ التّلّةِ، وأُصيبَتْ بخدوشٍ وجروحٍ عديدةٍ بسببِ اصطدامِهَا بالعشبِ اليابسِ وجذوعِ الأشجارِ، لكنّها لم تشعرْ بأيِّ ألمٍ، و لَمْ تفكّرْ إلاّ في الوصولِ إلى حقلِ القصبِ قبلَ هبوطِ *الرّأسِ الأخضرِ*.

قوقأَتْ إبساك بصوتٍ عالٍ وهيَ تندفعُ إلى أسفلِ المنحدرِ بسرعةِ البرقِ: "انظرْ، إنّني هُنَا". كانَ ريشُهَا منفوشاً وقدْ علقَتْ عليهِ أوراقُ الأشجارِ، لذلكَ بدا منظرُهَا مضحكاً، لكنَّ صوتَهَا كانَ أكثرَ شراسةً مِنْ أيِّ وقتٍ مضى.

رأى ابنُ عُرسٍ إبساك فنهضَ مِنْ مكانِهِ. كانَ يدركُ جيّداً أنّها سوفَ تفسدُ عليهِ صيدَهُ. لذا، زمجرَ بشراسةٍ، وزحفَ نحوَهَا، وعينُهُ تلمعُ منذرةً بالخطرِ.

كانَتْ إبساك جاهزةً لأيِّ شيءٍ قدْ يحصلُ. كمْ مِنَ الوقتِ قدْ مضى عليهِ وهوَ جائعٌ؟ لا بدّ أنّ ابنَ عُرسٍ نحيفٌ بشكلٍ يثيرُ الشّفقةَ. بالتّأكيدِ لم يعدْ ذلكَ الصّيادُ ذاتَهُ الّذي كانَ ينطلقُ بسرعةِ الرّياحِ. لمَحَتْ إبساك بطنَهُ وصدرَهُ في تلكَ اللّحظةِ بالذّاتِ.

Twitter: @alqareah

بدأَ ذهنُ إبساك بالعملِ سريعاً، وتساءلَتْ عمّا عساهُ قدْ أكلَهُ في هذا الحقلِ المجدّبِ والمغطّى بالثّلجِ كيْ يسمَنَ هكذَا خلالَ الشّتاءِ، كمَا تساءلَتْ عَنِ السّببِ الّذي جعلَهُ بطيئاً بهذا الشّكلِ، لكنّها فهمَتِ الآنَ كلَّ شيءٍ مرّةً واحدةً. وأدركَتْ أنّ تلكَ المخلوقاتِ الصّغيرةَ في تلكَ الفجوةِ غيرِ المكشوفةِ كانَتْ صغارَ أنثى ابنِ عُرسٍ هذهِ. كانَتْ أنثى ابنِ عُرسٍ والدتَهَا.

كانَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ علَى وشكِ أنْ تحطَّ علَى الأرضِ. حطَّ أحدُهَا برفقٍ ليبحثَ عنْ مكانٍ ينامُ فيهِ. رأَتْ إبساك الحلقةَ حولَ رجلِهِ. كانَ ذلكَ الطّائرُ هوَ *الرّأسَ الأخضرَ*.

كشّرَتْ أنثى ابنِ عُرسٍ عنْ أنيابِهَا قائلةً: "أيّتُها الدّجاجةُ اللّعينةُ. ابتعدِي عنْ طريقي".

أدركَتْ إبساك أنّها مضطرّةٌ إلى القيامِ بعملٍ ما مِنْ أجلِ تحويلِ انتباهِ أنثى ابنِ عُرسٍ. لذا، تراجعَتْ إلى الخلفِ بسرعةٍ، وصاحَتْ بأعلَى صوتِهَا.

"افعلِي ما تريدينَ. إنّني ذاهبةٌ إلى صغارِكِ".

أسرعَتْ إبساك نحوَ شجرةِ الصّفصافِ، فلحقَتْهَا أنثى ابنِ عُرسٍ بعدَ أنْ أدركَتِ الخطرَ الّذي يُهدِّدُ صغارَهَا، فيمَا أطبقَتْ إبساك منقارَهَا وركضَتْ. لم تعدْ أنثى ابنِ عُرسٍ صغيرةً في السّنِّ، لكنّها ما زالَتْ عدّاءةً سريعةً، وكادَتْ أنْ تنتزعَ رقبةَ إبساك.

Twitter: @alqareah

أسرعَتْ إبساك بدخولِ الفجوةِ الّتي تقعُ تحتَ شجرةِ الصّفصافِ، وأمسكَتْ بصغارِ أنثى ابنِ عُرسٍ الّتي كانَتْ متجمّعةً إلى جانبِ بعضِهَا. كانَتْ هذهِ الكتلُ الصّغيرةُ مِنَ اللّحمِ والخاليةُ مِنَ الفراءِ تحتَ مخالبِهَا. في الواقعِ، لم ترغبْ إبساك في فعلِ هذا. لم يكنْ عملُها هذا صائباً، لكنْ، لم يكنْ أمامَهَا أيُّ خيارٍ آخرَ.

نظرَتْ أنثى ابنِ عُرسٍ نحوَ إبساك بتوسّلٍ بعينهَا الوحيدةِ. حملقَتْ الوالدتانِ إلى بعضِهما حتّى كادَتْ أنفاسُهُما تنقطعُ. صرخَتِ الجراءُ، فاضطربَ وجهُ أنثى ابنِ عُرسٍ البائسُ عندَ سماعِهَا هذا الصّراخَ. بدا الأمرُ وكأنّ أنثى ابنِ عُرسٍ الّتي طاردَتْ إبساك طويلاً أصبحَتْ تحتَ رحمةِ مخالبِهَا.

توسلَتْ أنثى ابنِ عُرسٍ بصوتٍ مرتعشٍ: "انتبهِي رجاءً. لم تفتحِ الصّغارُ عيونَها بعدُ".

لكنّ إبساك هزَّتْ رأسَهَا.

"كانَ عليكِ تركُنَا وشأنَنَا في أوقاتٍ كثيرةٍ، لكنّكِ لم تفعلِي. فقدْ طاردْتِ البطّةَ البيضاءَ كالثّلجِ، والمتشرّدَ، وأنا، وصغيري. كانَتْ لديكِ فرصةٌ في كلِّ مرّةٍ".

"لم يكنْ أمامي أيُّ خيارٍ آخرَ. كنْتُ جائعةً، وصدَفَ أنّكِ كنْتِ في مدى بصري، فإمّا أنْ أصطادَ أوْ أجوعَ. وأنا جائعةٌ جدًّا في هذهِ اللّحظةِ، وكذلكَ صغاري".

"هلْ صدفَ أنْ كنّا في مدى بصرِكِ؟ كلاّ، كنتِ حريصةً

Twitter: @alqareah

علَى الإمساكِ بنَا، ولذلكَ سوفَ أقتلُ صغارَكِ الّتي تحبّينَها كثيراً؛ سيكونُ هذا منصفاً".

"أرجوكِ لا تفعلي هذا لأنّهُ ليسَ عادِلاً. أنتِ لسْتِ جائعةً. إنّني أصطادُ عندمَا أجوعُ أيَّ شيءٍ يصلحُ للأكلِ".

"كنْتِ تطاردينَني طوالَ حياتِكِ. مرَّتْ عليَّ أوقاتٌ كثيرةٌ كنْتُ متعبةً فيها وحزينةً".

"لا أصدّقُ ذلكَ. وأيُّ دجاجةٍ كانَ حظُّها أفضلَ مِنْ حظِّكِ أنتِ؟! فشلْتُ في الإمساكِ بكِ في كلِّ مرّةٍ، وعشْتِ حياةً كاملةً. أنا الّتي تعبْتُ، كمَا أنّ البثورَ تملأُ قوائمِي مِنْ كثرةِ مطاردتي لكِ".

فكّرَتْ إبساك للحظةٍ: "علَى أيِّ حالٍ...".

لم تكنْ أنثى ابنِ عُرسٍ تكذبُ، لأنّها أفلتَتْ مِنْ براثنِ الموتِ عدّةَ مرّاتٍ.

شعرَتْ إبساك بشيءٍ مِنَ الشّفقةِ علَى الجراءِ الّتي تضغطُ عليهَا بمخالبِهَا الحادّةِ. بدا لَهَا أنَّ جلودَهَا النّاعمةَ سوفَ تنزفُ دماً في أيِّ لحظةٍ، لذا خفّفَتْ قبضتَهَا عليهَا مِنْ دونِ أنْ تدعَ أنثى ابنِ عُرسٍ تلاحظُ ذلكَ.

"هلْ ستدعينَ صغيري وشأنَهُ إذا حصلْتِ علَى طعامٍ آخرَ؟".

"بالطّبعِ".

"أتعدينَ بذلكَ؟ أعني إذا أخبرْتُكِ بالمكانِ الّذي بإمكانِكِ أنْ تجدِي فيهِ طعاماً؟".

Twitter: @alqareah

أومأَتْ أنثى ابنِ عُرسٍ مِنْ دونِ تأخيرٍ: "إذا عثـــرْتُ علَـــى طعامٍ آخرَ فأنا أعدُكِ بأنّني لنْ ألمسَ صغيرَكِ".

أومأَتْ إبساك برأسِهَا.

"تقدّمْتُ في السّنِّ، لكنَّ منقاري ومخالبِي لا تزالُ حـــادّةً. وأنتِ شعرْتِ بذلكَ بنفسكِ. إذا لم تلتزمي بوعدِكِ فمنَ المحتملِ أنْ تخسرَ صغارُكِ عيونَها مثلَكِ".

أخبرَتْ إبساك أنثى ابنِ عُرسٍ عنْ كومةِ القشِّ الموجودةِ في حقلِ الأرزِّ. التمعَتْ عينا أنثى ابنِ عُرسٍ عندمَا سمعَتْ أنَّ مجموعةً مِنْ فئرانِ الحقلِ قدْ سمنَتْ خلالَ الشّتاءِ، وهيَ تتصارعُ كلَّ يومٍ علَى أمكنةِ النّومِ المحدودةِ. تردّدَتْ أنثى ابنِ عُرسٍ قلـــيلاً عنـــدَ مدخلِ الفجوةِ لعدمِ ثقتِهَا بإبساك.

أرادَتْ إبساك أنْ تطمئنَهَا فقالَتْ لها: "ســـأذهبُ بعـــدَ أنْ تغادري".

خرجَتْ أنثى ابنِ عُرسٍ أولاً، وإنْ كانَتْ مترددةً.

حدّقَتْ إبساك إلى جراءِ أنثى ابنِ عُرسٍ الّتي كانَتْ ترتجفُ مِنَ البردِ والجوعِ، وشعرَتْ بالشّفقةِ عليهَا الآنَ بعدَ أنْ علمَـــتْ أنّها مجرّدُ أمٍّ عاجزةٍ.

إنّها أمٌّ تركضُ في أنحاءِ الحقلِ عندمَا يحلُّ الظلامُ، وهـــيَ الأمُّ الّتي تضطرُّ إلى العودةِ بسرعةٍ مِنْ أجلِ صغارٍ لم تفتحْ عيونَها بعـــدُ. إنّها الأمُّ الّتي لنْ تتمكّنَ مِنَ البقاءِ علَى قيدِ الحياةِ إذا لم تركضْ بمثلِ سرعةِ الرّياحِ. إنّها الصّيادُ المتعَبُ الّذي لا يمتلكُ إلا عيناً واحدةً.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

الفصل الحادي عشر

عندمَا يتساقطُ الثّلجُ مثلَ أزهارِ الخرنوبِ

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

ظهرَتْ براعمٌ جديدةٌ في الأماكنِ الّتي وصلَتْ إليهَا أشعّةُ الشّمسِ، وهكذَا بدا أنّ الرّبيعَ قدْ اقتربَ بالفعلِ. فقدِ اكتسَتْ أشجارُ الكرزِ الموجودةُ في أعلى التّلّةِ بأزهارٍ صفراءِ اللّونِ.

كانَتْ إبساك تسيرُ بمحاذاةِ البركةِ في كلِّ يومٍ، لكنّ *الرّأسَ الأخضرَ* لم يسبحْ نحوَهَا قطُّ. أدركَتْ إبساك أنّ الحارسَ لا يمكنُهُ تركَ السّربِ، لكنّها شعرَتْ مَعْ ذلكَ بالانزعاجِ والاكتئابِ.

لم أرَهُ منذُ مدّةٍ طويلةٍ.

بقيَ الطّقسُ صافياً لعدّةِ أيّامٍ، لكنّهُ بدأَ الآنَ بالتّحوّلِ نحوَ الأسوأِ. كانَتْ الرّياحُ باردةً والسّماءُ غائمةً، والدّلائلُ كلُّهَا تشيرُ إلى أنّ الثّلج سوفَ يتساقطُ في أيِّ لحظةٍ. شعرَتْ إبساك بالاكتئابِ.

تجوّلَتْ إبساك طيلةَ النّهارِ حتّى شعرَتْ بالتّعبِ فعادَتْ إلى التّلّةِ. مكثَتْ في الفجوةِ الصّغيرةِ طيلَةَ تلكَ الأيّامِ، كمَا تمكّنَتْ مِنْ مشاهدةِ *الرّأسِ الأخضرِ* بوضوحٍ مِنْ هناكَ. أرادَتْ أنْ تمكثَ في مكانٍ واحدٍ بسببِ تقدّمِهَا في السّنِّ. وكانَتْ تعلمُ جيّداً أنّ أنثى ابنِ عُرسٍ تجولُ إلى جوارِهَا، غيرَ أنّها فقدَتِ القدرةَ علَى الرّكضِ.

Twitter: @alqareah

أيحتملُ أنْ تصبحَ أكثرَ حذراً مَعَ التّقدّمِ في السّنِّ؟ شعرَتْ إبساك بالإشفاقِ علَى أنثى ابنِ عُرسٍ لأنَّ تمضيةَ الشّتاءِ مَعْ هـذا العددِ الكبيرِ مِنَ الجراءِ أمرٌ متعبٌ جدًّا.

لا أعتقدُ أنّني سأتمكّنُ مِنَ النّزولِ إلى البركةِ غداً.

استلقَتْ إبساك علَى بطنِها علَى سفحِ التّلّةِ وسطَ الرّياحِ الباردةِ. سقطَ بعضُ ريشِهَا فحملَتْهُ الرّياحُ بعيداً عنْهَا. شعرَتْ بخمولٍ شديدٍ يمنعُهَا مِنَ العودةِ إلى الفجوةِ؛ حتّى عندمَا اخترقَتْ الرّياحُ الشّرسةُ ريشَها. شعرَتْ بالاسترخاءِ والنّعاسِ، لكنّها حدّقتْ بعينَيهَا نزولاً إلى الأسفلِ نحوَ البركةِ.

تحرّكَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ عندَ العصرِ متجمّعةً حولَ قائدِهَا، ثُمّ استعدَّتْ للطّيرانِ وهيَ أكثرُ حماسةً وإثارةً مِنَ المعتادِ. لم تعرفْ إبساك قطُّ أنّ تجمّعَها هذا كانَ استعداداً لمغادرتِهَا إلى البلادِ الشّماليةِ.

ازدادَتِ الرّياحُ قوّةً، ومرَّتْ فوقَ التّلّةِ، ثُمّ اتجهَّتْ نحوَ الحقولِ الجافّةِ. حملَتِ الرّياحُ معَهَا الأوراقَ اليابسةَ، كمَا حرّكَتْ عيدانَ القصبِ. حرّكَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ أجنحتَهَا، ودارَتْ أنثى ابنِ عُرسٍ الجائعةُ حولَها بحثاً عنْ فريسةٍ لَها.

حلّقَ الرّئيسُ أوّلاً، ثُمّ انطلقَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ بعدَهُ الواحدَ تلوَ الآخرِ. رفعَتْ إبساك رأسَهَا لتنظرَ إلى الطّيورِ الّتي كانَتْ تدورُ فوقَ البركةِ والتّلّةِ. هبطَ أحدُ الطّيورِ وانفصلَ عَنِ السّربِ، ثُمّ طارَ نحوَهَا علَى ارتفاعٍ منخفضٍ. نهضَتْ إبساك واقفةً علَى رجلَيهَا.

Twitter: @alqareah

"أيُّها *الرّأسُ الأخضرُ*، يا صغيري".

فتحَتْ إبساك جناحَيهَا للتّرحيب *بالرّأسِ الأخضرِ*، لكنّـهُ رفرفَ فوقَهَا للحظةٍ مِنْ دونِ أنْ يحطَّ علَى الأرضِ. اقتربَ منهَا ولامسَهَا بطرَفَيْ جناحَيهِ وكأنّهُ يريدُ أنْ يحيِّيَهَـا، ثُـمّ صـرخَ، "أمِّي". كانَ ذلكَ كلَّ شيءٍ، لكنَّ كلماتِهِ حملَتْهَا الرّياحُ بعيـداً وبعثَرتْهَا.

نظرَتْ إبساك بشرودٍ إلى العاصفةِ الّـتي سـبَّبهَا *الـرّأسُ الأخضرُ*، وأدركَتْ بعدَ ذلكَ أنّهُ كانَ يودّعُهَا.

ذهبَ بعيداً...

عرفَتْ إبساك أنَّ هذا اليومَ سوفَ يأتي، لكنَّها لم تخبرْهُ بكلِّ الأشياءِ الّتي تشعرُ بهَا. حتّى إنّها لم تودعْهُ...

حلّقَ *الرّأسُ الأخضرُ* عالياً، وحرّكَ جناحَيهِ بقوّةٍ كيْ يتمكّنَ مِنَ اللّحاقِ بسربِهِ الّذي كانَ قدْ ابتعدَ عنهُ. تذكّرَتْ إبساك كلَّ القصصِ الّتي كانَتْ تحبُّها وأرادَتْ أنْ ترويَهَا لَهُ ذاتَ يـومٍ. لم تتحوّلْ تلكَ الأفكارُ إلى كلماتٍ، لكنّها انطلقَـتْ كصـرخةٍ مدوّيةٍ.

لقدْ تركَني الرّأسُ الأخضرُ وراءَهُ.

اختفَتْ طيورُ البطِّ البرّيِّ الّتي اعتادَتْ أنْ تملأَ السّماءَ بعيداً، كمَا بدأَتْ أصواتُها تخفتُ تدريجيًّا. اختفَتِ الطّيورُ بينَ الجبـالِ البعيدةِ والسّماءِ. بدا أنَّ هناكَ كوناً آخـرَ يتواجـدُ في الجهـةِ الأخرى وأنّهُ يبتلعُها.

Twitter: @alqareah

فجأةً، خيّمَ الهدوءُ التّامُّ علَى المكانِ. وخُيّلَ إلى إبســـاك أنّ ذلكَ الكونَ الآخرَ قدْ ابتلعَ كلَّ شيءٍ حيٍّ، ولمْ تبقَ في هذهِ الجهةِ سوى القشورِ. عجزَتْ إبساك عَنِ التّنفّسِ، وكانَ كـــلُّ نفَـــسٍ تأخذُهُ مؤلماً، وكأنَّ قلبَهَا يعلو ويهبطُ معَهُ.

أريدُ أنْ أذهبَ بدوري. أريدُ أنْ أطيرَ مَعَ الطّيورِ.

كانَتْ أمنيةُ إبساك يائسةً مثلَ تنفّسِهَا. كَرِهَتْ أنْ تُتـــركَ وحدَهَا، وخافَتْ مِنْ هذهِ الوحدةِ.

فجأةً، أدركَتْ أنّ أنثى ابنِ عُرسٍ تقفُ إلى جوارِهَا، لكـــنّ ذلكَ كانَ أقلَّ إثارةً للخوفِ مِنَ الوحدةِ.

أغمضَتْ إبساك عينَيهَا ببطءٍ وقالَتْ: "كانَتْ عندي أمنيـــةٌ في الماضي، وهيَ أنْ أجثمَ علَى البيضِ وأراقبَهُ وهـــوَ يفقـــسُ؛ تحقّقَتْ أمنيتي بالفعلِ. كانَتْ حياتي قاسيةً، لكنّني كنْتُ ســـعيدةً جدًّا، وتمكّنْتُ مِنَ البقاءِ حيّةً بسببِ ذلكَ الحلمِ. أمّا الآنَ فأنـــا أريدُ أنْ أطيرَ. أريدُ أنْ أطيرَ بعيداً وعالياً مثلَ *الرّأسِ الأخضـــرِ*، وأنْ أذهبَ بعيداً مِنْ هُنَا، بعيداً".

رفرفَتْ إبساك بجناحَيهَا. لماذا لم تتمرّنْ علَى الطّيرانِ مِـــنْ قبلُ؟ بدأَ *الرّأسُ الأخضرُ* بالطّيرانِ وحدَهُ عندمَا كـــانَ صـــغيراً، وبطريقةٍ مضحكةٍ.

"آهٍ! لم أعرفْ ذلكَ مِنْ قبلُ قطُّ. كانَ الطّيرانُ حلمِي، بلْ كانَ أكثرَ مِنْ مجرّدِ حلمٍ. كانَ شيئاً يتوقُ إليهِ جسمي".

حدّقَتْ إبساك إلى السّماءِ الفارغةِ وشعرَتْ بالوحدةِ القاتلةِ.

Twitter: @alqareah

ركّزَتْ أنثى ابنِ عُرسٍ عينهَا الوحيدةَ عليهَـا، و لَمْ تبعـدْ نظرَها عنْهَا مطلقاً. لكنَّ عينْ إبساك ضاقَتا أكثرَ وهـيَ تبـذلُ مجهوداً لترى أبعدَ نقطةٍ في السّماء.

بدأَتْ بضعُ نُدَفٍ مِنَ الثّلجِ تتساقطُ بينَ الحـينِ والآخـرِ. وارتسمَتْ ابتسامةٌ علَى وجهِ إبساك بينمَا كانَتْ تراقبُ هـذهِ النّدفَ الّتي تبعثرُهَا الرّياحُ.

ها هيَ أزهارُ شجرةِ الخرنوب تتساقطُ مجدّداً.

بدَتْ نُدَفُ الثّلجِ المتساقطةُ وكأنّها تويجاتُ أزهارِ الخرنوب بالنّسبةِ إليهَا. نشرَتْ جناحَيهَا إلى أقصَى اتساعٍ لهما، وحاولَتْ أنْ تلامسَ تويجاتِ الأزهارِ المتساقطةِ. أرادَتْ أنْ تشمَّ عطرَهَـا. كانَ كلُّ شيءٍ علَى ما يرامُ، و لَمْ تشعرْ بالبردِ أوِ الوحدةِ.

هممم!

مزّقَتْ زمجرةٌ مدوّيةٌ السّكونَ حولَها، وتلاشى كلُّ شـيءٍ في تلكَ اللّحظةِ: تويجاتُ أزهارِ شجرةِ الخرنـوب، وعطرُهـا، وحتّى النّسيمُ اللّطيفُ. لم يبقَ أيُّ شيءٍ سوى أنثى ابنِ عُـرسٍ الجائعةِ.

قالَتْ إبساك: "أجلْ، أعرفُ أنّكِ جئْتِ".

نظرَتْ إبساك إلى عينِ أنثى ابنِ عُرسٍ الجائعةِ، وتـذكّرَتْ جراءَهَا النّاعمةَ والخاليةَ مِنَ الفراء، وتذكّرَتِ اللّحـمَ الطّـريَّ. كانَتْ أشبهَ ما تكونُ ببيضةِ إبساك الأخيرةِ، وهيَ البيضةُ الّـتي أُلقيَتْ في باحةِ الحظيرةِ. شعرَتْ مجدّداً بتصلّبٍ في جسمِهَا.

Twitter: @alqareah

عجزَتْ إبساك عَنِ الهربِ لأنّها فقدَتِ الطّاقــةَ، والــدّافعَ للهربِ.

"هيَّا، يمكنُكِ أنْ تأكليني. يمكنُكِ أنْ تملأي بطونَ صغارِكِ".

أغمضَتْ إبساك عينَيهَا، لكنّهَا أحسَّتْ وكأنَّ حنجرتَهَا قدْ انتُزعَتْ مِنْ جسمِهَا في تلكَ اللّحظةِ. ظنَّتْ في البدايةِ أنَّ الأمــرَ سيكونُ مؤلماً، لكنّهَا شعرَتْ بدلاً مِنْ ذلكَ بالارتياحِ.

"أمسكْتِ بـــي في النّهايةِ...".

لم ترَ سوى الظّلمةِ الحالكةِ أمامَ عينَيهَا. أحسَّــتْ إبســاك بشعورٍ كهذَا مِنْ قبلُ عندمَا كانَتْ في الحقلِ. يُحتمَلُ أنّها سمعَتْ في ذلكَ الوقتِ صرخةَ الموتِ الّتي أطلَقتْهَا البطّةُ البيضاءُ كالثّلجِ. كانَ كلُّ شيءٍ قاتماً، لكنّهُ تحوّلَ إلى اللّونِ الأحمرِ ببطءٍ شــديدٍ؛ كانَ كلُّ مَا تراهُ هوَ اللّونَ الأحمرَ.

ظهرَ كلُّ شيءٍ أكثرَ سطوعاً تدريجيًّا. وعندمَا فتحَتْ عينَيهَا رأتْ سماءً زرقاءَ رائعةً تمتدُّ أمامَهَا. كانَ ذهنُهَا صافياً، وشعرَتْ بأنّها خفيفةٌ جدًّا. بدأَ جسمُهَا بعدَ ذلِكَ بالطّوافِ وكأنّهُ ريشةٌ. حرّكَتْ إبساك جناحَيهَا الكبيرَينِ والجميلَينِ، وطارَتْ وهيَ تنظرُ إلى الأسفلِ.

أجلْ، كانَ كلُّ شيءٍ تحتَهَا. رأَتِ البركةَ، والحقلَ الّــذي غطّتْهُ العاصفةُ الثّلجيّةُ، وأنثى ابنِ عُرسٍ الّتي كانَتْ تسيرُ مرهقةً وهيَ تحملُ دجاجةً نحيلةً.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

اكتسبت هذه الرواية الشعبية الكورية الحديثة - والتي اعتُبرت من بين أكثر الكتب مبيعاً بعد أن بلغت مبيعاتها ما يزيد عن مليونَي نسخة - القلوب في أنحاء العالم كافة.

إنها قصة دجاجة تدعى إبساك، لم يعد يرضيها أن تضع بيضها بحسب الطلب، تلك البيوض التي تؤخذ منها بعيداً لتباع في السوق. كانت تحلم بمستقبلها كل صباح وهي تتأمّل الحظيرة التي تسرح فيها الحيوانات الأخرى بكل حرية. لذا، وضعت إبساك خطة للهروب إلى البرية لتفقيس إحدى تلك البيوض التي تضعها هي.

تصلح هذه الرواية لكي تكون ترنيمة للحرية، والشخصية الفردية، والأمومة. فهي تعرض قصّة بطلة تتمرد على عالم محكوم بتقاليد الحظيرة. **الدجاجة التي حلُمت بالطيران** رواية ذات أبعاد عالَمية؛ حيث تفتح نافذة على كوريا، وحيث أسرت قلوب ملايين القراء. تذكّرنا هذه الرواية - نتيجة لتنوّع شخصياتها الحيوانية: الدجاجة، البطة، الديك، الكلب، ابن عرس - بالروايات الكلاسيكية في الأدب الإنكليزي؛ مثل «مزرعة الحيوانات»، و«شارلوتس ويب».

تبرز هذه النسخة العربية الأولى من رواية صن- مي هوانغ [الخرافية] في زماننا هذا مسيرة شخصية لا تُنسى في الأدب العالمي بشكلٍ جميلٍ؛ بالرسومات الخاصة التي ازدانت بها.

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
ISBN 978-614-01-0621-5
9 786140 106215
نيل وفرات كوم
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com